sa7eralkutub.com

صحر الكتب
sa7eralkutub.com
www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

قُلُوب مُغْلَقَة

رواية

دينا عماد

دار الرسم بالكلمات

sa7eralkutub.com

إهداء

إلى الذين كُسِرَت قلوبهم.. فأوصَدوا باب القلب

افتحوا للحياة ذراعيكم

وللحُبِّ قلوبكم

فلن تتوقف الحياة

ولن يتوقف القلب عن الخفقان.

sa7eralkutub.com

مُقدِّمة

تصيبنا يدُ القدر..

نظنها إصابة قاتلة..

ولكن تُولَد منها الحياة.

sa7eralkutub.com

- 1 -

حين تكون وحيدًا وسط الناس..

هناك شخصٌ ما سيغنيك عن العالم أجمع..

sa7eralkutub.com

«حنان مصطفى حافظ»

ما إن استيقظت حنان من نومها.. حتى نظرت في ساعة الحائط الموجودة في حجرتها.. فوجدتها الثانية عشرة منتصف الليل.

يوم جديد يبدأ في ليل حياتها الطويل الذي تعلم تمامًا أنه لن تشرق شمسه كما هو الحال في ليالي الأيام العادية.

أعادت ترتيب شعرها الأسود القصير بيديها، لاحظت أنه ازداد طولًا حتى وصل لأعلى كتفها.. زفرت بضيق، ثم نهضت من فراشها متباطئة رغم نحافة جسدها.. ووقفت خلف الباب تسترق السمع لما يدور في الخارج.. تناهى إلى مسامعها صوت التليفزيون المفتوح وضحكُ والدها ووالدتها على صوت الفيلم الكوميدي.

ضحكاتهما ترقص على صرخات قلبها المذبوح وحياتها الكئيبة.

قبل أن تعود لمكانها المعتاد فوق فراشها وقفت أمام مرآتها.. لم تطل النظر.. في درج تسريحتها عن المقص.. تناولته وقصَّت شعرها، وألقته أمامها بإهمال.

رجعت مرة أخرى لفراشها وأمسكت بجهاز "اللاب توب" الخاص بها الذي أهداه لها شقيقها أحمد، وأوصلت به السمَّاعات لتنفصل تمامًا عن الخارج.

دخلت على حساب الفيس بوك الذي بدأت استخدامه في الأونة الأخيرة بعد أن أغلقت حسابها القديم نهائيًا رغبة في عدم التواصل مع أحد يعرفها..

sa7eralkutub.com

أخذت تتصفح بعض الصفحات والمجموعات التي تعرف، من خلالهم أخبار صديقاتها دون أن يعرفها أحد.. فوجئت بصور زفاف أعز صديقاتها من أسبوع مضى.. ابتسمت بحزن.. ابتسمت فرحًا لصديقتها وحزنًا لأنها لم تعلم إلا بالصُدفة.

وتذكرت كم من الأحلام رسمتاها معًا لتكون كل واحدة منهما بجانب الأخرى في ليلة عمرها.. أحلام رُسِمَت تفاصيلها كثيرًا في ليالي أحلامهما بفارس الأحلام.. أحلام لم ولن تتحقق.

لم تعرف كم مضى من وقت عندما رأت باب حجرتها يُفتَح، ويظهر شقيقها، فخلعت السماعات من أذنيها، وسمعت أحمد:

- خبَّطت عليكي مردتيش فقلت اشوفك صاحية ولا نايمة.

اقترب منها وجلس على حافة السرير وهي ترد:

- لسه صاحية من شوية.. بس لما سمعت صوتهم بره محبيتش اخرج.

تحدث إليها بألمٍ:

- لإمتى يا حنان هتسهلي قافلة على نفسك كده؟

- كده أحسن.

- لا مش أحسن.. مش قادر اتخيل حنان اللي كانت الضحكة مبتفارقش وشها وشعلة النشاط تبقى قادرة انها تقفل عليها بالساعات علشان تتجنب بابا.

- حنان بتاعة زمان ماتت وبابا اللي قتلها.

- بابا يا حنان؟

sa7eralkutub.com

- أيوة يا احمد.. ومش هسامحه أبدًا.

بدأ صوتها بالاختناق واغرورقت عيناها بالدموع.

اقترب منها أحمد وهو يحتضنها:

- أنا آسف.. أنا نسيت اننا اتفقنا محدش يجيب سيرة الموضوع ده تهائي.

ورجع للخلف وهو ينظر لها:

- هاا هتتعشي معايا ولا ادخل انام؟بابا وماما ناموا.

ابتسمت حنان وهي تنهض من السرير:

- مش خلاص بابا نام.. يبقى نتعشى مع بعض.. أنا محدش بهوّن عليا حياتي غيرك، ربنا يخليك ليا.

****

أثناء تناولهما الطعام، شعرت حنان أن أحمد متردد بعض الشيء.

أحمد أخوها الوحيد الذي يكبرها بعامين هو بالنسبة لها الأخ والصديق والأب أحيانًا.. منذ طفولتهما ويطلق الجميع عليهما: التوأم، لا لتطابق الملامح بل لتواجدهما دائمًا معًا.. لإحساسهما الدائم ببعض؛ فقبل أن ينطق أحدهما يشعر به الآخر.

ظلت تنظر له وهي تحدث نفسها:

- يااااه لو كنت موجود يا أحمد الفترة اللي فاتت.. يمكن مكنش حصل اللي حصل.. أكيد كنت هتحميني.

sa7eralkutub.com

قطع صوت أحمد، صوت أفكارها:

- إيه مبتاكليش ليه؟-

- سرحت شوية.

- في إيه؟

- فيك.. حاسة انك عايز تقول حاجة؟

وابتسم أحمد:

- طول عمرِك فاهماني.

- أكيد.. إيه بقي عايز تقول إيه؟

- هما موضوعين يا حنان.. واحد يخصك وواحد يخصني.. أقولك إيه الأول؟

- اللي يخصك يخصني والعكس.. يبقي تبدأ بأي واحد فيهم.

- أنا عايز نروح لدكتور.

فزعت حنان قلقًا على أحمد.. سألته بلهفة:

- خير يا حبيبي.. مالك؟

- متقلقيش انا كويس الحمدلله.. انا بقول دكتور ليكي.

سألت باستغراب:

- ليا انا.. ليه؟

حاول أحمد التغلب على تردده.. وقال بسرعة:

sa7eralkutub.com

- أنا قلقان عليكي، إنتي على طول نايمة وقافلة عليكي أوضتك وقطعتي علاقتك بكل الناس اللي كنتي تعرفهم ومبتخرجيش خالص إلا لما بتحايل عليكي نخرج شوبة وكل فين وفين.. أنا خايف عليكي.

ردت حنان مبتسمة:

- متخافش مش هتجنن.

- حنان.. أنا بتكلم جد.. انتي ممكن أوي يكون عندك اكتئاب ومش عيب لو روحتي لدكتور.

- متخافش عليا انا لو حاسة باكتئاب هروح لدكتور.

- طيب فسري لي اللي انتي فيه ده.. لو مش اكتئاب يبقى ايه.

- يا بني انا بنام عكس ساعات نومكم وباقي الوقت صاحية.. بساعد ماما وليا اصحاب جداد.. طبعًا ميعرفونيش بس اهو بتكلم معاهم.. بتابع كل اللي بيحصل بره البيت وحواليا.. وباقي الوقت بقضيه في القراءة.

صمتت لحظات وأكملت بنبرة حزينة:

- كل الحكاية اني مش عايزة اشوفه ولا اتكلم معاه.. وقفّل على الموضوع ده وقول إيه الموضوع التاني.

ارتسمت على وجه أحمد ابتسامة عريضة لم ترها حنان منذ فترة طويلة.. وتغيرت نبرة صوته وهو يسألها:

- فاكرة إسراء؟

رددت حنان الاسم وهي تحاول أن تتذكر:

sa7eralkutub.com

- إسراء.. إسراء.. إسرااااااااء بتاعة الكلية.

- أيوة.. هي.

- أه افتكرتها مالها؟؟ إيه اللي فكرك بيها دي زمانها اتجوزت وخلفت.

جاوبها أحمد بفرحة:

- لأ متجوزتش.

نظرت حنان في عينيه، ولاحظت لمعانهما ببريق فهمت معناه.

- عرفت منين؟؟ احكي بسرعة.

بدأ يحكي بفرحة تمتزج بخجل:

- بصي يا ستي.. طبعًا انتي فاكرة لما قلت لك اني اتعرفت على إسراء في رحلة في الكلية لما كنت في رابعة وهي في تانية.

- أه فاكرة.. وفاكرة لما كنت بتحكي عنها وعن إحساسك بيها وياما قلتلك صارحها.

- وقتها مكنش ينفع اصارحها وانا مش عارف رد فعلها إيه.. كنت مستني اخلص واشتغل وبعدين أقولها اني عايز اتقدم لها.

- كنت غلطان يا أحمد كان لازم تقولها.

- ما انا لما نويت أقولها لقيتها اتخطبت وبعدها انا اتخرجت وحاولت انساها وتقريبًا كنت نسيتها.

- وإيه اللي فكرك بيها النهارده؟

sa7eralkutub.com

- من يومين يا حنان مش النهارده.

- اشمعنى؟

- بالصدفة لقيتها على الفيس بوك.. مش قادر اوصفلك حسيت بإيه لما شفت اسمها وانا لسه مش متأكد هي ولا لأ.. قلبي بقى يدق يدق ولقيت الدنيا بتلف بيا وبتاخدني لأيام الكلية وكل اللي كنت حاسّه زمان اتجدد في ثانية.. دخلت صفحتها لقيت كل المعلومات بتاعتها هي هي حتى أصحابها بتوع زمان موجودين عندها.. اللي فرّحني أكتر اني لقيتها كاتبة الحالة الاجتماعية سينجل.. بيني وبينك اترددت ابعتلها إضافة أو لأ.. وحسمت ترددي وبعتّلها إضافة.. قبلِتها في نفس اللحظة وكلمتها اشوفها فاكراني ولا لأ طلعت فاكراني ومن ساعتها واحنا بنتكلم وعرفت منها انها فسخت خطوبتها بعد 4 شهور وانها لسه متخطبتش ولا حاجة.

صمت أحمد وهو يراقب تعابير وجه حنان.. خاف أن يكون حديثه عن مشاعره يؤلمها بعد ما مرت به.. لكنه وجد سعادة على وجهها واهتمام وهي تحثّه على متابعة الحديث:

- هاااا كمل.. وبعدين.

- مفيش.. أنا فرحان اني لقيتها تاني وان فيه فرصة اننا نقرب من بعض.

- بس كده؟

- لحد دلوقتي بس كده اللي حصل.

- وناوي تضيع وقت برضه زي زمان.. مش انت بتحبها؟

sa7eralkutub.com

- أه.

- خلاص قولّها.

- خبط لزق كده.

- وِش على طول.

- مكسوف.

- هههههه بجد؟

- أه والله.. وخايف كمان.

- خايف من إيه؟

- أكون بالنسبة لها مجرد زميل عادي وخلاص.

- انت حاسس بإيه؟؟

- مش عارف.. زي ما قلتلك، خايف.

- مينفعش تخاف.. لازم تقولها يا أحمد.

- طيب ما تساعديني؟

- أنا؟؟ أساعدك ازاي.. ما انا بقولك قولها.

- هحاول.. بس خايف اتصدم.

- طيب ما تلمّح لها.. يعني مثلًا اسألها اتخطبتي بعد المرة الأولانية.

- ماهي قالت لأ.

sa7eralkutub.com

- استعبط يا أحمد وجر كلام.. هتقولك لأ قولها ليه؟؟انتي بتحبي حد؟ كده يعني والكلام يجيب بعضه.

رد وهو ينهي عشاءه:

- طيب.. هحاول.. ادعيلي.

- ربنا يفرح قلبك يارب.

- عقبال ما افرح بيكي يا نونا.

عبست حنان وهي تبدأ في لمّ الأطباق:

- متحطش أمل على حاجة مش هتحصل.. خلينا فيك انت.

نظر لها بألمٍ.. همَّ أن يرد عليها.

تظاهرت هي بعدم الاكتراث..

أخذت الأطباق للمطبخ

وذهب أحمد ليغسل يديه بعد العشاء قبل أن يتوجه لغرفته.. متمنيًا أن يجد إسراء.

* * *

sa7eralkutub.com

- 2 -

أحيانًا تأتينا مفاجأة تغيّر حياتنا تمامًا

sa7eralkutub.com

إسراء فوزي سلامة

لم تدرِ إسراء كم مرة صرخت اليوم في شقيقتها الصغرى وهي جالسة على الكمبيوتر تلعب.. أعصابها على فوهة بركان، من الانتظار.. فالحوار تكرر بنفس الكلمات:

- قومي يا اسما.

- ليه انا لسه قاعدة من شوية.

- هشوف حاجة واقعدي تاني.

تقوم أسماء وتجلس إسراء مكانها.. تفتح أكونت الفيس بوك

تنظر في الشات.. تجد شات أحمد مغلقًا

تدخل في صفحته.. لا تجد أي جديد

تُحبَط.. تُفكِر..

- مدخلش ليه؟؟ ولَّا يكون بيدخل أوف لاين.. طيب ليه؟

تقاطعها شقيقتها:

- خلاص؟

تتساءل إسراء بشرود:

- خلاص ايه؟

- شفتي اللي عايزة تشوفيه.

sa7eralkutub.com

تصرخ فيها إسراء: خلاااااااااص شفت.. اترزعي.

تنهض بعصبية وإحباط..

ترى كم مرة تكرر هذا الحوار خلال اليوم

كل ساعة.. بل كل نصف ساعة.. لا.. تكرر كل ربع ساعة أو أقل.

تنظر إسراء وهي جالسة أمام الكمبيوتر لشقيقتها المستلقية على سريرها تشاهد التليفزيون،

تشعر بأنها كانت قاسية معها على غير العادة.. فتناديها بتودد:

- سمسمة.

تلتفت لها بتلقائية:

- نعم؟

- زعلانة مني؟

- لأ.. ليه بتسألي؟

- يعني اترفزت عليكي شوية النهارده.

- لا عادي.

قالتها ببراءة تناسب سنوات عمرها العشر.

تجلس إسراء أمام شاشة الكمبيوتر وعيناها معلّقتان على الشاشة..كم هو ممل الانتظار: خاصة أن يكون انتظار بدون موعد محدد.

مرَّ يومان كانا من أسعد أيامها لوجود أحمد في حياتها مرة أخرى بالصدفة.

sa7eralkutub.com

أحمد.. تذكّرتْ عندما تعرفت عليه لأول مرة وهي في السنة الثانية من الكلية. كانت في رحلة ليوم واحد للإسكندرية. لم تنسَ طوال السنوات الماضية ملامح أحمد، بعينيه العسليتين وبشرته القمحية وشعره الأسود القصير جدًّا.

عندما تلاقت نظراتهما لأول مرة يوم التعارف، شعرت بارتجافة قلبها لحظة.. كم تساءلت عن معنى تلك الرجفة التي شعرت بها وكأن نظرته كانت تيارًا كهربائيًا خفيًا، مسها ولم يؤذها.

منذ ذلك اليوم وانضم أحمد لصداقة إسراء وصديقتيها: ملك ورنا.

تتكرر المقابلات يوميًا في الجامعة.

"أحمد شكله بيحبك يا إسراء"

سمعتها من ملك ورنا كثيرًا.. كل مرة تتهرب من الرد. تمنت سماعها من أحمد.. طالت الأمنية ولم تتحقق، وما كانت تنتظره من أحمد، فوجئت بسماعة من آخر: حين تقدَّم لها عريس: أحد أقاربها من بعيد تعرف اسمه وعائلته من خلال والدتها.. أما هو فيعرفها جيدًا. وتقدَّم لوالدها قبل امتحانات آخر العام بأسبوعين.

لم تستطع تفسير جمود ملامح أحمد حين أخبرته أنها ستُخطَب قريبًا.. تعلقت بآخر أمل وهي تنتظر أن يقول لها ارفضي. ولكنها سمعت كلمة أخرى بدون أي تعبير:

- مبروك.

تمنت أن تصرخ فيه وقتها.. تخيلت أنها تصفعه على وجهه لبرودة مشاعره.

كرامة الأنثى التي تعتبر الصمت رفضًا لها.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

جعلها تتقن تمثيل الفرحة انتقامًا لمشاعرها التي تعلقت بأملٍ واهٍ بضعة شهور، حتى آخر يوم امتحانات.. تقابلا.. تبادلا كلمات قصيرة روتينة وتمنى كلٌّ منهما للآخر حياة موفقة وانطوت صفحة أحمد من حياتها للأبد.. أو كانت تظن أنها انتهت للأبد قبل أن يظهر فجأة منذ يومين ويتواجد في حياتها ويوقظ ذكريات ظنت أنها انطوت مع الأيام.

يقاطع تفكيرها دخول والدتها الحجرة، تنظر لأسماء التي غلبها النعاس.

- أختك نامت.

تنظر إسراء لسرير شقيقتها.. تجد والدتها تُعدل من نوم أسماء.

- لسه نايمة من شوية صغيرين.

- انتي سهرانة؟

- أه قاعدة شوية.

- طيب انا داخلة انام الساعة داخلة على واحدة وعندي شغل الصبح. كلمت اخوكي ولسه بره إبقي عرفيني جه الساعة كام.

- حاضر.

- تصبحي على خير.

خرجت الأم من الغرفة وإسراء ترد عليها، في نفس اللحظة التي سمعت فيها إسراء صوت باب الشقة وصوت وصول شقيقها إسلام .

* * *

sa7eralkutub.com

- 3 -

ما أصعب لحظات ما قبل الاعتراف بالحب..

وما أجمل غيرة الحبيب

sa7eralkutub.com

دخل أحمد غرفته متلهفًا للحديث مع إسراء.. خمس سنوات مرت على تخرجه.. على ضياع حبه الوحيد الذي سحق الصمت بذرته قبل أن تنمو صدفة أيقظت الحب من جديد.. بلهفة فتح اللاب توب، ابتسم براحة وسعادة عندما رأى إسراء "أون لاين"، أرسل لها:

- ازيك؟

على الجانب الآخر، في وسط شرود إسراء، وجدت إشعارًا برسالة من أحمد، كادت أن تطير فرحًا.. اتسعت ابتسامتها بمجرد ظهور حروف كلماته.. ردت بلهفة:

- الحمدلله.. ازيك يا احمد.

- كنت قلقان متكونيش موجودة.

- أنا موجودة على طول.. إنت اللي كنت فين كل ده؟

- كنت في الشغل ولسه راجع.

- انت مش كنت بترجع الساعة 4.. أنا من العصر وانا كل شوية اشوفك دخلت ولا لا.

- النهارده أول يوم في الشيفت التاني.. معلش نسيت أقولك.

- هو انت شغلك شيفتات؟

- أه، اسبوع من 8 ل4 واسبوع من 4 ل12 واسبوع من 12 ل8 الصبح.

- مرتاح في شغلك؟

- أه الحمدلله.

sa7eralkutub.com

سألته وهي تتمنى أن يجيبها بالنفي:

- إنت أكيد راجع تعبان وعايز تنام.

ردَّ أحمد بتلقائية:

- هو في العادي برجع تعبان.. بس انا عايز نقعد نتكلم مع بعض شوية.. إنتي عايزة تنامي؟

- أبدًا.. أنا خايفة تكون قاعد تعبان وعايزاك ترتاح.

- أنا كده مرتاح.. وفيه حاجات كتير عايز اسألك عليها.. دول 5 سنين.

- عايز تسأل على إيه ما انا حكيت لك كل حاجة.. أنا اللي عايزة اسألك عملت إيه في ال5 سنين اللي فاتوا.. احكي لي.

- بصي يا ستي بعد ما اتخرجت حفيت على شغل طبعًا.. فضلت سنة اخبط من شغلانة للتانية، وبعدين لقيت نفسي لا عارف اشتغل شغل كويس ولا فيه مرتب عليه القيمة.. فقررت اسافر.

- هو السفر سهل كده.

- هو مش سهل بس فيه واحد قريبنا من بعيد بقاله 20 سنة بيشتغل في دبي وله معارف وعرف يلاقي لي شغل كويس الحمدلله، وسافرت بعد ما اتخرجت بسنة، وقعدت تلات سنين وجيت من سنة كده تقريبًا.

- كويس انك عرفت تقعد تلات سنين بس.

- مش فاهم قصدك.

- اللي اعرفه ان اللي بيسافر الشغل والفلوس بيخلوه مش سهل يرجع.

sa7eralkutub.com

- دي حقيقة بس انا رجعت علشان حنان.

صُدمت إسراء.. حنان؟؟!!

خطيبة أم حبيبة عاد من أجلها، أكلت الغيرة قلبها ولم تستطع أن تكتب أي رد، وجدته يكمل بعد لحظات صمت وكأن شيئًا لم يكن:

- رجعت ودوَّرت على شغل هنا، وبعد شهرين اشتغلت في المصنع اللي انا فيه حاليًا ومرتاح الحمدلله.

لحظات كل منهما لم يجد ما يكتبه. إسراء تشعر بالغضب منه وتحدِّث نفسها وهي تنظر لكلماته: "لما هو مرتبط بيعلقني بيه ليه.. بتعملها تاني يا أحمد تعلقني وترفعني لسابع سما وفجأة تسيبني انزل لسابع أرض."

شعر أحمد بغياب إسراء في الرد.. انتظر لعلها تكتب.. انتظر لعلها اضطرت للقيام لأي سبب كان.

دقائق مرت.. دون أي تواصل.. لم ينتظر أحمد:

- إسراء.. انتي معايا ولا مشيتي؟

ردت إسراء باقتضاب:

- أه هنا.

- روحتي فين.

- مفيش مستنياك تكمل.

- خلصت حكايتي.. انتي قوليلي بقي اتخطبتي تاني؟

sa7eralkutub.com

- لا.

- ليه.

أجابت متعمدة إشعاره بتغيُّر حالتها المزاجية:

- فيه حد يسأل واحدة متخطبتيش ليه؟

رد مستدركًا: أنا آسف مقصدش إضايقك.

ردت ببرود: خلاص مفيش حاجة.

شعر بجفائها، فحاول إيضاح عدم قصده.

- إسراء بجد آسف مقصدش والله.

أرادت أن تنهي الحديث قبل أن يمتد وتتعلق به أكثر:

- خلاص يا احمد.. يالا قوم نام انت تصبح على خير.

تفاجأ وسألها: انتي هتقفلي؟

ردت بتعجُّب: انت عايزني في حاجة؟!

سألها بلهفة صادقة: مالِك؟

بعد لحظات.. خشيت إسراء أن ضيقها يُفسَّر من قِبَل أحمد على حقيقته، وأن يشعر بحبها له وغيرتها عليه.. ارتباطه بأخرى يقف حاجزًا بينهما.. اضطرت أن تتظاهر بعدم الاكتراث:

- أبدًا يا أحمد مفيش حاجة ومتضايقتش منك.. متعتذرش.

- إسراء..

sa7eralkutub.com

- نعم.

- عايز أقولك حاجة وخايف تفهميني غلط.

- حاجة إيه؟؟ قول.

- أنا نفسي اشوفك.. انتي وحشتيني.

قالها أحمد بعد أن استجمع شجاعته من أول حديثهما.. قالها ملقيًا بمشاعر صادقة بين يدي إسراء منتظرًا ردًا.

أما إسراء فقد استقبلتها بارتباك جعل ضربات قلبها تتسارع.. ربما لو قالها قبل ذِكر سيرة حنان كان ردها سيكون بلا تفكير.. تريد أن تلقاه.. ولكن لم تستطع أن تترك نفسها للظنون.. فسألته:

- أحمد انت خطبت؟

استغرب أحمد لسؤالها:

- لأ.. لو كنت خطبت كنت حكيت لك.

- أومال مين حنان؟

لم يتمالك أحمد نفسه من الضحك.. ضحك عاليًا حتى سمعته حنان وجاءت على صوت ضحكاته، دخلت حجرته ووقفت جواره:

- انت صاحي يا احمد.. بتضحك على إيه؟

- فرحان يا حنان.. تعالي شوفي.

بدأت حنان قراءة الرسائل المتبادلة بين أحمد وإسراء.

sa7eralkutub.com

إسراء أقلقها غياب أحمد في الرد، فكتبت مسرعة:

- واضح ان سؤالي ضايقك.. لو مش عايز ترد براحتك.

حنان قرأت الرسالة.. ربتت على كتف أحمد وهي تنصحه:

- رد عليها بسرعة يا أحمد وفهمها.. فرصة تقولّها على كل مشاعرك.. لما تخلّص تعالي احكيلي عملت إيه.

خرجت حنان، وأغلقت الباب خلفها لتترك له حرية الحديث.

رد أحمد على إسراء:

- أولًا أنا ما اتضايقتش منك ولا أقدر اتضايق منك أبدًا.. حنان تبقى أختي الوحيدة وتوأم روحي وأقرب حد ليا في الدنيا.. وانا كمان بالنسبة لها أقرب حد ليها في الدنيا.

قرأت إسراء رد أحمد بفرحة.. اطمأنت.. ثم سألته:

- ورجعت علشانها ليه؟

- ده موضوع طويل نبقى نتكلم فيه بعدين.. إنتي مجاوبتنيش على الأهم.

- إيه؟

- ينفع اشوفك؟

* * *

sa7eralkutub.com

- 4 -

إن أردت أن تنتحر دون أن تموت..

اترك نفسك لروتين يوميّ قاتل يُفقِدَك الحياة وأنت مازلت تتنفس.

sa7eralkutub.com

هكذا فعلت حنان منذ أن قررت عزلتها عن العالم أجمع.

كانت تدور في روتين يومي ما بين تنظيف الشقة، تحضير الطعام مع والدتها، قراءة وتصفُّح للإنترنت.. ساعات قليلة من نوم متقطع يبدأ عصرًا أو قبل المغرب بقليل، ينتهي عند منتصف الليل. محاولات فاشلة من والدتها وأحمد بدمجها معهما في الحياة إلا أن أغلب المحاولات كانت تُقابل بالصد.

أما والدها، فأثرَ عدم المواجهة؛ حفاظًا على ماتبقى من هيبته.. كثيرًا ماتردد أن يطلب منها السماح، ولكنه كان يعدل عن قراره على آخر لحظة.

بينما حنان مع والدتها في المطبخ في حوالي الثانية ظهرًا، سمعت صوت أحمد يخرج من الحمَّام

ذهبت إليه وتبعته إلى حجرته:

- صباح الخير يا احمد.

- صباح النور ياحنون.

- قعدت استناك امبارح بعد ما تخلّص تيجي تحكيلي عملت ايه.

- معلش نمت على طول أول ما خلصنا كلام.

- طب ايه؟؟

- مفيش.

- ما قولتلهاش؟

- لأ.

sa7eralkutub.com

- ليه؟

- مش عايز أقولها كده وكل واحد فينا في حتة.. عايز لما اتكلم معاها أكون شايف تعبيرات وشّها.. عايز احس بردّ فعلها أيًا كان.. إنما كده، إفرضي قلتلها ومردتش.. وانا عارف حظي، أنا لا حِمل النور يقطع ولا النت يفصل وانا بكلمها.. ممكن قلبي يقف.

- إخص عليك متقولش كده.. ربنا يخليك لينا.. مطلبتش تقابلها؟

- أه طلبت.

- هاااا.

- مدتنيش رد، وقالت انها مبتخرجش لوحدها إلا كل فين وفين، ولما ألحيت عليها قالت هتفكر.

- وانت شايف إيه؟

- قلقان ومش شايف حاجة.

وسمعت حنان صوت والدتها تناديها، فانسحبت بسرعة ملبية نداء والدتها وهي تُطمئِن أحمد:

- متقلقش، إن شاءالله خير.. هروح اشوف ماما عايزاني في إيه.

ذهبت حنان لوالدتها في المطبخ تسألها عما تريد.

- عايزاني في حاجة ياماما.

- اقفي هنا خلي بالك ع النار لحد ما انشر الغسيل.

sa7eralkutub.com

- ماتخليكي واروح انشر انا.

- لأ انا اتحربت واتخنقت من صهد المطبخ.

خرجت والدة حنان وهي تمسح عرقها وتهوّي وجهها بيديها كالمروحة: لعلها تجد نسمة رقيقة تتنسم بها قبل أن تصل للشرفة.

أكملت حنان طهو الطعام وهي تفكر في أحمد وتنتظر رد إسراء مثلما ينتظره أحمد.

تذكرت فرحة أحمد عندما يحكي عن إسراء.. ابتسمت.

سمعت باب الشقة يُفتَح وصوت والدها يلقي التحية عند دخوله.

عبست.. سمعت خطواته تقترب من المطبخ.. أخرجت سماعات الموبايل بسرعة من جيبها ووضعتها في أذنها متظاهرة بسماعها.

دخل والدها المطبخ.. رآها وظهرها له، وضع الأكياس التي كان يحملها، ونطق بصوت هامس:

- سلامو عليكو.

انسحب من المطبخ بهدوء عندما فهم أنها لم تسمعه.. قابلته زوجته في طريقها للمطبخ:

- إنت جيت يا مصطفى.

ولاحظت شروده وانكساره.. قلقت:

- مالك يا مصطفي.

sa7eralkutub.com

- مفيش.. الفاكهة عندك في المطبخ يا هدى.. أنا داخل اغيَّر هدومي.

وقفت هدي حائرة ما بين أن تتبعه أو تسأل حنان

دخلت المطبخ وسألت حنان:

- إيه اللي حصل؟

لم ترد حنان؛ فقد كانت شاردة رغم بدء احتراق اللحم الذي تطهوه.

هزتها هدي من كتفيها:

- حناااان.

ومدت يدها لتغلق البوتاجاز.. خلعت حنان السماعات من أذنيها:

- معلش ياماما سرحت.. الحمدلله اللحمة متحرقتش.

- أبوكي ماله؟

- ماله؟!!

- هو حصل حاجة؟؟ خارج من المطبخ مسهّم كده.

- هو كان هنا.. مشفتوش ولا سمعته.. أنا داخلة انام.

- مش هتتغدي.. أخوكي هيتغدى قبل مايزل الشغل.. عايزين نتلم ع الغدا زي زمان.

ردَّت حنان بألم وهي تغادر المطبخ:

- ياريت كنا فضلنا زي زمان.

* * *

sa7eralkutub.com

- 5 -

السعادة ليست في أن نمتلك كل شيء..

بل السعادة في الرضا

بما قسمَه الله لنا

وبما حُرِمنا منه

sa7eralkutub.com

«عمر محمد سليم»

شعور عمر بالرضا بحياته هو الذي شجَّعه على خوض تجربة اليوم رغم تردده منذ شهور؛ فاليوم سيذهب ليتقدم لخطبة نيفين.. أجمل فتاة رآها في حياته، من المؤكد أن الكل سيحسده الليلة لأنه فاز بتلك الفتاة التي يعلم أنها فتاة أحلام كل من يراها.

ينظر في المرآة وهو جالس على طرف سريره، يربط رباط العنق وهو جالس مكانه، يُعدل منه أكثر من مرة.. يتساءل: هل أحبته نيفين كما أحبها في المرات القليلة التي تقابلا فيها للتعارف قبل قراءة الفاتحة.. من المؤكد وإلا لِم وافقت؟

ولكن كيف ستحبه؟.. رغم أنهم جيران في نفس الشارع منذ سنوات طويلة، إلا أنه لا يتذكر أي مناسبة جمعتهما معًا من قبل.

هو يتذكرها طفلة تلهو مع مثيلاتها في العمر عندما كان طالبًا في الثانوي.. فالسنوات الثماني الفرق بينهما جعلت فرق المراحل العمرية بينهما كبيرًا إلى حدٍّ ما.

وقتها لم يكن ينتبه لها؛ فهو كغيره من المراهقين كان يبحث عن الحب في علاقات عابرة لم تتجاوز يومًا لمسة يد الحبيبة، وبدخوله الجامعة بدأ مرحلة من النضوج؛ فلم ينجرف لأي علاقة عاطفية لا عابرة ولا دائمة.. على عكس أيمن صديق عمره الذي كان يهيم عشقًا دائمًا ويخفي عن صديق عمره من هي معشوقته التي يهيم بها حُبًّا ليلًا ونهارًا.

sa7eralkutub.com

أيمن.. شعر عمر بغصة في قلبه عندما تذكر أيمن.

تذكَّر عمر عندما قرر أيمن عقب إعلان نتيجة تخرجهما أن يصرّح له مَن هي الحبيبة التي سلبت عقله منذ سنوات، وأن الحب بينهما لا يزيد عن نظرات ومشاعر لم تصل لحد التصريح.

تعجب عمر وقتها من الحب الصامت الذي يعلم مدى قوته من خلال معرفته بأيمن، كانت مفاجأة حقًا عندما أخبره أيمن وهو يتصبب عرقًا ويتلعثم في مقدمات طويلة، أن الحبيبة هي علا شقيقته، وأنه يريد أن يأتي في زيارة رسمية مع والديه وشقيقه لطلب يدها.

ظل عمر يضحك لدقائق.. وقتها ظن أيمن أن هذه الضحكات سخرية من طلبه، فسأله بضيق:

- بتضحك على إيه؟ انا فيا حاجة مش عاجباك؟

توقف عمر عن الضحك وقال له يطمئنه:

- لأ طبعًا.. أنا بضحك إني ازاي مالاحظتش حاجة زي دي قبل كده.

- هتلاحظ إيه بس يا عم عمر.. هو فيه حاجة تتلاحظ، أنا كنت بخاف ابص لها لاحسن انت تحس واخسرك.. ومكنتش أقدر اتكلم قبل كده.

- وانت عايز إيه دلوقتي.

- أتقدم لها.

قاطع أفكار عمر صوت باب حجرته وهو يُفتح.

دخلت روان ذات السنوات الست:

sa7eralkutub.com

- خالو.. خلصت لبس؟

- أيوة.. ماما وتيتة فين؟

- تيتة زعقت لماما، وماما بتعيط وانا بزعل لما ماما بتعيط.

دخلت والدة عمر

فجأة:

- يالا ياعمر.. هنتأخر ع الناس.

وجَّه عمر كلامه لروان:

- روحي ياروان بوسي ماما وصالحيها لحد ما اجي اصالحها.

خرجت روان ووجَّه عمر كلامه لوالدته:

- إيه اللي حصل.. مالها علا؟

جلست الأم بجوار عمر:

- أنا مش عارفة اعمل معاها إيه.. نزلنا من كام يوم اشترينا طقم لها وطقم لروان علشان يحضروا بيه النهارده، لقيتها لابسة طقم قديم من عندها، وقال إيه بتقولي مش هقدر ألبس وانزل كده.

- ليه ماله؟؟ ومش هي اللي اشترته.

- اسألها.. أنا خلاص أعصابي مبقتش مستحملة وانا شايفاكم كده.

بكت أم عمر وهي تتكلم.. ردَّ عمر:

- مالنا بس يا ست الكل.. ما احنا زي الفل اهو.

sa7eralkutub.com

- كلمها يا عمر ينوبك فيا ثواب.. خلها تحس بيا شوية.

- حاضر.

تقدَّم عمر بجذعه ليقترب من عكازين بجانب سريره.

استند على عكازيه اللذين لا يستطيع أن يمشي بدونهما، وغادر حجرته متجهًا لحجرة علا. طرقَ الباب طرقتين متتاليتين.. فتح الباب بعدهما، وجد علا جالسة تبكي وبجوارها روان تجلس صامتة.

جلس عمر على أقرب كرسي لعلا ووضع عكازيه بجواره:

- مالك ياعلا؟

مسحت علا دموعها:

- مفيش يا عمر.. مبروك ربنا يتمم لك بخير.

- الله يبارك فيكي.. بس قوليلي زعلانة ومزعّلة ماما ليه؟

وردت علا بانفعال:

- مزعلة ماما!! هي اللي مش حاسة بيا.

- في ايه بس؟

- دلوقتي ماما مصممة ألبس طقم جديد، وانا مش قادرة ألبسه وانزل بيه كده.

- ليه ماله؟مش انتي اللي شارياه.

sa7eralkutub.com

- اشتريته يا عمر من زن ماما عليا وزعلها وقلبة وشها لما قلت مش عايزة هدوم.

- مش فاهم برضه الطقم ده بالذات.. ماله؟

- فاقع.. لونه فاقع وانا مش هلبس الألوان دي.. أنا قلعت الإسود من زن ماما عليا اللي تعبت منه.. بلبس غوامق ماشي إنما ألوان وأفرح واعيش حياتي زي ما ماما عايزة مش قادرة.. بجد مش قادرة.

وأجهشت علا بالبكاء.. اقتربت منها روان واحتضنتها.. ضمتها علا أكثر لصدرها.

ربت عمر على كتفها:

- طيب قومي اغسلي وشك وانزلي باللي يعجبك.

مسحت علا دموعها نظرت لعمر:

- آسفة يا عمر اني نكدت عليك في يوم زي ده.. والله انا فرحانة لك من قلبي بس ماما ضغطت عليا أوي.

قام عمر مستندًا على عكازيه:

- أنا فاهم.. متزعليش انتي بس وبالا اجهزي.

خرج عمر من غرفة علا.. وجد والدته تنتظره في الصالة، سألته بلهفة:

- هاا.. هتلبس الطقم الجديد؟

- ماتسيبها براحتها ياماما.

- أسيبها الحزن ياكل في سنين عمرها كده وهي ساكتة وانا بتفرج.

sa7eralkutub.com

- أعذرها.. متنسيش كانت بتحب أيمن أد إيه.

- منسيتش.. بس هتدفن شبابها معاه.. اللي أدّها لسه متجوزوش وانا نفسي افرح بيها.

- وروان ياماما.

- روان اهي معايا.. أو تبقي معاها.. بس هي توافق تتجوز.

- ياماما الحاجات دي مينفعش فيها زن.. سيبيها براحتها علشان خاطري.. مش كل شوية نلاقيكي جايبة لها عريس اللي أكبر منها ب20 سنة واللي متجوز وعايز يتجوز على مراته.. مش كده يعني.

- وانت فاكر إن وهي قاعدة في البيت كده حد هيشوفها.

جاءت علا بعدما غسلت وجهها.. ردت:

- ياماما أنا مش هتجوز.. مش هسيب بنتي واتجوز.. مش هنسى أيمن الله يرحمه.. سيبيني براحتي أبوس إيدك.. لو متضايقة من وجودي أنا وبنتي هروح عند أهل أيمن بس متضغطيش عليا.

وانفعلت الأم وهي تُشهِد عمر:

- شايف؟؟ بتقول اتضايقت من وجودها.

وارتفع صوت عمر:

- أنا تعبت مش معقول كده.. إيه اللي جرالكم سايبين اليوم كله وجايين تتكلموا واحنا نازلين.. مش فيه ناس مستنيينا.

قامت الأم: أنا جاهزة.. يالا.

* * *

sa7eralkutub.com

- 6 -

قيل قديمًا إن الضغط يولِّد الانفجار..

ولكنه أحيانًا يولِّد الاستسلام

sa7eralkutub.com

«نيفين سعيد حلمي»

نيفين الابنة الصغرى المدللة الجميلة، والتي تخرجت العام الماضي من الجامعة، فوجئت بوالدتها منذ أسبوعين مضيا تخبرها بتقدُّم عريس، سألتها بلهفة وسعادة:

- عريس؟!! مين هو ؟؟

- عمر.

- عمر مين؟

- عمر ابن ام عمر اللي قابلناها من فترة واحنا راجعين من عند نهى، وقعدت تسأل عليكي وعلى اختك.

حاولت نيفين أن تتذكر، وتساءلت لمزيدٍ من التأكُّد:

- أصحاب العمارة اللي ع الشارع الرئيسي؟

- هما بعينهم.

ردت ألفت على ابنتها وانشغلت بتوضيب أطقم وملابس في شنط "هاند باج" متوسطة الحجم، ألفت التي تعمل دلالة يعرفها أهل الحي والأحياء المجاورة.

سيدة مصرية بسيطة لم تكمل تعليمها بسبب زواجها المبكر. كانت تعيش حياة مستقرة مع زوجها "سعيد" الموظف البسيط بعد أن جاءا من الصعيد ليعمل سعيد في القاهرة.

sa7eralkutub.com

أنجبت نهى، ثم بعدها بثلاث سنوات أنجبت نيفين في ولادة متعسرة. قيل وقتها إنها لن تنجو منها.. ولكنها نجت هي وابنتها. وقد حذرها الطبيب من خطورة الحمل مرة أخرى.

ظهرت بعدها المشاكل مع زوجها.. فكان دائمًا ينعتها بأم البنات والأرض البور التي لن تنجب له الولد الذي يحلم به.

وبعد أقل من سنتين، قرر الزواج من أخرى لتنجب له الولد.

في البداية كان يعدل بين البيتين، ولكن مع حمل زوجته الثانية وضيق ذات اليد، أرسل لألفت ورقة طلاقها في يوم لن تنساه أبدًا: حيث كانت تستعد للذهاب إليه لطلب القليل من المال لكي تتفكن من شراء طعام لطفلتيها؛ فمنزلها كان خاويًا من الطعام والمال. استقبلت وقتها دموعها بدموع بناتها الجوعى.

sa7eralkutub.com

جرحها لم ينسها كرامة تربّت عليها. فكرت كيف ستتصرف لمواجهه حياتها من الآن. وجدت دبلة زواجها بيدها. أخذت ابنتيها في يدها وذهبت لتبيع دبلتها واشترت بعض لوازم البيت. ولكنها قضت ليالي تفكر فيما ستفعل بعد نفاد مالها القليل.

بحثت عن عمل. ولكن لم يكن متاحًا لها سوى العمل كخادمة.. حاولت. ولكنها لم تستطع العمل والاعتناء ببناتها في نفس الوقت. حتى توصلت لفكرة التجارة البسيطة لأهل الحي.. باعت حجرة نومها لتتخذ من ثمنها بداية لرأس مال بسيط تبدأ به تجارتها.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

بدأت عملها من خلال تعاطف الناس معها.. ومع الوقت، اكتسبت حب الناس وتوطدت علاقتها بكل بيوت الحي ومنها للأحياء المجاورة، ومن خلال عملها استطاعت أن تربي بناتها وتُعلمهم.. اكتفت نهى بدبلوم التجارة، بينما لم تكتفِ نيفين بمؤهِل متوسط وحصلت على ليسانس آداب.

عندما أخبرت نيفين برغبة عمر ووالدته في التقدم لها.. شعرت أن ابنتها لم تسعد كما كانت تتوقع.. تجاهلت إحساسها وأكملت عملها خلال اليوم، حتى جاءتها نيفين قبل أن تنام، وجلست بجوارها:

- ماما.. أنا مش عايزة عمر ده.

اعتدلت ألفت في جلستها، وبنبرة لم تحمل أي إشارة بموافقة أو عدم موافقة:

- ليه؟

- أنا عارفاه.. ده... ربنا يعافينا يعني.

قاطعتها ألفت:

- الراجل ميعيبوش حاجة.. عمر ميتعيبش.

ردت نيفين مستنكرة:

- وانا ليه اتجوز واحد بعاهة.. ناقصني إيه؟

ابتسمت ألفت بمرارة:

- إسمعي يا عين امك.. إنتي ناقصك حاجات كتير أوي يمكن تكوني مش أخدة بالك منها بس لازم تفتكريها كويس.

sa7eralkutub.com

- لأ يا ماما، أنا مش ناقصني حاجة.. بنات كتير أقل مني في الجمال وبيتجوزوا جوازات حلوة.. وانا متعلمة ومعايا شهادة عالية وشاطرة وبدوَّر على شغل، ولما اشتغل أكيد هقابل ناس أحسن من عمر ده.

- وجمالك وشهادتك دول مشفعولكيش ليه عند اللي اتقدمولك قبل كده.

صمتت نيفين تبحث عن ردٍّ مناسب.. أردفت ألفت:

- بصي يا بنتي احنا ناس على أد حالنا أوي، وزي ما شفتي قبل كده اللي كانوا بيتقدمولك منهم اللي كان بيمشي لما يعرف ان ابوكي سايبنا من زمان، ومنهم اللي بيمشي لما يشوف بيتنا البسيط ده، ومنهم اللي بيمشي لما بيعرف شغلتي.. أنا مش عايزاكي تخيبي خيبة اختك وتتجوزي جوازة ماشية بالزَّق زي جوازتها.. شوفي أهل جوزها عاملينها خدامة ازاي وجايين عليها علشان عارفين ان مالهاش ضهر.. عمر إن كانت رجله تعبانة شوية فهو ابن ناس طيبين عارفين حالنا وشارين.. كفاية ان عنده شقة وعربية وبيتهم مِلك.. وابوه الله يرحمه كان مبسوط وتلاقي سايبله كتير.. إتجوزيه علشان ينتعك من الفقر اللي عيشتي فيه طول حياتك.

واستسلمت نيفين لوالدتها.. استسلامًا أكثر منه اقتناعًا وتقابلت مع عمر أكثر من مرة لم تتجاوز الثلاث مرات.

في كل مرة كان يقوم بزيارتهم في منزلهم مع والدته محمَّلًا بالهدايا.

كانت ترى نظرات الإعجاب في عينيه، نظرات تعودت أن تراها في عيون كل من يراها، فكرت كثيرًا في الرفض.. حتى الليلة الماضية.. ليلة قراءة الفاتحة.. ولكنها اقتنعت بكلام والدتها، وأن عمر حقًّا فرصة لن تتكرر إذا ضاعت منها.

sa7eralkutub.com

سمعت نيفين طرقات باب البيت وهي في حجرة المنزل الوحيدة التي تتقاسمها مع والدتها.. بجوارها نهى تضع اللمسات الأخيرة لإتمام زينتها.

ألفت: أنا هروح افتح واقعد معاهم. وبعدين اطلعوا هاتوا الصينية اللي في المطبخ وتعالوا قدموا.. تقدمي لحماتك الأول يا نيفين، وبعدين العريس وبعدين أخته وبنتها.. ربنا يتمم بخير يارب.

أنهت ألفت كلامها بسرعة قبل أن تغلق باب الحجرة على بناتها وتذهب لاستقبال الضيوف،

سألت نهى، نيفين:

- مالك يا عروسة.. شكلك مش مبسوطة.

- منبسط على إيه.. انتي مش عارفة عمر يعني.

- عارفاه.. وان كان على موضوع رِجله معلش ياستي بكرة لما يجيبلك كل اللي نفسك فيه مش هتحسي انه ناقصه حاجة.

- يا نهى أنا مش عارفة ممكن امشي معاه في الشارع ازاي.

- تمشي!! وإيه اللي يمشيكي وعنده عربية.

- افرضي نفسي اتمشى مع خطيبي.

- اسكتي ياختي.. مشينا لما رجلنا دابت أخدنا إيه يعني.. يالا افردي وشّك كده وقومي علشان تطلعي للناس.

****

sa7eralkutub.com

أثناء جلوس الأسرتين معًا، كانت نظرات عمر لنيفين تعبّر عن الحب والفرحة، أما نيفين فكانت تشيح بوجهها عنه طول الوقت.

وبعد كلمات الترحاب الشديد من ألفت، بدأت أم عمر بالكلام:

- قوليلي يا ألفت نقرا الفاتحة الأول، ولا تقوليلي طلباتك الأول.

ألفت بفرحة: نقرا الفاتحة.

قرأوا الفاتحة جميعًا.. وأكملت أم عمر:

- طلباتك إيه يا ألفت؟

ألفت: ولا حاجة.

نظرت لها نيفين شذرًا.. لم يلحظ أحد تلك النظرة حتى ألفت.

- لا ازاي ولا حاجة.. دي نيفين نجيبلها أحسن حاجة.

- بصي يا ام عمر.. نيفين اعتبريها أخت علا.. اللي عملتيه مع علا إعمليه لنيفين، وانا كفاية عليا إني ابقى مطمنة عليها مع ناس طيبين زيكم.

عمر: اطمني على نيفين.. هشيلها في عينيا.

ألفت: مطمنة يا حبيبي، ربنا يسعدكم.

نظر عمر لنيفين، وأخرج من جيبه علبة صغيرة.

عمر: بعد إذنك يا طنط أنا جبت دبلة وخاتم بسيط، والشبكة ان شاءالله تبقى نيفين تختارها براحتها.

sa7eralkutub.com

أم عمر: أنا بقول نعمل الشبكة وكتب الكتاب والدخلة كله مع بعض.. شقة عمر في العمارة جاهزة ومش ناقصها إلا حاجات بسيطة.

ألفت: إن شاءالله.

وانطلقت منها زغرودة عالية.. فيما كانت أم عمر وعلا تباركان لعمر ونيفين.

نهى: ربنا يتمم بخير.. مبروك يا نيفين. مبروك ياعمر.

أم عمر: تعالي يا نيفين اقعدي جنب خطيبك يلبسك الدبلة.

انتقلت علا من مكانها بجوار عمر لمقعد آخر، وجلست نيفين بجواره.

فتح عمر العلبة، ومدَّ يده ليد نيفين، وضعت نيفين يدها في يد عمر ببرود، وضع دبلته في يدها، وقبل أن يضع الخاتم أبعدت يدها، وبصوتٍ خافت بينما الموجودون يتحدثون سويًا:

- انت ليه جبت الخاتم لوحدك؟

- مكنتش لوحدي.. ماما وعلا كانوا معايا.

- هما مامتك وعلا اللي هيلبسوه؟

ارتبك عمر من عدم فهمه لما تقصده نيفين.. وأردف:

- مش عاجبك؟

ردت نيفين وهي تشيح بوجهها:

- مش عاجبني.

ظلت يد عمر ممدودة بالخاتم.. أُحرج.. أعاد العلبة لجيبه مرة أخرة.

sa7eralkutub.com

لاحظ الجميع أن هناك شيئًا ما بين العروسين.

أم عمر: إيه يا ولاد مالكم؟

ألفت بمحاولة للتغطية على ما شعرت به من نفور نيفين:

- معلش تلاقيها مكسوفة شوية بس.

عمر مبتسمًا محاولًا التغلب على إحراجه:

- ممكن يا طنط أخد نيفين ونخرج نتعشى بره؟

ألفت بفرحة: وماله يابني.. ربنا يسعدكم.. قومي يا نيفين مع خطيبك.

عمر لوالدته: هتقوموا ولا قاعدين؟

ألفت: خليكي يا ام عمر منوراني.

أم عمر: معلش هنمشي احنا.. إبقي هاتي نهى وتعالي زورونا.

* * *

sa7eralkutub.com

- 7 -

أحيانًا تكون الحقيقة واضحة، ولكننا نتجاهلها..

لأننا لا نريد أن نفقد سعادتنا..

sa7eralkutub.com

جلست نيفين في السيارة، وأغلق عمر الباب، ثم اتجه للجانب الآخر ليركب بجوارها. كانت تنظر له وهو يجلس في السيارة ويضع عكازيه في الخلف، سألته بحيرة: انت بتسوق ازاي؟

رد مبتسمًا: علشان رجلي يعني.. دي عربية لذوي الاحتياجات الخاصة.

هزت رأسها والتفتت لتنظر من الشباك بينما تحرك عمر بالسيارة، كان يختلس النظرات لها وهي تتجاهله تمامًا.

- نيفين.

- نعم.

- مش ملاحظة انك ملبستنيش الدبلة لحد دلوقتي.

- عادي.. ممكن تلبسها دلوقتي.

- وانتي مش هتلبسهالي.

ردت بضيق: هاتها البسهالك.

شعر عمر بضيقها، فأردف:

- أنا عارف انك متضايقة علشان الخاتم معجبكيش.. قبل مانروح أي حتة هاروح نغيَّر الخاتم وتختاري اللي يعجبك.

ابتسمت نيفين بفرحة.. فرحة انتصار لإرادتها.

- أيوة كده.. أخيرًا شفت ضحكتك الحلوة.. أنا عايزك تبقي مبسوطة على طول ومتتضايقيش أبدًا.

sa7eralkutub.com

- المهم انك متضايقنيش.

- أنا اضايقك؟؟ انتي متعرفيش انتي بالنسبة لي إيه؟

- إيه؟؟ تصدق عايزة اسألك السؤال ده. أول ما ماما قالت لي انك عايز تتقدم لي.. اشمعنى انا؟ وليه؟

- إيه السؤال الغريب ده؟

- غريب ليه؟ فيها إيه لما اعرف خطبتني ليه.

- حبيتك.

ضحكت ساخرة:

- من إمتى؟

فسَّر عمر ضحكتها أنها فرحة، وردَّ فرحًا:

- من ساعة ما ماما قالت لي عليكي وبدأت اخد بالي منك، ولما شفتك الكام مرة اللي جينالكم فيها حسيت اني اتعلقت بيكي أوي، وفرحت لما عرفت انك وافقتي.. إن شاءالله يانيفين مش هتندمي أبدًا. وهعمل كل حاجة تخليكي سعيدة.

ابتسمت نيفين.. ولكن تلك المرة بفرحة وأمل في مستقبل ربما يحمل لها سعادة حرمت منها.

****

sa7eralkutub.com

وقفت نيفين أمام مجموعة من الخواتم تختار من بينهم، ظلت تنتقي وترتدي وتبدّل حتى استقرت على أحدهم:

- إيه رأيك في ده يا عمر.

- حلو.

- خلاص.. هاخده.

أعطته للبائع يزنه.. وأخرج عمر الخاتم الذي بحوزته، وأعطاه للبائع:

- هنبدل ده بده لو سمحت.

أخذ البائع الخاتم.. وزن الاثنين.

البائع: كده فيه فرق 1200 جنيه.

تبادل عمر ونيفين نظرات سريعة.

نظرات عمر رجاء من نيفين أن تنقذه من المأزق قبل أن يطلب.

نظرات نيفين كلها تحدٍ وكأنها على شفا حرب.

ظل الصمت سيد الموقف، والبائع حائر ماذا يفعل.

البائع: ها يا استاذ.. حضرتك هتاخد الخاتم ولا تشوف واحد تاني.

سألها عمر بتوسل:

- نشوفي واحد تاني.

ردت بتحدٍ:

sa7eralkutub.com

- بس ده اللي عاجبني.

تدخل البائع وهو يرد لهما خاتمهما ويسحب خاتمه على الميزان:

- طيب فكروا مع بعض وانا تحت أمركم.

تنحى البائع بعيد قليلًا.. وانشغل بزبائن آخرين.

مال عمر في اتجاه نيفين، التي كانت ثابتة ونظراتها مثبتة على عمر.

- تختاري واحد تاني؟

- ده اللي عاجبني.

عمر متلعثمًا:

- بس انا مش عامل حسابي، ومش معايا المبلغ ده دلوقتي.

وعلا صوتها قليلًا:

- اااه يعني الحكاية حكاية فلوس.

نظر عمر حوله محرجًا.. وذكَّرها:

- نيفين.. الناس هتسمعنا.

- خلاص ياعمر مش عايزة حاجة.. أنا فهمت انت ليه روحت انت واهلك اشتريتوا خاتم على مزاجكم.. استرخصتوا خاتم أي كلام وجبتوه.

- لأ طبعًا مش ده اللي حصل.. ولا بصينا لفلوس خالص.

- ماهو واضح.. يالا بدل مش هنشتري الخاتم.

sa7eralkutub.com

نهضت نيفين من مكانها.. نهض عمر مستندًا على عكازيه.

نادي للبائع:

- لو سمحت.

اقترب منه البائع

- تحت أمرك.

- هو انا ممكن ادفع جزء من الفرق دلوقتي واجي بكرة اكمل الفلوس واخد الخاتم.

- أه ممكن.. وهكتب لحضرتك إيصال بكده.

- متشكر.

انفرجت أسارير نيفين.. وابتسمت لعمر.

اعتقد عمر أنها ابتسامة رضا، ولكنها كانت كالابتسامة السابقة.. ابتسامة انتصار لإرادتها.

****

أغلق عمر باب المنزل خلفه.. وجد المنزل هادئًا.

اتجه لغرفته مباشرة، وبمجرد جلوسه على طرف السرير ليبدأ خلع ملابسه، سمع طرقات خفيفة على الباب.

- اتفضلي ياماما.

sa7eralkutub.com

دخلت علا:

- ماما نامت هي وروان وانا كنت في أوضتي سمعتك جيت.. أنا كنت واقفة في البلكونة من ساعتين كده لمحت عربيتك قُدَّام بيت نيفين بس مفسرتش مين ركب ولا مين نزل.. انت كنت عندهم.

- لأ انا وصلتها وروحت قعدت في المحل شوية.

- وصَّلتها ساعة ماشفتك؟؟ يعني ملحقتوش تتعشوا.

خلع عمر الجاكيت وهو يرد:

- لا ملحقناش.. هنعوضها بكرة ان شاءالله.

احضرت علا ملابس البيت لعمر من الشماعة، ووضعتها بجواره على السرير، وجلست أمامه على الأرض تساعده في خلع حذائه.

أبعد قدميه عنها:

- علا.. لا يا علا، أنا بقدر افك الرباط.. شكرًا.

نهضت علا وسحبت كرسيًا وجلست في قبالته:

- ولو ان مفيهاش حاجة ومش أول مرة اساعدك يا عمر بس المهم عندي راحتك.. قولي إيه اللي حصل؟

- محصلش حاجة.

- عمر.. أنا لاحظت ان انت ونيفين كنتوا مش مبسوطين ساعة الدبل.. انتوا اتخانقتوا بره علشان كده رجعتها البيت.

sa7eralkutub.com

- لأ متخانقناش.. هو حصل موقف محرج بس.

- إيه اللي حصل.

- الخاتم معجبهاش فقلت مش مشكلة اغيرهولها.. روحنا نغيره لقيت اللي عجبها بفرق 1200 جنيه وانا مكنش معايا غير 500 فأحرجت أوي.

- 1200 جنيه فرق ليه ياعمر.. الخاتم اللي احنا جايبينه مش رخيص.. هي اختارت واحد تقيل أوي للدرجة دي.

- مش عارف ياعلا. أنا مبفهمش في شِرا الدهب وحاجة الستات دي، أنا بس بقيت مش عارف اعمل إيه وهو ده اللي عاجبها.

- وبعدين إيه اللي حصل؟

- دفعت للراجل ال500 جنيه اللي معايا. وقلت له بكرة اكمل الفلوس وناخد الخاتم، وقلت لها بكرة الضهر نروح ناخد الخاتم ونتغدا مع بعض.

- مبسوط يا عمر؟

ردَّ مبتسمًا: الحمدلله.

نهضت علا. وأعادت الكرسي مكانه. وقالت وهي مغادرة الحجرة:

- الحمدلله يا عمر.. ربنا يسعدك يارب وألف مبروك.. هحضر لك العشا لحد ما تغير هدومك.

رغم الضيق الذي شعرت به علا من تصرف نيفين وقلقها إزاء موقف الأخيرة، إلا أنها لم تستطع أبدًا أن تكسر فرحة عمر وتوجهه لما شعرت به.

sa7eralkutub.com

****

دخلت أم عمر حجرته، فتحت الشباك واتجهت لعمر توقظه:

- عمر.. عمر.

وبنصف يقظة رد عمر:

- الساعة كام.

- 10 ونص.. انت مش رايح المحل.

ردّ وهو يفرك عينيه ويعتدل في جلسته:

- أه.. هقوم اهو.

قالت بحدة: فوق كده وقوم كلمني.. أنا مستنياك بره.

****

خرج عمر من حجرته بعد ان ارتدي ملابسه

بادرته والدته

- منعملش حسابك ع الغدا؟

- أيوة.. هتغدا مع نيفين بره.

وبانفعال سألته والدته:

- أختك حكت لي على اللي حصل امبارح.. ازاي تهاودها كده.

sa7eralkutub.com

- أهاود مين؟؟علا؟؟ انتي لسه بتتكلمي في موضوع اللبس ده ياماما.

- لبس إيه وزفت إيه.. أنا بتكلم على نيفين.. رايح تجيب لها خاتم تاني ليه.

أنت علا من المطبخ على صوت والدتها.. استاءت من انفعال والدتها، وخافت أن يتصور عمر أنها قصدت الوقيعة بينهما.

أرادات علا تلطيف الجو المتوتر:

- إيه يا ماما بس.. فيها إيه لما يجيب لخطيبته خاتم.

أم عمر: أومال هو مكنش جايب.. وبعدين احنا جايبين خاتم غالي يغيّره ويجيب اغلى منه ليه؟

عمر: مفيهاش حاجة ياماما.. محبتش اكسر بخاطرها في أول طلب تطلبه.

علا: ماما انتي مكبرة الحكاية أوي.

تحدثت أم عمر بنبرة اهدأ وبدت أنها تفكر وهي تجلس:

- إحنا لسه قدامنا هم ما يتلم.. شبكة وعفش وجهاز وأكيد هتطلب فرح.. اللي متبقي مش هيكفي كل ده، ولو كفى هنعيش منين وإيجار العمارة إيجار قديم، وكل اللي حيلتنا راح.

تبادل عمر وعلا نظرات سريعة.. ردد بعدها عمر وهو يتجه للباب:

- ربنا هيدبرها إن شاءالله.. سلامو عليكو.

أغلق عمر الباب خلفه.. جلست علا بجوار والدتها وقالت:

- شكله زعل.

- يزعل من إيه.. الحق عليا إني بفكّره ان قدامنا مصاريف كتير.

sa7eralkutub.com

- أنا خايفة يكون فهم غلط.

- غلطت ازاي.

- يعني يكون افتكر انك تقصدي انك زعلانة إن كل فلوسنا راحت على علاجه.

- معقول يا علا يفتكر كده.. ده انا كنت ممكن ابيع عفش البيت واشوفه واقف على رجليه تاني.

- يبقى بالهداوة يا ماما ومن غير عصبية.. انتي مشفتيش كان فرحان ازاي امبارح.. ربنا يسعده كمان وكمان.

- أمين يارب ويسعدك يا بنتي ويرزقك بابن الحلال اللي يعوضك خير.

ردَّت علا بانفعال وهي تعود للمطبخ مرة أخرى:

- تاني يا ماماااا.. مش معقول كده بقى.

****

وصل عمر للمحل الذي ورثه عن والده، والذي أعاد تشغيله بعد إغلاقه، وبعد أن غيَّر نشاطه ليعمل بيع وشراء وتصليح أجهزة الكمبيوتر واللاب توب.

رآه حمدي.. الشاب الذي يماثله في العمر ويعمل في المحل، فأخذ مقعدًا بسرعة، وقابله على الباب:

- اقعد هنا خمسة بس لحد الأرض ما تنشف.

جلس عمر وهو يسند عكازيه على الحائط، وحمدي يتحرك في المحل بسرعة وخفة لترتيبه. وبعد قليل جاء حمدي بمقعدٍ آخر، وجلس بجواره أمام المحل:

sa7eralkutub.com

- مبروك يا عريس.. الدبلة منورة.

ابتسم عمر وهو ينظر لدبلته:

- الله يبارك فيك.. عقبالك.

- إن شاءالله.

صمت حمدي قليلًا. ثم قال لعمر:

- عمر.. بقولك إيه، لو انت مش عارف تجيب حد ممكن اشوف انا.

صمت عمر.. في الأسابيع الماضية تحمَّل حمدي وحده العمل في المحل بعد ما ترك زميله الآخر العمل.. طلب حمدي أكثر من مرة البحث عن زميل له حتى يساعده في العمل الذي يستمر طوال اليوم ولساعات متأخرة.. أما عمر فقد استراح من راتب عامل آخر.

جلس على مكتبه شاردًا.. يحمد الله في كل صلاة على نعمة الستر.. فلا أحد سوى والدته وشقيقته يعلم حقيقة مستواهم المادي: فالظاهر أن حياتهم لم تختلف عن ايام الرخاء في حياة والده.. ولكن مالا يعلمه أحد أن كل ما تركه والده من مالٍ وعقارات لم يعد موجودًا بعدما تم صرفه على علاج عمر بعد الحادث.

الحادث.. هزَّ رأسه لينفض ذكرى أسوأ يوم في حياته على الإطلاق.. الحادث الذي طرحه الفراش عاجزًا عن الحركة لسنوات.. الحادث الذي أودى بحياة أيمن صديق عمره وزوج شقيقته، عندما كانا عائدين من زفاف أحد أصدقائهما.

قاطعه حمدي قائلًا:

sa7eralkutub.com

- أنا عندي مشوار بالليل على الساعة 7 كده.. هتفضل لوحدك؟

- وهترجع تاني إمتى؟

- مش عارف.

فكر عمر قليلًا.. ثم قال:

- عندي فكرة ياحمدي عايز اخد رأيك فيها.. بقول لو تخليك انت لوحدك في المحل وانا معاك طبعا.. وهزودك 50% من المرتب.

أراد عمر أن يوفر نصف مصاريف راتب عامل آخر.. دون ظلم حمدي.. أما حمدي فقد صمت قليلًا يفكر في العرض.. نصف راتبه زيادة لم يحلم بها.

قال عمر: فكر ياحمدي ورد عليا.

- ماشي.. فيه جهاز عايزك تبص عليه لحد ما اخلّص الجهاز اللي كنت شغال فيه امبارح.

- خليها لما ارجع.. أنا عازم خطيبتي على الغدا. هخلص وارجع اقعد عليه لحد ما اخلصه إن شاءالله.

بعد بضع ساعات. كان عمر ونيفين جالسين في أحد المطاعم.

مطعم شهير للمأكولات البحرية.. كما طلبت نيفين. كانت نيفين تنظر حولها في رضا تام عن المكان.. سعيدة لدخولها مكان لم تكن تحلم بدخوله وحدها أو من دخلِ والدتها البسيط.

كانت تعلم تمامًا أن جمالها يؤهلها أن ترتاد الأماكن التي تحلم بها.. يؤهلها أن ترتدي ماترتديه أغنى النساء.. كانت تنتظر الرجل الذي يحقق لها أحلامها.

sa7eralkutub.com

عندما وقعت بعينيها على عمر وهي تستدير في المكان، توقفت نظراتها على العكازين المسنودين بينهما فعوجت شفتيها استياءً وهي تبعد نظرها عنهما، فاصطدمت بنظرات عمر لها.

على عكسها تمامًا كان تفكير عمر.. غير مصدق أن تلك الجميلة الرقيقة تجلس معه، وستكون زوجته ومعه بقية عمره.

كان يرى نظراتها لما حولها.. استنتج سعادتها من لمعة عينيها التي تدور في المكان حتى استقرت عيناها عليه، ولكنه لاحظ استياءً ما، سألها:

- عجبك المكان؟

- آه.. حلو أوي.

- فيه حاجة ضايقتك؟

- لا.. هو محدش جالنا ليه يشوف طلباتنا.. إيه الخدمة دي.

ارتفع صوتها.. فأحرج عمر:

- بالراحة يا نيفين.. دلوقتي حد ييجي.

بعد انتهائهما من الطعام، رأت نيفين إحدى زميلات الجامعة تدخل المطعم برفقة رجل، خطيبها أو زوجها لا تعلم تحديدًا، ولكنها ظلت تنظر لهما؛ وخاصة للرجل الذي برفقة زميلتها.. نظرت لوسامته وأناقته وجسده الذي يبدو عليه الصحة، وقارنت بينه وبين عمر الذي أنهكه المرض رغم وسامته الشاحبة.

قبض صدرها حزنًا على فقرها الذي جعل والدتها ترى في عمر الفارس المنتظر.

sa7eralkutub.com

تلاقت عيناها بعيني زميلتها، فأشارت لها الأخيرة بالتحية، فردتها نيفين بابتسامة، وهزت رأسها. التفت عمر في الاتجاه الذي تنظر فيه نيفين، ثم سألها:

- تعرفيهم؟

- كانت زميلتي في الكلية.

- لو عايزة تقومي تسلمي عليها اتفضلي.

- لأ مفيش داعي.

مدَّ عمر يديه ليتناول العكاز، فسألته نيفين:

- على فين؟

- هقوم اغسل إيدي.

ردَّت بسرعة:

-لأ مش لازم دلوقتي.

سألها بتعجب.ليه؟

اختلست نظرة سريعة لزميلتها.. لا تريدها أن ترى عمر وعاهته.

ردت برجاء وابتسامة مصطنعة:

- خلينا قاعدين مع بعض شوية.

كلماتها وصوتها أثارا الخدر في أوصاله فصمت في حضرة جمالها.. يسمعها فقط وهو يراقب شفتها تتحدثان إليه.

sa7eralkutub.com

انقضت ساعة تثرثر فيها نيفين.. ازدحم المطعم فشعر عمر بالحرج.

- نيفين يالا.. احنا خلصنا أكل من زمان، وفيه ناس غيرنا عايزين يقعدوا.

اختلست نيفين النظر لزميلتها مرة أخرى.. فالتقت عيونهما لحظة وتباعدت، لم ينتظر منها عمر ردًا.. أشار للجرسون يطلب الحساب.

لا مفر.. نهض عمر وهو يستند على عكازيه.. ونيفين تتبعه بحسرة.

نظرت لزميلتها التي نظرت بشفقة لعمر: فأثارت شفقتها النار في صدر نيفين التي زفرت قائلة:

- يالا بقي.. الناس بتتفرج علينا.

صُدم لحظات أفاقت فيها نيفين على كلماتها الجارحة، فصححت مستدركة:

- إوعى تفهمني غلط.. أنا قصدي ان الكلام خدنا وقعدنا لحد ما الناس أخدت بالها منا اننا قاعدين نتكلم ومش بناكل.

هز عمر رأسه مصدقًا مبررها الساذج حتى لا يفسد فرحته بها.

خرج معها وهي تسبقه بخطوات حتى السيارة.

* * *

sa7eralkutub.com

- 8 -

فقدان الأمل فيما تمنيناه لا يعني بالضرورة فقدانه للأبد..

قد يحين أوانه في وقتٍ لم نكن ننتظر حدوثه فيه

sa7eralkutub.com

لم تتخيل إسراء أنها ستكذب على والدتها يومًا للقاء حبيب.. فالحب في قاموسها مشاعر تظل حبيسة حتى تظهر في إطار رسمي يخلو من الخوف والاختباء في الظلام. ولكن بمجرد أن طلب أحمد لقاءها.. اخترقت كلماته قلبها وسلبت عقلها وسقطت في دوامة تخيلات لقائها به وما قد يدور في هذا اللقاء.

ظلت تفكر في الحجة التي تستطيع أن تخرج بها وحدها من المنزل.. فكل طلبات البيت تأتي بها والدتها أو والدها.. أما طلباتها هي أو شقيقتها فدائمًا تذهب معها والدتها لشرائها.. وعلاقتها بصديقتها ملك ورنا أصبحت مقتصرة على المكالمات بعد زواجهما.

لم تجد بُدًّا سوى اللجوء لصديقتها لتشكو لها في حل بعد أن قصَّت عليهما التطورات الجديدة السريعة التي حدثت.

sa7eralkutub.com

فكرت الثلاث حتى وصلن لفكرة واحدة: هي: أن تأتي رنا في زيارة لإسراء وتحكي عن حاجتها لها لشراء بعض المفروشات الجديدة لوالدتها، وأن والدتها غير قادرة على ترك شقتها لإشرافها على أعمال التجديد والطلاء واضطرارها للتواجد مع العمال طوال اليوم، وفي آخر اليوم تكون منهكة غير قادرة على النزول للشراء.

نفَّذت رنا واسراء الخطة.. وافقت والدة إسراء بدون تردد، رغم تعجبها من عودة الزيارات فجأة بين رنا واسراء ولكنها لم تتوقف عند ملاحظتها كثيرًا.

كاد أحمد أن يصرخ فرحًا عندما أخبرته إسراء أنها تستطيع أن تلتقيه في أقرب وقت يحدده تبعًا لمواعيد عمله. أخبرته وأكدت عليه أنها غير معتادة على الخروج وحدها.. فكانت رسالة استقبلها جيدًا وطمأنها أنها لن تندم.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

في الموعد المحدد، ذهب كل منهما للمكان.. يطوي الشوق بالخطوات ويطأ لهفته تحت قدميه حتى يصل في أسرع وقت.

سبقها أحمد بلحظات مرت كدهر، حتى وجدها تأتي من بعيد، لم يستطع انتظارها.. فنهض وتقدَّم نحوها حينما أسرعت خطواتها هي الأخرى.

تصافحا.. لم يكن تصافحًا بالأيدي فقط.. بل عناق لقلوبهما أيضًا وكل منهما يرتوي من عيني الآخر بعد ظمأ السنين.

فرت الكلمات من فيهما.. وانتبها على وقوفهما لحظات دون كلام، فابتسما.. وأشار لها أحمد للطاولة التي كان يجلس عليها فتقدمته.

أجلسها وجلس قبالتها.. وحاول أن يبدأ كلامًا عاديًا:

- عاملة إيه؟

- أنا الحمدلله.. انت عامل إيه؟

- عمري ما كنت مبسوط زي النهاردة.

فتصنعت عدم الفهم وسألته بحياء:

- اشمعنى؟

- علشان شفتك بعد ما فقدت الأمل إني اشوفك تاني.. كنت بقول زمانها معاها طفل ولّا اتنين.

فأرادت تغيير الحديث بعدما شعرت بسخونة الدم في وجنتيها:

- ملك معاها بنتين ورنا معاها ولد.. وبيسلموا عليك أوي.

sa7eralkutub.com

- الله يسلمهم.. سلمي عليهم كتير وقوليلهم شكلنا هنتقابل قريب.

فسَّرت كلماته على أنه يريد لقاءهما كما أراد لقاءها.. مجرد زمالة قديمة.. فصمتت.

جاء الجرسون يسألهما عن مطلبهما.. فسألها أحمد:

- تشربي إيه؟

- اي حاجة.

قالتها وهي تنظر لبعيد.. فطلب أحمد لهما ثم سألها

- مالك؟ فيه حاجة؟-

- أبدًا.. مفيش.

- أنا فرحان أوي اني شفتك النهارده يا إسراء.

- شكرًا يا احمد.. بس ياترى فيه حاجة محددة كنت عايزني فيها؟

- هو مش كفاية نشوف بعض؟.. انتي متضايقة انك جيتي؟

- لا أكيد كنت عايزة اشوفك طبعًا.. بس اللي مضايقني اني كذبت على ماما علشان اجي اقابلك.. مبحبش اعمل حاجة غلط ومعنى اني خفت أقولها يبقى انا بعمل الغلط.

- أنا آسف اني خليتك تكذبي عليها.. ووعد مش هنتقابل تاني من وراهم.

طعنتها كلماته.. شعرت أنه لعب بمشاعرها، وأنها أيضًا مسئولة عن لعبه بها حينما استسلمت لمشاعرها هي الأخرى.

sa7eralkutub.com

نهضت منهية الحديث:

- أحمد معلش مستأذن.. فرصة سعيدة أوي اني شفتك وهبقى اطمن عليك من على الفيس.

تعجب أحمد ونهض هو الآخر مستجديًا أن يبقيها.

- استنى.. احنا ملحقناش نتكلم.. وبعدين إيه اللي حصل علشان تقلبي فجأة كده.

عادت مرة أخرى.. جلست وجلس هو الآخر. فقالت بضيق:

- عايزني في إيه يا احمد؟

تردد قليلًا.. حاول انتقاء الكلمات التي أعدَّها من قبل وأعاد تسميعها مرارًا. ولكنه فشل في أن يتذكرها.. فقال:

- أنا نسيت بصراحة الكلام اللي كنت محضّرُه.. بس هعمل زي ما حنان قالتلي.

- وحنان قالت لك إيه؟

- قالت لي أقولك الكلام اللي عايز أقولهولك خبط لزق كده.

بدأت إسراء تشعر بالصدق والحب في كلماته. ولكنها أرادت أن تتأكد. فسألته:

- طيب ما تقول.

- أنا كنت بحبك من واحنا في الكلية.. وقبل ما أقولك لقيتك بتقولي على العريس اللي جالك.. اتفاجئت وزعلت واتفرقنا.. بس لما اتقابلنا تاني على الفيس رجعت احبك زي الأول ويمكن أكتر كمان.

sa7eralkutub.com

قاطعته إسراء:

- ليه متكلمتش وقتها.. كنت وفرت عليا وجع القلب.

- سلامة قلبك من أي وجع.. اتوجعتي من خطيبك؟

- لأ.. اتوجعت منك انت.

- أنا؟!!

- أه.. انت.. لما قلتلي مبروك حسّيت إحساس وحش أوي.. حسيت ان نفسي انكسرت.

- يعني كنتي حاسة بيا؟

هزت إسراء رأسها إيجابًا.. فقال أحمد:

- أنا آسف على كل حاجة ضايقتك بسببي.. بس أكيد ربنا عمل كده علشان حكمة احنا مش عارفينها.. يمكن علشان اعرف اني محبيتش حد غيرك.. يمكن علشان اقدر اسافر وارجع وانا واقف على رجلي إلى حد ما.. أصل وقتها لو كنت اتقدمتلك كان هيحصل حاجة من اتنين.. يا هترفِض علشان محيلتيش حاجة.. يا مش هقدر اسافر وابعد عنك وافضل برضه محيلتيش حاجة.

قالت إسراء بفرحة وهي تطمئنه وتشجعه:

- الحمدلله اننا اتقابلنا تاني.

- مش عايز اضيع وقت.. كفاية اللي ضاع.. أنا عايز اتقدملك.

****

sa7eralkutub.com

عادت إسراء والفرحة تسبقها: فبمجرد دخولها المنزل شعت فيه البهجة والسعادة التي جاءت بها. كانت كالفراشة وهي تنتقل بين أرجاء المنزل بخفة وابتسامتها تملأ وجهها وصوتها يكاد يصدر ألحانًا عذبة.. تقبل شقيقتها وتعانق والدتها.. تلبي طلبات شقيقها دون جدال.

لاحظت والدتها أن سعادتها وعينيها المتلألئة يخفيان شيئًا ما سعدت له الأم ورفرف له قلبها.. رغم خوفها وقلقها على بكريتها.

في المساء، وقبل عودة الأب من عمله.. بينما كانت الأم في غرفتها تطوي الملابس.. نادت على إسراء التي جاءت مسرعة.

- نعم يا ماما.

- بتعملي إيه؟

- ولا حاجة.

- تعالي طيب طبقي معايا الغسيل.

جلست إسراء قبالتها تطوي معها الملابس.. ظلت الأم صامتة تراقب إسراء من تحت عينيها.. وجدت إسراء تطوي الملابس وهي شاردة تارة ثم تبتسم ثم تتذكر والدتها التي تجلس أمامها فتجمد ملامح وجهها.

تركت الأم الملابس من يدها.. وسألت إسراء:

- كنتي فين النهارده؟

فوجئت إسراء بالسؤال.. فقالت وهي تنكر التهمة الموجهه اليها

- كنت مع رنا.

sa7eralkutub.com

- بس؟

صمتت إسراء قليلًا.. فاستدركت الأم لطمأنتها:

- إحكي يا إسراء.. محدش هيفرح لك أدي، وفي نفس الوقت محدش هينصحك ويخاف عليكي زيي.. انتي تعرفي حد؟

احمرت إسراء خجلًا.. وحاولت انتقاء الكلمات حتى لا تؤكد كذبتها هي ورنا.. فقالت:

- أصل النهارده وانا مع رنا، قابلنا واحد كان زميلنا في الكلية، الكلام جاب بعضه وكان فاكرني اتجوزت، أصله اتخرّج أيام ما اتخطبت.. وبعدين لما عرف اني مش مخطوبة قال عايز يتقدملي.

صرخت الأم بفرحة:

- والنبي صحيح؟؟ طيب هو بيشتغل إيه، وأهله كويسين وأخلاقه إيه؟.. انتي تعرفيه كويس يعني؟

ردّت بخجل: أعرفه زمان كزميل يعني.. أخلاقه ممتازة جدًا وهو بيشتغل حاليًا محاسب في مصنع، وباباه موظف مش فاكرة فين له أخت واحدة.. ده كل اللي اعرفه عن أهله.

- وهو قال هيتقدم ولا عايز كلام وبس؟

ابتسمت إسراء بفرحة ممزوجة بالخجل:

- عايز يتقدم وانا كنت مكسوفة مش عارفة أقولكم ازاي.

مدت الأم ذراعيها لتحتضن إسراء وهي تقول:

sa7eralkutub.com

- أنا اللي أقولك مبروك يا حبيبتي، ويارب يطلع ابن حلال ويسعدك.

ارتمت إسراء في أحضان والدتها وقلبها يدق بشدة من السعادة، وسألت:

- طيب هتقولي لبابا ايه؟

- هتصرف.. وهقولك على معاد ييجي يقابلنا فيه.

- متأكدة إن بابا مش هيعترض؟

سألت الأم بقلق: هو فيه حاجة تقلق وتخليه يعترض؟

ردت إسراء بسرعة وحسم:

- أبدًا والله.. أنا بسأل عادي.

- اطمني.. هو بس ييجي يقابلنا ونشوفه ونسأل عليه وعلى أهله وبعدين نقرر..

مرت الأيام التالية بسرعة ويسر في كل الأمور؛ فلم يعترض والد إسراء على مقابلة أحمد.. وأتى أحمد ووالداه للتعرف على أهل إسراء.. وفي أول زيارة تمت قراءة الفاتحة بناءً على طلب أحمد

عاد أحمد ووالداه للمنزل قبل منتصف الليل بقليل.. نظر الأب في صمت للباب المغلق الذي تقبع خلفه حنان ثم دخل غرفته.

اتجهت الأم لغرفة حنان، فاستوقفها أحمد:

- خليني أقولها انا.

صمتت الأم وربتت على كتفه وهي تقبله:

- مبروك يا ابني.. حاول تخليها تخرج من اللي هي فيه ده شوية.

sa7eralkutub.com

- الله يبارك فيكي يا ماما.. من غير ماتقولي بحاول.

دخلت الأم غرفتها، واتجه أحمد لباب غرفة حنان وطرقه، لم يتلقَ ردًا؛ ففتح الباب وأطل برأسه ليجدها كما عهدها دومًا؛جالسة على سريرها، أمامها اللاب توب، السماعات في أذنيها.

ما إن رأته حتى ابتسمت وخلعت السماعات، وسألته:

- إيه الأخبار.. احكيلي؟

ابتسم فرحا وهو يجيبها

- الحمدلله.. قربنا الفاتحة.

أبعدت حنان اللاب توب عنها وانثنت تقبّل أحمد بوجنتيه:

- ألف مبروك يا حبيبي، ربنا يسعدك.

ردَّ بألم: سعادتي كانت تكمل بوجودك معانا.

لم ترد.. واكتفت بابتسامة حزينة.. أردف أحمد:

- الناس سألوا عليكي قلنا انك تعبانة من امبارح وبتاخدي علاج بينيمك.. الكلام ده ميدخلش على حد بس هنقول إيه؟؟ وافرضي صدقونا المرة دي.. بعد كده هنقول إيه؟ بعدك ده هيثير تساؤلات كتير.

- معلش.. سيبني براحتي.

- لأ يا حنان مينفعش اسيبك.. أنا حاسس بالذنب.

sa7eralkutub.com

- ذنب!! مش انت اللي المفروض تحس بالذنب، هو مش حاسس وهو فعلًا ذنبه كبير أوي.

- بابا برضه ياحنان.. قلبك اسود للدرجة دي.

- مش قلبي اللي اسود.. أيامي وسنيني اللي جاية هي اللي بقت كلها سواد.

- شفتي بقي انا ليه حاسس بالذنب.

- ليه؟

- مش قادر افرح ولا اشوف الدنيا حلوة وانتي شايفاها كده.

كم مؤلم ما يطلبه منها.. حاولت من قبل أن تخرج للعالم، ولكنها تخشى الناس.. تخشى مواجهتهم حتى لا تسمع ما يثير شجونها.. لا تريد رؤية الناس.. يجب أن تبقى كما قررت.. سجينة في بيتها.. لا بل في غرفتها.. من شاشة حاسوبها تطل على العالم وتظهر ما تريد وتخفي ما تريد.. هي المتحكمة في ما تظهر وما تبطن.. آمنة هي في غرفتها.. ولكن أحمد.. وفرحته التي بترتها بغيابها عن تلك المناسبة رغم محاولاته في أخذها معه.

لمعت في رأسها فكرة.. اقتنعت أنها الحل الأمثل الذي يرضيهما معًا.

- هات رقم إسراء.

- ليه؟

- هكلمها ابارك لها.

- طيب إيه رأيك تخرجي معانا بكرة؟

أجابت بحسم: أنا هكلمها وانت اخرج معاها.. ربنا يسعدكم.

sa7eralkutub.com

كرر أحمد طلبه من حنان.. بتوسل ورجاء:

- علشان خاطري.. اخرجي معانا وغيَّري جو.

- علشان خاطري أنا متضغطش عليا وسيبني براحتي.

فشل أحمد كمرات كثيرة سابقة.. كان على أمل أن توافق كالمرات القليلة التي استطاع فيها أن يخرج بها من عزلتها.

مض منكسًا رأسه.. بفرحته المبتورة.. أعطاها رقم إسراء واستأذن متجهًا لغرفته.

****

أطالت إسراء النظر للنيل وهما جالسان على الكورنيش.. همسَ أحمد في أذنها:

- ابيه اللي أخدك مني؟

التفتت له وأجابت:

- انت.

قال مازحًا: تلاقيكي بتقولي إيه الراجل البخيل ده اللي مقعدني على الكورنيش.

ردَّت بجدية: مش انا اللي طلبت.. يبقى ازاي هفكر كده.

سألها بحيرة: ليه صممتي نقعد هنا.. كنا روحنا أي مكان حلو نقعد فيه.

أجابت وهي تنظر لصفحة النيل:

sa7eralkutub.com

- أنا عايزة اعيش معاك كل الحاجات اللي كان نفسي فيها.. كنت كل ما اشوف اتنين حبيبة على الكورنيش أقول نفسي أقعد كده زيهم مع اللي بحبه.. أنا وهو وقدامنا النيل ونتكلم لحد ما الوقت يسرقنا وابص في الساعة ألاقيني اتأخرت أقوم اجري زي سندريلا.

قاطعها أحمد باسمًا: وانا مكنتش في الأحلام دي.

ضحكت وهي تفسر أحلامها:

- الأحلام دي من ثانوي، قبل ما اعرفك.. حلم اتأخَر تحقيقه وكنت فقدت الأمل إني احب واتحب.. يمكن تفكير عيالي شوية بس انا مبسوطة أوي أكتر ما كنا نقعد في مكان مقفول وحوالينا ناس كتير وكله بيراقب بعضه وصوت التليفزيون أو الموسيقى عالي وعامل دوشة.. مفيش أحلى من الهدوء ده.

ضغط على يدها التي بين يديه وهو يعدها:

- احلمي بس وقوليلي على أحلامك واوعدك اني هنفِّذلك كل اللي بتحلمي بيه.

قالت بتردد: أنا عايزة اسألك سؤال بس تجاوبني بصراحة.

ردَّ مؤكِّدا: أكيد.. اسألي.

- أختك رافضاني ليه؟

ردد متسائلًا: حنان!! رفضاكي؟؟ طيب ازاي.. فيه حاجة حصلت لما كلمتك في التليفون؟

- مقالتش بوضوح.

- مش فاهم؟

sa7eralkutub.com

- يعني كلمتني وقالتلي مبروك وكلمتين كده وخلاص.

- طيب ما الكلام عادي اهو.

- خلاص يا احمد.. إنت بتدافع عن اختك وخلاص.

- هدافع عنها ليه وهي مش غلطانة في حاجة.

- بص.. أنا عارفة انها ممكن تكون غيرانة عليك.. أو متضايقة علشان متخطبتش مثلًا.. بس مش لدرجة انها متحضرش قراية الفاتحة.

شعر أحمد بالضيق من أجل حنان.. مظلومة هي دومًا.

قال حاسما: متتكلميش عنها كده تاني.. انتي متعرفيش حاجة.

- معرفش إيه؟

تردد.. هل يخبرها حتى تلتمس لها الأعذار فيما بعد وتحترم عزلتها.. هل يصمت ويكتفي فقط بالدفاع عنها وتظل مظلومة كما ظُلِمَت من قبل.

أردفت إسراء:

- أحمد.. فيه حاجة مخبيها عليا؟

تحدث بألم: حنان مرت بظروف صعبة خلتها قافلة على نفسها دايمًا.. يعني متتوقعيش انك هتلاقيها عايشة حياتها زي أي واحدة في سنها.. هي تقريبًا عايشة في أوضتها وبس.

تعجبت إسراء من كلام أحمد.. صمتت قليلًا وتذكرت:

sa7eralkutub.com

- آه صحيح.. انت قلت لي قبل كده انك رجعت من السفر علشانها.. ليه؟؟ هي مريضة ولا حاجة؟

تلألأت الدموع في عيون أحمد.. لاحظتها إسراء فشعرت بالذنب.

توقعت أن حنان مريضة بمرض ما مينوس من علاجه وهو سبب عزلتها وسبب حزن أحمد.

قالت بصوت يملؤه الحزن:

- أنا آسفة مكنتش أعرف انها تعبانة للدرجة دي.

مسح دمعته التي فرت من عينيه رغمًا عنه.. وصحح:

- هي الحمدلله صحيًا كويسة إلى حدٍ ما.

- صحيًا كويسة!! أومال مالها يا احمد.. لازم تفهّمني على الأقل علشان لما اتعامل معاها مضايقهاش وانا مش قصدي.

قرر أحمد أن يتكلم.. ليزيح الهم الجاثم على صدره ولا يستطيع إزاحته.. ربما خففت عنه إسراء ولو قليلًا.. فبدأ يحكي:

- حنان كانت شخصية مرحة واجتماعية جدًا.. في آخر سنة في الكلية اتقدم لها ابن صاحب بابا.. إحنا مكناش نعرفه لأنه كان بيشتغل بره بس باباه وبابا اصحاب أوي، فطبعًا بابا رحّب جدًا وماما كمان رحّبت، بس كان المهم عندها ان حنان بنتها الوحيدة متسافرش وبالفعل هو كان أخد قرار إنه مش مسافر تاني وجاي يستقر هنا.. آخر حد فكروا في رأيه كان حنان.. في البداية رفضت لأنها مش عايزة تتجوز كده بس بابا قالها إن متفكرش انها هتتجوز بطريقة

sa7eralkutub.com

انية غير كده ومعندوش حاجة اسمها إنها تحب وان لو ده حصل هيرفضه
يما كان كويس.. ماما اقنعتها انه مناسب ولقطة ومش هتلاقي زيه.. وافقت
هي قلقانة من غير سبب.. اتخطبوا شهرين خلصت فيهم حنان الامتحانات
هو كان جهّز الشقة واتجوزوا.. من أول اسبوع في الجواز واكتشفت انه مش
طبيعي.. مدمن ولما بيشرب مبيبقاش في وعيه يضربها.. يعذبها.. يبهدلها.. وهو
خارج من البيت يحبسها.. ويهددها لو اتكلمت هيموتها.

سألت إسراء باستنكار:

ايه ده؟؟ وهي ازاي سكتت.. وصدقت تهديده؟؟!!

مكنش تهديد وبس.. لما اتكلمت مع ماما وحكت انه بيضربها وبابا اتكلم معاه،
عمل مشنقة في صالة الشقة وقالها انه هيقتلها ويقولهم انها انتحرت..
خافت، وبعد ما تحايلت عليه يسيبها وانها مش هتتكلم تاني سابها وهو بيزيد في
تهديده ليها لو اتكلمت تاني.

وسكتت ؟

أيوة.. بعدها بكام شهر عرفت انها حامل.. استغلت الفرصة وقالت لماما
وبابا عندها علشان تعبانة.. هي في الحقيقة كانت عايزة تهرب من العيشة
معاه.. ماما عرضت عليه رفض وحنان قالت لبابا يقوله فكان رد بابا إن اللي
مراتها يقول عليه هو اللي يمشي.. فاتت شهور الحمل وهو قلل الضرب أو
بمعنى أصح كان ضرب من غير عنف شديد فكانت بتستحمل وتسكت،
وعاشت لحد مرة جه مش في وعيه وهجم عليها يضربها زي الأول عرفت تهرب
من تحت إيده وراحت على بيت بابا.. حكت لبابا وقالت له إنها مش عايزة
ترجع تاني وعايزة تتطلق.. بس للأسف بابا غلّطها ورجّعها البيت تاني يوم.

sa7eralkutub.com

قالت إسراء وهي غير مصدقة:

- يعني كل اللي حصل ده وباباك رجَّعها برضه؟؟ حاجة غريبة جدًا.

- بابا متربي على إن الطلاق عيب.. بالاضافة ان جوزها كان بيكذب وبابا بيصدقه.. وكان بيقول ان هي اللي بتستفزه وتشتمه وبتخليه يمد إيده عليها.

- والإدمان؟

- شوية ينكر.. وشوية يقول هبطل.

- وبعدين؟

- لما رجعت بيتها هو اتاكد انه مهما يعمل فيها هترجع له.. قالها كده إنها هتفضل في بيته لحد ما تموت.. وضربها تاني ضرب مبرح وخرج بعد ما قفل عليها بالمفتاح.. جالها نزيف وأغمى عليها.. ولما رجع بعد ما خلص سهرته لقاها في الأرض ودمها سايح ومفيش نبض.. افتكرها ماتت اتصل ببابا وقاله مش عارف مالها وانا كنت بره.. اتصلوا بالإسعاف ولما اتنقلت المستشفى قدروا ينقذوا حياتها على آخر لحظة بعد ما كان بينها وبين الموت لحظات.

- وطبعًا الجنين نزل.

- مش الجنين وبس.. الدكتور اضطر يستنصل الرحم علشان يقدر ينقذ حياتها.. وانتهى حلمها إنها تكون ام نهائيا.

- والمجرم جوزها ده عملتوا معاه إيه؟

- المستشفى بلَّغت عن اللي حصل.. وهي تمسكت بأقوالها عن اللي حصل رغم ان بابا قالها تتنازل هي قالت هتتنازل لو طلقها وصممت على كده واتطلقت.

sa7eralkutub.com

- هي ظروف صعبة فعلًا.. بس مش مستاهلة انها تحبس نفسها بالطريقة دي.

- هي نفسيا اتأثرت من اللي حصل.. كان كتير عليها أوي وخصوصًا موضوع استئصال الرحم ده وفقدانها لابنها اللي كانت مستنياه.. ويارِيت بابا قدَّر ده كله وسابها في حالها.

- إيه اللي حصل تاني؟

- بعد ما خلصت العدة على طول قالها انه جايبلها عريس.. أرمل في الأربعينات وعنده ولاد.. هي بلا نقاش رفضت.

- معاها حق.. كبير عليها أوي وكمان ملحقتش تفوق من صدمتها.

- لما رفضت.. بابا سمَّعها كلام مقدرتش تستحمله وجالها انهيار عصبي منه.

- كلام إيه؟

- انتي جبتي لنا العار والفضيحة بطلاقك.. إنتي تحمدي ربنا ان حد رضا بيكي.. أنا ماشي ادلل عليكي لحد ما لقيت حد مناسب.. انتي مش بس اتطلقتي لا ده اللي كمان عمرك ما هتخلفي.. كلام صعب كده وهي ردت وقالتله إن هو السبب وانها بتكرهه وبتكره حياتها بسببه وكلام كتير انهارت في آخره ودخلت المستشفي تتعالج من الانهيار العصبي.. وقتها مكنش قدامي إلا اني ارجع وابقى جنبها.. والحمدلله لما رجعت ولقتني معاها ربنا قوَّاها وخفَّت.. مكنتش عايزة ترجع البيت علشان بابا بس انا أكدت لها انه مش هيغصب عليها تاني في جواز.. هي رفضت بقى فكرة الجواز تاني عمومًا.. وقررت تنعزل عن كل الناس وقاطعت بابا واتفقنا كلنا إن محدش يجيب سيرة اللي فات ولا حد يكلمها في جواز.

sa7eralkutub.com

صمتت إسراء.. تحولت مشاعرها تمامًا تجاه حنان.. فبعد أن كانت مستاءة منها وتشعر أنها لا ترغب في وجودها، أشفقت عليها وتألمت كثيرًا لها، وقررت بصمت أن تحاول مساعدتها؛ فهي إن لم تكن تعرفها من قبل فيكفيها أنها شقيقة أحمد.. حبيبها.

* * *

sa7eralkutub.com

- 9 -

يُضعِفنا الحُب.. أم تُضعِفنا الحاجة للحب؟

sa7eralkutub.com

مضت شهور قليلة على خطبة نيفين وعمر.. يتحدثان يوميًا في الهاتف.. يتقابلان كثيرًا، يشعر عمر أن العلاقة بينه وبين نيفين قويت كثيرًا في وقت أقل مما توقع.. دائمًا ما تخبره أنها تشعر بأنها مسئولة منه فتزداد سعادته.. تطلب منه كل ما تريد.. كل ما تشتهيه نفسها من مأكل أو ملبس تطلبه من عمر ويلبي طلبها على الفور.

العلاقة بينهما يتخللها أحيانًا نوبات غضب وعصبية غير مبرَّرة من جانب نيفين، ولكن في كل مرة يستطيع عمر احتواءها.

يومان مضيا وهي لا ترد على مكالماته.. يتصل بوالدتها ليطمئن عليها فتجيبه والدتها أنها نائمة.. يومان نائمة؟؟!!

يحاول أن يتذكر هل أغضبها؟؟ في آخر مكالمة بينهما لم يحدث ما يؤدي إلى تجاهلها له بهذا الشكل.

قرر أن يذهب إليها قبل عودته للمنزل ليلًا.

قبل منتصف الليل بقليل، طرق باب بيت ألفت، جاءه صوت ألفت خائفًا:

- ميييين؟

ردَ محرجًا: أنا عمر.

فتحت الباب وهي تضع طرحتها على رأسها:

- أهلا يا عمر.. اتفضل.

دخل وهو يعتذر:

sa7eralkutub.com

- أنا آسف اني جيت متأخر فجأة.. بس نيفين مبتردش عليا وتليفونك غير متاح فقلقت عليكم.

- كتّر خيرك يا ابني.. اتفضل لحد ما اناديلك نيفين.

جلس عمر.. بعد أن لاحظ أن ضوء غرفة النوم أُطفئ فجأة بعد وصوله.

دخلت ألفت لنيفين التي أشارت لها بالسكوت.

همست ألفت: قومي.. عمر بره.

- قوليله نايمة.

- قومي يا بت بلاش تناكة ع الفاضي.

- والنبي سيبيني في حالي واطلعي قوليله نايمة.

- يخربيتك هتكسفيني.. وربنا المعبود لو ما خرجتي له لاهقوله يجيلك هنا.

- هنا يا ماما؟؟

- أه.. قومي يا بت.

نهضت نيفين وهي تتمتم كلمات غاضبة من والدتها.. مشّطت شعرها سريعًا، وخرجت لعمر

جلست دون أن تحدثه.. فبادرها بالسؤال:

- ازيك يا نيفين.. إيه مبترديش على تليفوناتي ليه؟

- كده.

- كده يعني ايه؟

sa7eralkutub.com

فرصتها ألفت في كتفها وهي تردد:

- معملك شاي يا عمر.

دخلت المطبخ.. فقالت نيفين:

- عايز الصراحة ولّا اكذب عليك.

قال عمر بدهشة:

- قولي الصراحة.. فيه ايه؟

- متضايقة منك وزعلانة ومش طايقة اكلمك.

فوجئ عمر بكلماتها.. فسألها باهتمام:

- ليه؟؟ انا عملتلك ايه؟

- يعني مش عارف؟

- والله ما اعرف.

- شوف بقالي اسبوع بقولك ايه وانت مطنش.

فكّر قليلًا.. ثم تذكّر.. فقال بانكسار:

- مش مطنش.. استني بس عليا شوية.

قالت بعصبية:

- أستنى إيه؟؟ قلتلك الكمبيوتر بتاعي قديم وعايزة لاب توب وانت ولا انت هنا.. ما المحل عندك مليان مستخسر فيا واحد.

sa7eralkutub.com

- يا نيفين مش كل المعروض ده بتاعي ودافع فلوسه.. فاستني شوية اظبط أموري المادية واجيبهولك.

- مكنتش فاكراك بخيل كده.

- بخيل؟؟

- أيوة.. اللي يستخسر حاجة في خطيبته المسئولة منه يبقي إيه؟ بُص يا عمر.. أنا مقدرش اعيش مع حد بخيل كده.

دخلت غرفة النوم وتركته.. ألفت سمعت كل حديثهما وفضَّلت ألا تتدخل.. ولكن عندما دخلت نيفين وتركت عمر وحيدًا.. خرجت ألفت بالشاي لعمر.

- اتفضل يا عمر.

وضعت الشاي أمامه، وأكملت:

- متزعلش يا حبيبي.. أنا هدخل لها واخليها تعتذرلك.

صدم عمر من كلمات نيفين.. تتهمه بالبخل وهو لا يبخل عليها قَط مهما كانت طلباتها؛ ففي تلك الفترة البسيطة صرف آلاف الجنيهات في الهدايا والخروجات لمجرد أن يسعدها.. لم ينتظر شكرًا، ولكنه أيضًا لم يتوقع اتهامه بالبخل وعدم تقدير ما يقدمه لها.

انتابه شعور بالضيق وعدم تصديق ما سمعه.. أراد أن يغادر البيت فورًا، ولكنه انتظر لعلها تخرج تعتذر له.

يحبها لذلك يغفر لها تقلباتها.. يريد إسعادها كما أسعدته بموافقتها على الزواج منه.

sa7eralkutub.com

في غرفة نيفين.. جلست ألفت بجوارها وجذبتها من ذراعها وأجلستها.. قالت وهي تخفض صوتها قدر استطاعتها:

- إيه الكلام السم اللي قلتيه ده؟

لم ترد.. فقط رفعت شفتها امتعاضًا.. فأكملت ألفت

- بطّلي طريقتك دي متطفشيش الراجل.

- سيبيني بس اتعامل معاه بالطريقة اللي تريحني.

- يا بت قومي متكسفنيش.

رفعت نيفين صوتها عمدًا.. قائلة:

- ماشي يا ماما.. هطلع علشان تبطلي تزني عليا.

خرجت نيفين من الغرفة بعصبية.. جلست أمام عمر دون أن تتكلم أو تنظر له.. جاءت خلفها ألفت وهي تنظر لكوب الشاي الذي لم يتحرك من مكانه:

- الشاي بِرد.. هعملك غيره.

- لا يا طنط شكرًا.. أنا هتكلم مع نيفين كلمتين وامشي على طول.

- البيت بيتك.

دخلت ألفت غرفة النوم.. لعل نيفين تصلح ما أفسدته بكلماتها

ظلت نيفين على حالها لدقائق.. لا تنظر لعمر ولا تحدثه، فبادرها عمر قائلًا:

- مطلعتيش تقعدي معايا غير علشان طنط؟

- أيوة؟

sa7eralkutub.com

- وهتفضلي كده؟

- أه.. لحد ما احس انك متحمّل للمسئولية بجد.. مش أقولك الكمبيوتر قديم وكل شوية بيعطل وانا زهقانة وسايبني ولا سائل فيا. وكمان مستخسر فيا لاب توب من المحل عندك.

قالت كلماتها وأشاحت بوجهها وهي تزفر بضيق.. صمت عمر يفكر قليلًا.. ثم أخرج هاتفه واتصل منه

تعجبت نيفين من تصرفه.. ولكنها انتظرت كما هي.. حتى سمعته.

- ألو.. انت لسه في المحل ولا روّحت؟.. وانت مروّح جيبلي لاب توب من عندك ع البيت.. قدامك أد إيه؟.. طيب هستناك.. مع السلامة.

نظرت له نيفين متسائلة:

- كنت بتكلم مين؟

- مسمعتيش يعني؟

- عايزة اتاكد.

- كنت بكلم حمدي يجيب اللاب اللي انتي عايزاه.

- انت بتقوله يجيلك على البيت.

- يجيبهولي واسهرلك عليه اظبطهولك.. واجيبه الصبح قبل ما اروح المحل.. مبسوطة؟

ابتسمت واقتربت منه جلست بجواره وربتت على يده:

sa7eralkutub.com

- طبعا.. كده مبسوطة.. ماتتصل بيه تقوله بجيبه على هنا الأول اتفرج عليه.

واكملت بدلال وهي تلتصق به:

- علشان خاطري.

****

طوال فترة خطبة عمر ونيفين ووالدته تسأله عن بدء الاستعداد للزواج وبدء ترتيباته.. يراوغها في إجابته تارة.. وتارة أخرى يخبرها أنه سيبدأ في التجهيز قريبًا.

جاءت علا من المطبخ وجلست أمام والدتها وقالت

سحر الكتب
sa7eralkutub.com

- الأكل جاهز.. هنتغدا احنا ولا عمر جاي؟

- كلميه.. اساليه.

اتصلت علا بعمر.. كلمات قليلة قالتها ثم أغلقت الخط.

سألتها والدتها.قالك ايه؟

- بيقول هيتغدا بره مع نيفين.

مصمصت الأم شفتيها وهي تقول بعدم رضا:

- من ساعة ما خطبها معملش أي حاجة جديدة في الشقة ولا جاب حاجة من اللي عليه.. كل يوم خروج وفسح وهدايا أد كده ومفيش مليم بيتحط في الشقة.. الأيام بتجري وهو مش حاسس انه بيكبر.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

- معلش يا ماما.. سيبيه يتفسح ويخرج ويعيش شوية.. ده يا حبيبي اتحرم من حاجات كتير السنين اللي كان فيها في السرير.

- ما يتجوز وبعدين يعيش حياته زي ماهو عايز.. هو الفرح بس هيدخل بيتنا إمتى؟

تحاول علا نسيان حزنها.. تحاول أن تأقلم حياتها على ذكرياتها.. حديث والدتها قلّب عليها المواجع التي تحاول نسيانها.. منذ وفاة أيمن والفرح لم يدخل قلبها.. فهل يدق الفرح بابهم بزواج عمر.. أم أنه تركهم بلا عودة.

****

حاولت الأم ألا تتحدث مع عمر عن زواجه وتتركه يقرر ما يريد.. ولكنها لم تستطع الصمت طويلًا.. فدخلت لعمر غرفته قبل نزوله للمحل.. جلست أمامه وسألته:

- إيه يا عمر.. عملت جمعية زي ما قلت؟

- لا يا ماما لسه.

- ليه؟ طيب هتتجوز منين؟

- ماما.. أنا اتفقت مع نيفين هنأجل الجواز شوية.

سألت الأم بقلق:

- ليه يا ابني.. انتوا مش مبسوطين مع بعض؟

- الحمدلله مبسوطين.. بس يعني مالوش لازمة الاستعجال.

sa7eralkutub.com

- ومتستعجلش ليه؟

- يعني.. أحلى أيام بتكون أيام الخطوبة قبل المسئولية والخلفة.. واهو كمان اجيب حاجتي على مهلي.

قبل أن ترد.. قاطعتهما علا:

- عمر انت نازل توصلني معاك ولّا انزل انا.

سألها عمر: رايحة فين؟

ردت والدتها: رايحة تزور حماتها.

عمر: طيب استنيني هوصلك.. 5 دقايق اكمّل لبسي.

دخلت روان تقول لعلا:

- ماما عايزة اشتري حاجة حلوة.

علا: طيب لما ننزل.

روان: اسبقك انا.

علا لعمر: هنزل مع روان اجيبلها حاجة حلوة واستناك في العربية.. هات المفتاح.

ناولها عمر المفتاح.. خرجت علا وروان تركض أمامها.

انحنى عمر يرتدي حذاءه.. عندما سمعا صرخة مدوية بصوت علا الملتاع.

ركضت والدته وهي تصرخ أيضًا قبل أن تعرف ما حدث. وتبعها عمر مستندًا على عكازيه

sa7eralkutub.com

وجدا باب الشقة مفتوحًا.. وعلا مازالت تصرخ وتبكي.

خرجا.. ليجدا علا منكفئة على روان التي ترقد بلا حراك أسفل درجات السلم.

****

منذ أن علمت إسراء بحقيقة ما مرت به حنان وهي أخذت على عاتقها أن تساعدها.. دون أن تخبرها بأنها تعلم كما طلب منها أحمد.

لم يمر يوم دون أن تتصل بها إسراء لتطمئن عليها وتسألها عن أحوالها.. إن وجدتها نائمة كررت الاتصال في وقت لاحق.. لا تطيل مكالمتها حتى لا تشعر حنان بالملل والضيق منها.. فقط تتبادل كلمات بسيطة عادية في أمور عامة.. كما تفعل مع حماتها حتى تبدو مكالماتها لهم طبيعية في إطار الود.

تتبادل مع حنان الصور والأخبار والتعليقات عبر فيس بوك.. ويكملان حديثهما في الشات عبر العالم الافتراضي الذي تجد فيه حنان نفسها أكثر من عالمها الواقعي.

حنان.. أحبت إسراء قبل أن تراها.. أحبتها من حب أحمد لها.. وبعد خطبتهما، وبعدما بدأت تتقرب منها إسراء.. أحبتها أكثر.

كانت خائفة من حبها لها.. رغم احتياجها لوجود صديقة مقربة.

كانت خائفة أن تخرجها إسراء للعالم الحقيقي الذي أمقته ولا تريد أن تعود له مرة أخرى.. ففي غرفتها الأمان فقط وأي مكان سواها لا أمان فيه.

رغم خوفها، وجدت في إسراء الصديقة التي تحتاج فقررت أن تستثني إسراء من عزلتها كما تستثني أحمد.

sa7eralkutub.com

في خلال شهور قليلة، توطدت العلاقة بين حنان وإسراء، حكت حنان لإسراء عن تجربتها وتفاجأت إسراء كمن تسمع لأول مرة.. سعدت كثيرًا أن حنان حكت لها واعتبرت أن اكتساب ثقتها بداية لمساعدتها والخروج بها للحياة مرة أخرى.

فشلت إسراء في إقناع حنان بالخروج سويًا مرة كل أسبوع أو أسبوعين، ولكنها نجحت في الخروج بها مرات قليلة خلال الأشهر الماضية.

انعكست العلاقة بين إسراء وحنان على أسرة الأخيرة: فزادت قيمتها لديهم وازداد حبها في قلبهم.. حتى والد حنان الذي كان يشعر بالذنب طيلة الفترة الماضية.. شعر أن الله أرسل لهما إسراء لتساعد حنان.. لعلها تعود للحياة مرة أخرى.

ذات ليلة، وحنان جالسة كعادتها أمام حاسوبها، ظهرت لها رسالة من إسراء:

- حنااااااااان.

ردت حنان بسرعة: كنتي فين يا بنتي.. مظهرتيش خالص النهارده.

- كنت مع ماما عند خالتو.. بصي بقي انا عايزاكي في حاجة مهمة.

- خير.

- خالتو جابت لي صفحة من جرنال شافتها بالصدفة.. إعلان لمدرسة هتفتح جديد وطالبة مؤهلات كتير جدًا لموسم الدراسة الجاي.

- وبعدين؟

- عايزة اشتغل.

sa7eralkutub.com

- طيب كويس.. مبروك مقدمًا.

- أنا عايزاكي معايا.

سألتها حنان بتعجُّب:

- معاكي فين؟

- نقدم انا وانتي في المدرسة دي.

- قدِّمي يا إسراء وربنا يوفقك.. أنا لأ.

- لأ ليه؟

- لأسباب كتير أوي.

- قوليلي سبب مقنع واحد.

- محدش بيقتنع بأسبابي.. كفاية انا مقتنعة ومرتاحة كده.

- بذمتك انتي مرتاحة.

- على الأقل متطمنة.

- والشغل هيخوفك في إيه؟

- الناس وحشة يا إسراء.. وحشين أوي أكتر مما تتخيلي.

- ليه؟؟ أنا من الناس.. أحمد من الناس.. انتي كمان من الناس.. كلنا وحشين؟

صمتت حنان لأنها لم تجد إجابة تجيب بها على إسراء.. حقًّا إسراء وأهلها لم ترَ منهم ما يؤكد خوفها من الناس.. ربما لأنهم لم يعلموا بما مرت به.. من المؤكد لو علموا لقالوا عنها كما قال والدها من قبل: "اللي اتطلقت دي تبقي

sa7eralkutub.com

هي اللي معرفتش تحافظ على جوزها وبيتها.. الست هي اللي تقدر تخلي جوزها كويس معاها أو يزهق منها ويطلقها.. انتي بعارك ده هتخليني امشي من البيت اللي بقالنا فيه أكتر من 25 سنة علشان مش هستحمل اللي الناس هتقولوا علينا".

- حناااااااااااان.

انتبهت حنان أنها شردت ولم ترد على إسراء.. فأجابت:

- إسراء.. متقلبيش عليا المواجع.. إفرضي سمعت كلامك ونزلت والناس بقوا يتكلموا عليا.. انتي متعرفيش الناس بيقولوا إيه على المطلّقة.. إذا كان بابا نفسه كان بيقولي كلام محدش يتخيله يبقى الناس هيقولوا إيه؟

- يا حنان والله انتي فاهمة غلط.. مش كل الناس زي باباكي ولا تفكيرهم كده.. تقريبًا محدش بيفكر بالطريقة دي دلوقتي.. طيب انا اقولك حاجة.. عمتي مطلقة من زمان جدًا وعايشة هي وولادها في بيتها لوحدهم.. وطول عمرها بتشتغل وبتتعامل مع الناس وعمر ماحد ضايقها بكلمة لأنها واثقة في نفسها.. ثقي في نفسك شوية يا حنان.

- الناس لو عرفوا حكايتي هيتقسموا اتنين.. يا هيشوفوني معيوبة زي ما بابا قال.. يا هيخافوا مني على ولادهم لاحسدهم علشان عمري ما هخلّف أبدًا.

- وانتي حاطة الناس قدامك أوي كده ليه.. مايولعوا الناس بكلامهم الفارغ.. تعالي ننزل نقدم على الشغل يمكن نتقبل.. يا ستي اعتبريها فرصة تغيري جو بدل قعدتك جوه أوضتك.. اعتبريها فرصة نشوف بعض كل يوم.. اعتبريها فايدة هتفيدي بيها ناس غيرك وتكسبي منها ثواب.

sa7eralkutub.com

صمتت حنان.. تفكر.. هل من الممكن أن تعود للحياة مرة أخرى دون أن تتعرض لكلام يؤلمها.. أو نظرات تقتلها.

كتبت إسراء بحسم:

- حنان.. بكرة هنزل مع ماما وهي رايحة الشغل.. هنتقابل قُدَّام المجمع.. لما توصلي كلميني.. متتأخريش عن 10.. يالا تصبحي على خير وهستناكي.. لو مجيتيش هزعل منك من قلبي..سلام.

شعرت حنان أنها وُضِعَت أمام الأمر الواقع.. فكتبت مستدركة:

- طيب استني شوية كام يوم افكر.

- لأ مفيش كام يوم.. آخر معاد للتقديم بكرة.

* * *

sa7eralkutub.com

- 10 -

مُسيَّرون..

أم مُخيَّـرُون؟؟؟

sa7eralkutub.com

نزل عمر درجات السلم بأقصى ما يمكنه من سرعة.. لكن خطواته مهما كانت سريعة فهي أبطأ كثيرًا من والدته التي سبقته وظلت تسأل علا:

- مالها البت؟؟ إيه اللي حصل؟

ردَّت علا بصوت ملتاع وهي تبكي:

- وقعت قدامي.. أخدت السلم كله من أوله لآخره وملحقتهاش.

وصل عمر لروان التي مازالت لا تتحرك.. جلس على أول درجة سلم.. في حين كانت علا ووالدتها تبكيان وتحاولان إفاقتها.

علا: روان.. ردي عليا يا حبيبتي.

نظرت لعمر وهي تتساءل:

- مبتردش؟؟ هي كمان هتسيبني؟؟

مدَّ عمر يده لرقبة روان.. وقال بسرعة مطمئنًا علا وصوته يصرخ بالقلق ووالدته تبكي وهي تحاول إفاقة روان بهز يديها ولطمها على وجهها:

- متخافوش.. هتصل بالإسعاف حالًا.

سألته علا بفزع:

- فيه نبض ولا لأ؟

ردَّ سريعًا والهاتف على أذنه:

- أيوة.. والله اطمني فيه نبض بس يارب متكونش الوقعة أثرت على راسها.

sa7eralkutub.com

سمع أصواتهم باقي سكان الشقق القليلة في العمارة.. فنزلوا مسرعين.. حاول أحد الرجال حملها وهو يقول لعمر:

- ننقلها المستشفي بالعربية يا عمر ومنستناش الإسعاف.

فرفض عمر بشدة.

- لالالا.. محدش يحركها يمكن يكون فيه كسور.. الإسعاف هي اللي تشيلها.

****

أوقات عصيبة يمرون بها جميعًا.. علا تستند على الحائط بجوار غرفة الأشعة ودموعٌ صامتة تجري على خديها.. تتذكر أيمن.. تشعر باحتياجها له.. تتمنى أن تستند على صدره الدافئ بدلًا من ذاك الجدار البارد.. تحن ليديه لتربت عليها كي يطمئن قلبها على ابنتها.. تحتاج لوجوده.. تحتاجه أكثر من أي وقت آخر.

ويجلس عمر منكسرًا، مستندًا على عكازيه واضعًا رأسه عليهما، ناظرًا للأرض، يخفي وجهه كي لا يرى أحد دموعه التي تتساقط قلقًا على روان.. ينظر لقدميه العاجزتين ويدعو الله ألا يحكم عليها بالعجز أبدًا.. رحمة بطفولتها وبوالدتها.. بل رحمة بهم جميعًا.

أما والدة عمر فقد ظلت تبكي بصوت ملتاع جعل كل المارة يتلفتون عليها.. تبكي خوفًا وقلقًا وحبًا: فروان هي البسمة والضحكة التي تشع السعادة في المنزل الذي تلاحقت عليه المصائب.. لن تتحمل فجيعة أخرى في حفيدتها الوحيدة.. لن تتحمل أن ترى ابنتها تذبل أكثر أمامها.. ستموت حزنًا إن حدث لروان ما تخشاه.

sa7eralkutub.com

سمع عمر صوت ألفت:

- سلامو عليكو.. إيه اللي حصل يا حاجّة؟

رفع رأسه قليلًا ليجد ألفت وبصحبتها نيفين.

ردت والدة عمر ببكائها:

- البت يا ختي وقعت من ع السلم محطتش منطق.

دبت ألفت صدرها بيديها:

- يا حبيبتي يا بنتي.. وهي فين دلوقتي؟

- بيعملوا لها أشعة.

ألفت بحزن وهي تقترب من علا تحتضنها:

- ربنا يلطف بيها وينجيهالك يا حبيبتي.

وقفت نيفين أمام عمر.. لم يتكلم.. فبادرته:

- مقلتليش ليه؟

- ملحقتش.. انتي عرفتي ازاي؟

- هو الشارع فيه حاجة بتستخبى.. الناس قالوا لماما.

صمت عمر وهو يهز رأسه.. لم تكن لديه قدرة ولا رغبة في الكلام.. فقط يريد أن تمر لحظات الانتظار سريعًا، ولكن سألته نيفين:

- هي في غيبوبة ولا إيه؟

sa7eralkutub.com

انزعج عمر.. فقال مصححًا:

- بعد الشر.. لا فايقة الحمدلله.

- أومال الناس قالوا انهم حطّوها في الإسعاف زي الميتة.

التفت عمر لوالدته ولعلا ليتأكد أنهما لم تسمعا نيفين.. ثم قال:

- كان مغمى عليها وفاقت في الإسعاف.. نيفين خلي بالك من كلامك شوية ماما وعلا مش مستحملين حاجة.

ردت وهي ترفع حاجبيها وتضع يدها في خصرها:

- نعم.. كلام ايه اللي مش عاجبك.. ماهو انا غلطانة إني سمعت كلام ماما وجيت اعمل الواجب.

نهض عمر.. وهو يجلسها مكانه:

- كتر خيرك ومتزعليش مني.. اقعدي بس واستهدي بالله أنا مقلتش حاجة تزعلك، أنا بقولك خلي بالك من كلامك مش أكتر.

انفتح باب غرفة الأشعة.. فهرول الجميع للداخل. انحنت علا على روان تقبلها، ووالدتها تقبّل يد الصغيرة، حينما سأل عمر فني الأشعة:

- خير؟

أجابه: فيه كسور.. شوف دكتور العظام موجود ولا لا هو اللي يفيدك أكتر.

****

sa7eralkutub.com

قاد عمر سيارته وهو شارد يستعيد أحداث اليوم.. جراحة عاجلة تلزم روان كي تتمكن من المشي مرة أخرى وتقل آلامها.. لم يتردد عمر كما لم تتردد علا ووالدتهما.

ثمَّ فتح غرفة العمليات فورًا.. بعدما أودع عمر كل ما كان بجيبه من نقود مقدمًا للعملية في حسابات المستشفى.. المبلغ المتبقي يستطيع تغطيته من رصيده البنكي.. وبالأدق.. ما تبقى منه.

توقف عمر بسيارته أمام منزل نيفين.. فنزلت نيفين وألفت.

وقفت ألفت أمام نافذة والدة عمر:

- إن شاءالله شدة وتزول وتقوم وتبقى زي الفل.

والدة عمر: إن شاءالله.. شكرًا يا ألفت تعبناكي معانا.

- تعب إيه بس.. والله لو كان ينفع ابات مع علا كنت قعدت معاها.. إنما المستشفى بقى هي اللي مانعة.

- أنا سايباها على عيني.. يالا سواد الليل وهروح لها الصبح.

- وانا هخلّص كام مشوار شغل ورايا وهجيلكم على طول.

- كتّر خيرك يا اختي.. متتعبيش نفسك.

- تعب!! ده احنا أهل.

طوال الحديث ونيفين واقفة بجوارها لا تتكلم.. مستاءة من والدتها التي أجبرتها على الذهاب معها للمستشفى.. وقضاء اليوم كله بجوار عمر وأسرته

sa7eralkutub.com

حتى انتهاء موعد الزيارة.. لم تجد أهمية لوجودهما، ولكنها لم تستطع أن تعود وحدها للمنزل ووالدتها مع أهل خطيبها.

لاحظت صمت عمر، وعدم اهتمامه بها، فاستدارت حول السيارة ووقفت بجوار نافذته وهمست:

- هي دي شكرًا بتاعتك؟!

ردَّ حزينًا: شكرا يا نيفين.. معلش أنا النهاردة تعبان أوي.

- كلنا تعبانين وكلنا واقفين من الصبح.. أنت حتى مكلفتش خاطرك وشكرتني زي مامتك ما شكرت ماما.

- المفروض ان بيني وبينك مفيش شكر.. أكيد انتي أكتر واحدة حاسة بيا.

في الحقيقة.. لم تكن تشعر بشيء سوى التعب والإجهاد.. والاستياء من والدتها.. أما ما يتحدث عنه عمر، فهي حتى لا تعلم عن أي إحساس يتحدث.

****

جلس عمر مع والدته لتناول العشاء.. رغم أنه لم يتناول أي طعام خلال اليوم إلا أنه مازال فاقدًا شهيته للطعام والحياة.

لاحظت والدته التي تشعر بما يشعر به أو يزيد

- كُل لقمة يا ابني.. إنت مدوقتش طعم الزاد.

- مليش نفس ياماما.. منظر روان مقطّع قلبي.

بكت والدة عمر وهي تدعو لروان:

sa7eralkutub.com

- يارب اشفيها.. يارب تقوم لنا بالسلامة.

ربت عمر على يد والدته.. واستند على عكازيه ونهض:

- أنا هنام.. عايزة حاجة قبل ما انام؟

- مقلتليش.. هتكمل فلوس العملية منين؟

- هجيبهم من البنك الصبح إن شاءالله.

ترددت قليلًا.. ثم قالت:

- أختك كان متبقي معاها حوالي 5 آلاف جنيه.. هخليها تسحبهم وانت كمّل عليهم.

ردّ عمر حاسمًا وهو يتذكر مصاريف علاجه التي التهمت الكثير مما تركه والده.

- لأ.. الفلوس اللي معاها خليها لها، مش كفاية أغلب ورثها ضاع وسط مصاريف علاجي والباقي ساعدتني بيه افتح المحل.

- وانت هتعمل إيه.. انت متبقي معاك كام؟

ردّ عمر محاولًا طمأنتها:

- متشيليش هم.. مستورين إن شاء الله.

- ربنا يسترنا يا ابني.. انت مكلمتش طارق تقوله ع اللي حصل.

انتبه عمر أنه لم يتذكر نهائيًا أن يتصل بشقيق أيمن ليخبره ماحدث لروان.. فردّ متسائلًا:

sa7eralkutub.com

- وانتي مكلمتيش أم أيمن ولا علا كلمتها؟

- لا.. اتلبخنا في اللي حصل.

- وهي مسألتش مراحولهاش ليه؟

- أختك مكنتش قايلة لها انها رايحة، واجب نتصل بيهم نعرفهم ليزعلوا.

- بلاش دلوقتي، هيقلقوا ع الفاضي، الصبح قبل مانزل كلمها وعرفها.

****

انتهت ألفت من العشاء.. نهضت وهي تتأوه:

- رجلي وجعتني من الوقفة طول اليوم.. لمي العشا واغسلي المواعين أنا مش قادرة.

انفجرت نيفين بعد كبح غضبها طوال اليوم:

- أنا مش فاهمة.. علينا من ده بأيه.. قلتي نروح نطمن على البت الصغيرة قلت ماشي.. إنما نفضل طول اليوم معاهم ليه.. وقال إيه عايزة تباتي معاها في المستشفى.. انتي بتقلي قيمتنا كده ليه؟

فوجئت ألفت بكلمات نيفين.. لم تتوقعها.. كانت تشعر أنها أتت رغمًا عنها، ولكن لم تعلم أن قلبها قاسٍ لهذه الدرجة.. تجرحها.. لمَ تجرحها وهي التي أفنت عمرها لتربيتها هي وشقيقتها.

سألتها والدموع تتلألأ في عينيها.. وتجلس مرة أخرى:

- أقِل قيمتنا؟؟ ليه انا عملت إيه غلط لما وقفت معاهم.

sa7eralkutub.com

- عمالة تراضي دي وتدادي دي وتجري معاهم كأننا خدامين عندهم.

- خدامين إيه؟؟ انتي مجنونة؟؟؟ دول أهلك.

- أهلي منين؟؟

- أهل خطيبك يعني أهلك.. دول اللي باقيين لك لو جرالي حاجة.

ضحكت نيفين بسخرية:

- خطيبي.. خطيبي ده اللي حاسة ان عنده سبعين سنة.. على طول شايل الهم وسرحان.. بخيل اللي بطلبه بيجيبهولي بعد ما اطلبه مش من نفسه.. خلتيني وافقت عليه غصب عني وكأن مفيش غيره.. انتي دفنتيني بالحياة مع واحد روحه ماتت في الحادثة اللي عملها.

رددت ألفت كلماتها وهي غير مصدقة:

- بخيل؟؟ والهدايا اللي مغرقك بيهم.. 70 سنة والفسح اللي كان بيفسحهالك كل يوم والتاني.. مفيش غيره.. أيوة مفيش غيره كان هيرضي بحالنا من غير ما يعايرك.. اللي شايل الهم ده راجل متحمل المسئولية.. راجل تطمني على نفسك واتطمن عليكي معاه.. بقولك إيه.. مش عايزاه انتي حرة بس افتكري إن كل العز اللي شفتيه معاه الأيام اللي فاتت دي خلاص بح.. فنيتو.. أنا علمتك بالعافية وما صدقت انك خلّصتي.. سيبيه واهو تبقي وفرتي عليا جوازتك اللي مش عارفة كنت هجيب مصاريفها منين.

صمتت نيفين وهي تفكر في كلام والدتها.. محقة هي في أنها عاشت مع عمر ترفًا لم تحياه من قبل.. كل ما تطلبه يُلبَّى.. هل ستتمكن من الاستغناء عن كل ما قدَّمه لها؟.. لو لم يكن عاجزًا.. لو كان بكامل صحته وحيويته وشبابه.. كانت

sa7eralkutub.com

الأمور تبدَّلت كثيرًا.. ربما استطاعت أن تحبه.. كلما خرجا معًا ظلت حبيسة السيارة.. نعم في سيارة، ولكنها حبيسة بداخلها، تخشي المشي بجواره حتى لا يرى الناس مشيته وعكازيه اللذين يستند عليهما بدلًا من أن يمسك بيدها وتستند هي عليه.. تخشى نظرات الإشفاق التي تتلفت عليهما إن مشيا جنبًا إلى جنب.

قطع صوت تفكيرها طرقات الباب، توقعت أنه عمر فهبَّت واقفة ودخلت لغرفة النوم.. وجدت ألفت لم تنم بعد، سألتها ألفت: مين؟

ردَّت بثقة: تلاقيه عمر.. قومي افتحي وقوليله اني نمت.

- يا بنتي حرام عليكي ما صدقت افرد جسمي ع السرير.

- قومي افتحي ومشّيه من ع الباب.. أنا عايزة افكر مع نفسي هكمل معاه ولا لا.

لم تتوقف طرقات الباب، نهضت ألفت بإجهاد، بينما ظلت نيفين مكانها تستمع في هدوء.

وقفت ألفت خلف الباب تسأل: مين؟

فجاءها صوت نهى: أنا ياماما.

فتحت ألفت بلهفة وقلق:

- نهى؟؟ مالك.

نظرت خلفها لترى هل جاءت وحدها أم بصحبة زوجها.. بمجرد أن رأت عينيها وأثر البكاء عليهما.. أيقنت أنها ليلة لن تنتهي الآن.. وحلمها بالنوم والراحة

sa7eralkutub.com

أصبح صعب المنال.. ارتمت نهى في حضنها تبكي.. وجاءت نيفين على صوت شقيقتها تتساءل:

- نهى؟! مالك في إيه؟

أجابت نهى بعد أن جلست وهي تمسح الدموع:

- اتخنقت وتعبت وزهقت.

ردّت ألفت بنفاد صبر:

- إيه اللي حصل يعني؟

أجابت نهى بدموعها:

- بقالي شهرين بقول لسمير هدومي ضاقت عليا.. عايزة طقم جديد يقولي حاضر وطيب وانا استنى ألاقيه طنش.. أفكره يقولي حاضر وطيب ونفس الكلام يتكرر.. شهرين على ده الحال لحد ما النهارده انفجرت فيه وقلتله اني زهقت، لقيت مامته اتدخلت في الكلام وبقينا احنا ال3 عمالين نخبط في بعض.

صمتت ألفت.. أما نيفين فقد ثارت قائلة:

- هو إيه النتانة اللي هو فيها هو وأهله دي.. مش كفاية وافقتي تتجوزي في بيت أهله كمان ممشيكي بهدوم قديمة ومش هاين عليه يجيبلك جديد.. إيه اللي مصبرك على العيشة دي يا بنتي دي حاجة تقصر العمر.. حتة طقم مدوخك شهرين.. ليه يعني؟

سألتها ألفت وعيناها تراقبان نهي: يعني رأيك تطلق منه؟

sa7eralkutub.com

انتفضت نهى، وردت نيفين بدون تفكير:

- أه طبعًا.. قوليلي انتي إيه اللي يصبّرها على العيشة دي وهو مش موفرلها أقل حق في الحياة.

وجّهت ألفت سؤالها لنهى:

- هو معاه فلوس يجيبلك ومش عايز؟

نكست نهى رأسها وهي تجيب بألم:

- لا.. يوميته بتروح في مصروف البيت.

ألفت:طيب حلها.. يجيب منين؟

بكت نهى: وانا امشي ازاي في الشارع.. بقولك هدومي ضافت عليا لدرجة انها بتتقطع واتهرت خياطة.

ألفت: ومقلتليش ليه؟

نهى: وانتي ناقصة؟

ألفت: يعني لو جبت لك عباية مشّيتي نفسك بيها هتتعبني في إيه؟؟ إنما انتي كده فضحتي جوزك.

نيفين: انتي ليه يا ماما ضدنا كده.. من حقها تعيش وتجيب اللي نفسها فيه.

ألفت: تعيش ياختي وماله.. تطلق وتيجي تقعد معانا وتشوف لها شغلانة تصرف بيها على نفسها لحد ما ربنا يكرمها بواحد تاني كويس.. أنا مش مغصب على حد عيشته.. اللي انتوا عايزينه اعملوه.. عايزة تطلقي يا نهى؟

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

رد نهى بخوف:

- يعني لما اتخنق مجيش افضفض معاكم شوية ولا أقعد معاكم يومين.

الت وهي تنظر لنيفين:

- مالتش تطلق.. عارفة انها مستغناش عن جوزها بس هو اللي ظروفه صعبة.. قومي يا نهى غيّري هدومك وابقي انزلي معايا الصبح أشوفلك عباية بالقسط.. واهو اللي يقدر هو يدفعه يدفعه وانا اكملك.

ردت نهى: أنا عارفة إن ظروفه صعبة وغصب عنه واللي عليه بيعمله.. بس انا عمان غصب عني بحتاج فلوس والله طلباتي في أضيق الحدود.. لا بقوله نفسي باكل كذا ولا نفسي ألبس من المكان الفلاني.. أنا حتى مبقولوش نخرج علشان المصاريف.. بس لما تكون هدومي اللي المفروض تسترني مهياش ستراني.. يبقى ده طلب ضروري أهم من الأكل والشرب.. الفقر وحش أوي وبيكرّه الواحد في عيشته وفي اللي بيحبهم.

سمتت نيفين.. ظلت كلمات نهى تتردد على مسامعها.. وتقارن بين حياة شقيقتها والحياة المقبلة عليها.. هل مايقدِّمه لها عمر يغنيها عن الحب؟؟ هل تتحمل أن تحيا فقيرة طوال حياتها؟؟.. تشتهي أبسط الأشياء ولا تنالها.

****

في الصباح وبعد ليلة تفكير طويلة.. قررت حنان أنها لن تذهب للقاء إسراء.. ستعتذر لها حتى وإن تطلَّب الأمر أن تذهب إليها في منزلها للاعتذار عن تخلُّفها عن موعدها.. بررت لنفسها أنها لم تتفق ولم توافق موافقة صريحة على هذا الموعد.

sa7eralkutub.com

إسراء التي قررت.. وحددت الموعد.. وقررت انتظارها.

إن كان احتياجها لصداقة إسراء جعلها تفتح نافذة صغيرة على الـ
الخارجي الواقعي، فهي غير مضطرة أن تفتح الباب على مصراعيه.

إسراء.. نافذتها الصغيرة تطمئنها دومًا أنها مازالت آمنة وبسلام.. أما إن ف
الباب على مصراعيه.. من يضمن لها مايمكن أن تواجه أو تتعرَّض له؟

أصوات والدها ووالدتها في الخارج تعلن استيقاظهما.. أصوات اعتادتـ
حفظتها عن ظهر قلب.. صوت خطوات والدتها للحمَّام.. ثم المرور عـ
غرفتها وتبادُل كلمات قليلة سريعة.. مغادرة والدتها للمطبخ.. خطوات و
للحمّام ثم العودة لغرفته وارتداء ملابسه.. الجلوس للإفطار مع زوجتـ
صوت الباب يُغلَق مصحوبًا بدعوات والدتها، وقتها تخرج حنان من غـ
وتشعر بحُرِّيتها في المنزل.

خرجت حنان تساعد والدتها في المهام المنزلية اليومية كما تعودت.. تـ
عيناها بين الحين والآخر على الساعة، وتتذكر موعدها مع إسراء، ثم تشـ
بنظراتها عن الساعة لتتجاهل الموعد.. لم يحن الموعد بعد.. وترددت قليلاً.
هل تعتذر لإسراء قبل الموعد أم بعده؟

فُتح الباب معلنًا وصول أحمد بعد ورديته الليلية.. ألقى التحية على حنان
ووالدته، ثم نظر لحنان وسألها:

- انتي لسه ملبستيش؟

فانتبهت الأم سائلة:

- تلبس ليه؟

sa7eralkutub.com

فأجابت حنان: إسراء كانت عايزاني أقدِم معاها على شغل.

ثم نظرت لأحمد نظرة سريعة وهي تجيبه:

بس انا مش رايحة.. مش عايزة اشتغل.

ماحت وجهها سريعًا عنه.. فقالت الأم:

بين العقل.. أبوكي مكنش هيوافق انك تشتغلي.

عجت حنان من كلام والدتها.. إلى متى سيظل والدها متحكمًا بها وكأنها وسة ماريونيت؟؟إلى متى ستظل بلا إرادة؟؟

معت أحمد يقول باستنكار:

هو بابا لسه مفهمش ان تفكيره الغلط هو اللي وصلها للنتيجة دي.

م رقص قلبها عندما سمعت كلمات أحمد التي تنطق بما يدور في رأسها.. ارادت أن تقبّله شكرًا على كلماته.. دائمًا هو الوحيد الذي يشعر بها.. قبل أن تتفوه بأي كلمة شكر.. سمعته يكمل:

- والله لو عايزة تشتغل انا اللي هقف لبابا لو رفض.

توقفت عند جملته الأخيرة.. لمعت في رأسها فكرة وهي تنظر للساعة وتتأكد أن الموعد لم يحن بعد.

ماذا لو قررت الذهاب للموعد وأخبرت أحمد أنها تريد العمل بالفعل؟؟ من المؤكد أن قرارها سيثير غضب والدها.. وهذا يريحها كثيرًا.

sa7eralkutub.com

تعلم جيدًا أن أحمد يستطيع إقناعه، وإن لم يقتنع فعلى الأقل لن يعترض.. أحمد في نظره رجل منذ طفولته، لن يضع أحمد في موقف يقلل من رجولته أمامها وأمام خطيبته.

استغلت الموقف وسألت أحمد:

- أنا كنت مترددة.. انت شايف إيه؟؟اروح أقدّم؟؟

أجابها أحمد بحماس وفرحة حقيقية:

- طبعًا.. قومي البسي وانا هكلم إسراء تستناكي لو اتأخرتي عليها شوية.

ركضت.. قبّلته على خده وهي تمر من جانبه نحو غرفتها.. وقفت والدتهما عاجزة عن التفكير.. خائفة من رد فعل زوجها.. تطمئن نفسها بأن أحمد سيتحمل كل المسئولية أمام والده.. فقالت بضعف:

- أبوك لما ييجي هيعمل مشكلة.

رد أحمد: متقلقيش.. كفاية أوي اللي حنان وصلتله.. سيبوها تبقى زي أي حد في سنها.. سيبوها تعيش..

* * *

sa7eralkutub.com

- 11 -

تستطيع أن تتحمل آلامك..

لكن أن ترى من تحبه يمر بنفس آلامك وتعلم كم يتعذب..

هذا ما لا يمكن تحمله أبدًا

sa7eralkutub.com

تراجعت نيفين عن تفكيرها في فسخ خطبتها من عمر.. فالزواج من عمر يضمن لها حياة كريمة كما قالت والدتها مرارًا.

استسلمت كما استسلمت من قبل.. ذهبت مع والدتها في مساء اليوم التالي للمستشفى للاطمئنان على روان، وللتواجد بجوار عمر واهله. أما ألفت اليوم فقد اطمأنت على ابنتها.. نهى اتصل بها زوجها وأخبرها أنه افتقدها، فقررت على الفور العودة للمنزل.

وفي الصباح عندما سألتها نيفين عن موعد الزيارة للمستشفى، وأنها ستذهب معها لعمر، أدركت أنها تراجعت عن كلامها في الليلة السابقة.

مرت الأيام التالية بعد خروج روان من المستشفى بصعوبة بالغة: فلم تخف الامها رغم نجاح العملية – كما قال الطبيب – ورغم المسكنات القوية التي تتناولها يوميًا.. يوميا تُذرف دموع علا ووالدتها مع صرخات روان المتألمة.. ويستعيد عمر كل ما مر به من قبل مع كل آهة تصدرها روان.

قرر عمر أن يستشير طبيبًا آخر.. طبيبه الذي أجرى له جراحاته المتعددة حتى استطاع المشي مرة أخرى.. عندما أخبر والدته بذلك وافقت على الفور.

لم يستطع عمر وعلا أن يحملاها ويذهبا بها للطبيب.. حينها شعر عمر بالعجز عندما قالت علا بعفوية:

- مش هنعرف ننزلها احنا.. أنا هتصل بطارق ييجي معانا.. مفيهاش حاجة ماهو عمها برضه.

صمت عمر بعدما كممت كلمات علا فمه.. فهو بالفعل عاجزٌ عن مساعدة شقيقته وابنتها.

****

sa7eralkutub.com

تجددت لحظات الانتظار والقلق.. يجلس عمر وطارق وعلا.. يفتك القلق بأعصابهم جميعًا.. في انتظار كلمات الطبيب.. الذي ينظر للإشعات التي بين يديه، ثم قال بصوت عميق:

- الدكتور اللي عملها العملية دي ارفعوا عليه قضية وودوه في 60 داهية علشان ميشتغلهاش تاني.

اثارت كلماته الفزع في قلوبهم جميعا.. اول ما خطر على بال عمر هو ان يسأله

- يعني إيه؟؟ متعرُج؟؟

ردَّ الطبيب وهو يضع الإشعات أمامه على المكتب:

- لأ.. كده مش هتمشي تاني.

صرخت علا وهي تبكي وتحتضن روان.. وطارق يهدد بعصبية:

- يعني ايه مش هتمشي تاني.. ده انا اروح فيه السجن.

سأل عمر وهو يحاول الضغط على كلماته كي يخفي القهر الذي يشعر به:

- مفيش حل؟؟

ردَّ الطبيب بثقة:

- كان المفروض جبتهالي على طول كنت وفرت عليها العذاب الفترة اللي فاتت.. فيه حل والحمدلله انك متأخرتش عن كده.. هعمل عملية تانية اشيل فيها التثبيتات الغلط اللي ثبتها واركِب شرايح ومسامير تانية بطريقة صح.. مع الوقت هتمشي تاني بعد العلاج الطبيعي اللي بعد العملية طبعًا.. يعني

sa7eralkutub.com

متستعجلوش.. بس الأهم من ده كله إن الألم اللي هي حاسة بيه ده هيخف مع الوقت.. وهيظهر التحسن التدريجي.. المهم متتأخروش في العملية.

شعر عمر بالذنب.. هو السبب.. هو من وافق على إجراء الجراحة في مستشفى حكومي مع طبيبٍ لم يسمع عنه من قبل.

لم يتخيل أن كسرًا ناتجًا عن وقعة سلم قد يترتب عليه كل هذا.. كل رعبه كان في إغماءتها.. خشى أن تكون رأسها ارتطمت بالسلم.. سأل الطبيب السؤال الذي لابد منه:

- خلاص يا دكتور اللي حضرتك شايفه.. بس العملية دي تتكلف كام؟

- العملية بالتخدير بالشرايح والمسامير بإقامتها في المستشفى تقريبًا 100 ألف.

صُعق عمر من المبلغ، وعقدت الدهشة لسان علا.. وقال طارق:

- كتير أوي يا دكتور.. معلش يعني مش ممكن تتكلف أقل شوية.

رد الطبيب الشهير:

- هي ممكن تتكلف أقل من كده بكتير بس دكتور مبتدئ زي اللي عمل العملية البايظة دي وفي مستشفي أي كلام.. اسأل عمر على مستوى المستشفى بتاعتي.. مستوى عالي من التمريض والكفاءة في كل حاجة.. علشان لو لا قدَّر الله حصل أي مشكلة ساعة العملية بيكون فيه كل الإمكانيات اللي تسعفنا.

بعد الانتهاء من الكشف، خرجوا دون أن يتبادلوا أي حديث.

طارق، يعلم أن المبلغ كبير، ولكن من المؤكد أن لدى عمر وعلا ما يغطي تكاليف العملية؛ فهو كغيره من الناس يرى أن الحياة معهم لم تتغير بعد وفاة رب العائلة.. وحادث عمر.

sa7eralkutub.com

أما علا.. فكل تفكيرها هل ستتمكن من تدبير مبلغ كبير كهذا.. ماذا ستفعل وكيف ستتصرف.. هل تطلب من والدة أيمن؟؟

لو كانت شقة الزوجية مازالت بحوزتها، كانت ستبيعها لتغطية تكاليف العملية، ولكن شقتها تنازلت عنها بكامل إرادتها لطارق ليتمم زواجه؛ فبعد وفاة أيمن لم تستطع الحياة بها ولو ليوم واحد.. ظلت مغلقة حتى سألتها حماتها هل ستعود للإقامة بالشقة أم يتزوج بها طارق.. وقتها أجابتها عن طيب خاطر.. فليتزوج بها.

إذًا من أين ستأتي بتكلفة العملية؟؟

عمر.. وأثناء قيادته السيارة لم يكن يفكر هل سيتمكن من تدبير المبلغ المطلوب أم لا.. بل كان كيف سيدبر المبلغ في أسرع وقت؟

الخيارات منعدمة والقرار محسوم.. لابد أن تعود روان للحياة ولطفولتها مرة أخرى.. يجب أن تعود كأي طفلة في عمرها تلهو وتلعب كما يحلو لها.. يكفي أنه السبب في عذابها الأيام الماضية بسبب الجراحة الفاشلة.. فليصحح خطأه بطريقته.. لابد من إجراء الجراحة سريعاً كي تخف آلامها.. وآلامهم جميعًا.

****

دون أن يخبر أحدًا.. تصرف بالفعل.. اتصل بجارٍ له يعلم أنه يبحث عن محل في نفس المنطقة.. أخبره أنه يريد بيع المحل في أسرع وقت.. تم الاتفاق في نفس المكالمة الهاتفية

sa7eralkutub.com

أغلق الهاتف وشرد.. ينظر للمحل ولكل ركن وكل جدار وتتحول الصورة في مخيلته لأيام والده.. أيام طفولته وصباه وشبابه.. أوقاته التي كان يقضيها فيه لمساعدة والده.. نظر للرصيف خارج المحل وتذكَّر جلساته مع أيمن في سهرات الصيف للعب الطاولة بعد انتهاء مواعيد العمل.. أحب الأماكن إليه والتي تجمعه بذكريات أقرب الراحلين.. مضطر أن يتركه للأبد.

ظلت الذكريات تلاحقه، تُشعِره بالألم لفقدها قريبًا، ولكن شعورًا بالرضا عن قراره هو ماخفف بعضًا من الألم.

تعمَّد تجاهل الذكريات، اتصل بالطبيب واتفق معه على موعد إجراء الجراحة ثم اتصل بوالدته وأخبرها في كلمات قليلة أن الجراحة سيتم إجراءها السبت القادم، أي بعد أربعة أيام فقط.. وعليهم أن يتوجهوا للمستشفى من الجمعة صباحًا لتهيئة روان قبل دخولها غرفة العمليات اليوم التالي.

أنهى عمر مكالماته وطاردته الذكريات مرة أخرى.. ظل يصارعها حتى يبعدها عن تفكيره.. وما إن أتى حمدي حتى نهض عمر من مكانه مقررًا أن يذهب لنيفين لعلها تخفف بعضًا من العبء الذي يثقل كاهله.. فضفضة هي كل ما يحتاج.. يريد فقط أن يتحدث عن ألمه.. لا يستطيع أن يتكلم مع والدته أو شقيقته حتى لايزيدهما ألمًا فوق ما تتحملاه.

سأله حمدي:

- انت ماشي؟

- أه رايح مشوار وجاي.. عايزين نلم حاجتنا ونشوف محل إيجار في أقرب وقت.

sa7eralkutub.com

عقدت المفاجأة لسان حمدي.. ووقف مندهشًا ليرد عمر قبل أن ينطق حمدي بالسؤال:

- هبيع المحل هنا علشان عملية روان واشوف محل إيجار.. مفيش قدامي حل تاني.

تفهَّم حمدي الموقف.. وقال متأثرًا:

- فداها.. قُدَامك حاجة ولا لسه مدورتش؟

- لسه والله يا حمدي.. أنا يدوب كلمت الحاج عبد الوهاب وقلتله اني هبيع المحل فاتفقنا على طول والصبح هنروح نسجِّل.. هو سايبني إسبوعين بالكتير ننظم نفسنا.

- طيب افرض ملقيناش حاجة بسرعة كده.

- يبقى مفيش غير إننا هننقل الحاجة في شقتي لحد مانلاقي مكان.

صمت كل منهما.. وهو يتمنى ألا يضطر لإغلاق مصدر رزقهما الوحيد.. داعين الله في سرهما أن يرزقهما بمكان بديل في أسرع وقت.

****

طرق عمر باب نيفين، قاصدًا سماعها لما يجثو على صدره، متلمّسًا لبعض الكلمات التي تخفف مما يعانيه وحده، طامعًا في لمسة حانية من يدها الرقيقة تزيح بها همّه.

فتحت ألفت الباب، وقالت مُرحِّبة:

sa7eralkutub.com

- أهلًا يا عمر.. اتفضل.

سلَّم عمر عليها، ونظر للداخل؛ فوجد نيفين جالسة وأمامها اللاب توب ومنهمكة في الكتابة

رفعت عينيها دون أن تتحرك:

- عمر.. ازيك.. تعالى اقعد.

تقدم وجلس على أقرب أريكة.. وضع عكازيه بينهما، وسألها:

- بتعملي ايه؟

ردت دون أن ترفع نظرها له وهي تكتب:

- بكلم واحدة صاحبتي.

شعر منها عمر بعدم الاهتمام.. فقالها صريحة:

- طيب ممكن تقفلي البتاع ده وتقعدي معايا؟

استاءت ألفت من عدم اهتمام نيفين بعمر.. فقالت:

- هاتيه يا نيفين اشيلهولك جوه.

رفعت نيفين شفتيها امتعاضًا وهي تغلق اللاب توب وتعطيه لألفت التي أخذته ودخلت للغرفة وجلست بها.

لاحظ عمر أن نيفين غير مرحِّبة به.. فأراد أن يتأكد:

- انتي اتضايقتي اني جيت؟

فأجابت بكلمات تعنيها تماما

sa7eralkutub.com

- متصلتش ليه.. على الأقل كنت جيت لاقيتني لابسة حاجة أحلى من كده.

أشارت على الملابس البسيطة التي ترتديها، والتي لم يلاحظها عمر من الأساس، وقال لها:

- أنا جاي اقعد معاكي انتي، ومش هتفرق انتي لابسة إيه.

صمت قليلًا، وأكمل بنبرة مستجدية وبصوت منخفض حتى لا تسمعه ألفت التي تفصله عنها ستارة خفيفة بين الصالة والغرفة الوحيدة:

- أنا محتاجلك أوي يا نيفين.

أثارت نبرة صوته فضولها.. فسألته:

- محتاج لي في إيه؟

أجابها بنفس الصوت المنخفض.. المختنق:

- أنا حاسس بحزن كبير أوي.. بحاول اخفف عن ماما وعلا وروان وانا مش لاقي اللي يخفف عني.. دماغي بتفكر في مليون اتجاه علشان كل حاجة تمشي صح.. راضي عن قراراتي بس موجوع منها أوي.

- كل ده علشان روان تعبانة.. ما تعملوا العملية التانية وخلاص مش أول ولّا آخر واحدة تعيا.

شعر عمر باستخفافها بما يعانيه، ولكنه لم يصدق استنتاجه.. وأكمل:

- هي هتعمل العملية يوم السبت إن شاءالله.

- طيب فين المشكلة.

sa7eralkutub.com

- المشكلة اني موجوع.

ردت بلامبالاة: إنت أوُفَر على فكرة.. العملية وهتتعمل.. الدكتور وطمّنك.. الوجع اللي بتحس بيه بيقل بالمسكنات.. فين المشكلة.. ولّا انت بقيت عايز تشيل الهم وخلاص.

صحح لها مفهومها وهو يشرح مخاوفه:

- أنا موجوع اني اضطريت ابيع آخر حاجة كانت متبقي لي فيها ذكريات مع أكتر الناس اللي حبّتهم.

قاطعته نيفين:

- ثواني ثواني.. إنت تقصد اضطريت تبيع إيه؟

ردَّ عمر بحسرة:

- المحل.. بِعت المحل علشان اعمل العملية لروان.

انتفضت نيفين كمن لدغها عقرب.. وصرخت وهي تكرر كلماته:

- بِعت المحل علشان العملية.. ليه؟؟ هي علا معهاش فلوس؟؟ فين ورثها؟

تلعثم عمر بعدما هرب الكلام من لسانه.. مفاجأته من ردة فعلها هي التي أوقفت الكلمات في حلقه، فقال متلعثمًا وهو ينظر حائرًا بينها وبين ألفت التي جاءت على صوت نيفين:

- علا ورثها اتصرف.

لاحقته بالرد:

sa7eralkutub.com

- وانت تبيع المحل ليه؟ هي فلوسها خلصت ترمي بلاها عليك ليه؟ ما تروح لأهل جوزها ولا لو معهمش فلوس تروح لصبايا الخير ولا أي جمعية خيرية.. وبعدين تعالى هنا.. تبيع المحل ليه؟؟ هو انت كمان محيلتكش حاجة ولا إيه؟

ظلت نظراته حائرة بين نيفين وألفت.. تتلاحق الردود في رأسه..

هل يبرر لها ويشرح لها حالته المادية بالتفصيل. ولكن بأي حق تحدثه بتلك اللهجة وكأنها صاحبة حق في ماله.

أما ألفت فسألت وهي متعجبة:

- هو فيه ايه؟؟ وانتي مالك بتزعقي كده ليه؟؟ ماتسألي بالراحة.

أكملت نيفين صراخها:

- بيقولك باع المحل علشان العملية.

فسألته ألفت متأكدة:

- صحيح بعت المحل ياعمر؟ طيب ليه يا ابني ده محل ابوك من زمان.

لهجتها الحانية وجلوسها بجواره تربت على كتفه، جعله يتحدث بسلاسة ويحكي لها:

- ورثنا كله راح على العلاج.. واللي اتبقى من ميراث علا اديتهولي ووضبت بيه المحل وجبت بضاعة بدأت بيها.. يعني لولا علا وقفت جنبي لا كنت وقفت على رجلي بالمعنى الحرفي للكلمة ولا وقفت على رجلي في إن يبقى لي شغل.. يبقى لما الاقي بنتها في نفس الموقف اللي مريت بيه قبل كده.. أتخلى عنها؟؟!!.. استحالة طبعًا.. ده لو حصلت ابيع حتة مني مش هتأخر.

sa7eralkutub.com

ربتت ألفت على كتفه بحنان:

- الفلوس بتروح وتيجي.. والمهم انها تقوم بالسلامة.. بس انت هتعيش ازاي بعد المحل؟

قاطعتهما نيفين بعصبية:

- انتي لسه هتسأليه.. بيقولك محيلتوش حاجة خلاص.. يعني يروح يدوَّر بقي على أي شغلانة عند أي حد.. ده لو لقي حد يرضي يشغله من أصله.

فهم عمر ما تقصده نيفين، فاستند على عكازيه ونهض من مكانه وسألها:

- قصدك علشان رِجلي؟؟

ردت نيفين:

- أيوة طبعًا.. انت عايش في دور اللي مش حاسس بأنه ناقص.. أيوة محدش هيشغلك.. انت مبتشوفش الناس بتبص عليك ازاي؟؟ انت مش حاسس اني ببقى مكسوفة وانا ماشية جنبك وبدل ما تمسك في إيدي ماسك عكاكيزك دول.. انت فاكر ان أي بنت ممكن تدفن نفسها مع واحد زيك.. فووووق.

هبت ألفت واقفة.. ونهرتها بحسم:

- نيفيييين.. اخرسي.

ابتسم عمر بمرارة.. وسألها بهدوء:

- وافقتي عليا ليه؟

ردَّت وكأن شيطانها يتحدث:

sa7eralkutub.com

- من الزن على وداني.

وأشارت على ألفت وهي تكمل:

- عملتلي البحر طحينة.. هتعيشي مرتاحة.. هبقى مطمنة عليكي.

استدارت نحو ألفت، وأكملت:

- اتطمني يا اختي.. اهو طلع بيضحك علينا ومحيلتوش حيلة.

استدار عمر متجهًا للباب.. لحقته ألفت:

- استني يا عمر.. حقك عليا.. هي مش عارفة بتقول ايه؟؟ ياما بيحصل بين الاتنين.

ردَّ بحسم.. متحكمًا بأقصى قدرة لديه في صوته، وفي الألم الذي زلزل كيانه:

- النصيب اتقطع لحد كده.. سلامو عليكو.

خرج عمر بلا أي نية للعودة مرة أخرى.. مهما حدث.

أغلقت ألفت الباب، ونظرت لنيفين باحتقار وعدم رضا:

- قليلة الأصل وواطية زي ابوكي.. الدهب اللي جالك واللاب اللي قاعدالي عليه ده ليل ونهار هيرجعوله.

وضعت نيفين يدها في خصرها وردت:

- ليه.. والشهور اللي ضاعت من عمري معاه.

- بكرة تندمي عليه.. والحاجة هترجع بكرة غصب عنك.. كفاية أوي اللي قلتهوله.

sa7eralkutub.com

أنهت ألفت حديثها، ودخلت غرفتها وخرجت بعد دقائق مرتدية عباءتها وتلف طرحتها.. سألتها نيفين:

- رايحة فين؟

- في أي داهية بعيد عن وشك.

صفقت ألفت الباب بشدة.. رفعت نيفين كتفيها بلامبالاة، ووقفت في الشباك الذي يطل على الشارع تداعب خصلات شعرها وتغني.

****

قاد عمر سيارته بعيدًا، مصطحبًا ألمه وصدمته. كان يقود السيارة بلا أي وجهه محددة.

ذهب لنيفين معتقدًا أنه سيجد لديها الراحة، ولكنه وجد العذاب بحق.. آخر ما كان ينقصه.. الحقيقة التي ألقتها نيفين في وجهه.

شعر باختناق شديد وكأن الأكسجين اختفى تمامًا من على وجه الأرض في هذه الليلة الحارة من ليالي أغسطس.. وجد نفسه قريبًا من الكورنيش.. توقف بسيارته.. نزل منها مستندًا على عكازيه وتوجَّه إلى مقعدٍ يجلس عليه رجل آخر.. أعطى ظهره للشارع ونظر للنيل وشرد في صفحته التي تعكس ضوء القمر.

منظر جميل يتغنى به الشعراء.. ماله يراه اليوم يشع قُبحًا؟!

sa7eralkutub.com

اليوم.. كل جميل تبدَّل لقبح.. جمال نيفين الذي خطف نظره في بداية علاقتهما أخفى خلفه قبح لروح لم تعلم الرحمة وإلا كانت رحمته من الحقيقة التي أخفتها عنه الفترة الماضية.

ياله من أحمق.. كيف لم يفهم تقلباتها المزاجية بدون سبب.. لماذا لم يفسِّر من قبل إصرارها على عدم المشي بجواره إلا في الضرورة القصوى؛ لذلك كانت تطلب وتطلب وتطلب.. كانت تطلب ثمن موافقتها عليه.. ثمن للسعادة الزائفة التي منحتها له.

ابتسم بمرارة؛ لأنه أفاق على الحقيقة الآن، ولكنه لم يمنع الدمعة التي انحدرت على خداعه الشهور الماضية، وكلمات نيفين تتردد في أذنه بلا رحمة:

"انت فاكر ان أي بنت ممكن تدفن نفسها مع واحد زيك.. فووووق."

الآن فقط عرف الحقيقة وأفاق كما قالت نيفين.. يبدو أنه الوحيد الذي كان يجهل تلك الحقيقة.. والدته كانت تعلم أنه لن تقبل به أي فتاة؛ لذلك كانت تتعجل زواجه..

يا الله.. كم أخطأت والدته في حقه عندما تركته يعيش وهم أنه إنسان طبيعي كما كان من قبل.. كما أخطأت ألفت في حقه وحق نيفين بإجبارها على قبوله.

يبدو أن الحادث لم يأخذ أيمن فقط.. ولا فرحة علا أيضًا.. بل أخذ معه كل أمل في مستقبل يطمح فيه أن يكون رب أسرة يومًا ما.

لابد من تصديق الحقيقة.. مهما كانت مريرة.

sa7eralkutub.com

حُكِمَ عليه أن يقضي عمره وحيدًا.. كما حكمت علا على نفسها من قبل.. فليتخذ من روان ابنة له ويكفيه أسرته التي تحبه حقًا- والدته وعلا وروان- دون الحاجة لتسوُّل مشاعر الحب من أي فتاة.

فمن مثله.. ليس من حقه الحب .

عاد عمر للمنزل متأخرًا.. استقبلته والدته بلهفة:

- مكنتش بترد على تليفوني ليه؟؟ قلقتني.

- كنت ناسي التليفون في العربية وكنت في مشوار.. كنتي عايزة حاجة؟

- إيه اللي حصل؟

- قصدك إيه؟

- ألفت كانت هنا وبتقول انت مشيت من عندها زعلان ومردتش تحكي حاجة.. بتقول كانت جاية تصالحك.

- كتَّر خيرها.. إبقي قوليلها ان كل شيء نصيب.

- يا ابني متقولش كده.. دي أكيد عين وصابتكم.

ردَّ عمر حاسمًا:

- ماما.. الموضوع ده انتهى ومش عايز كلام فيه تاني.. روان عاملة إيه؟

أراد تغيير دفة الحديث، ولكن والدته أجابته باختصار:

- نايمة هي واختك.. ما تفهّمني إيه اللي حصل لكل ده.

sa7eralkutub.com

- اللي حصل إن بنتها عايرتني بعجزي.. اتخطبت لي علشان كانت فاكراني معايا فلوس زي زمان.. لما عرفت الحقيقة واجهتني هي كمان بالحقيقة.

قاطعته والدته بعدما شعرت بصوته المختنق وهو يشيح بوجهه عنها متجهًا لغرفته ووالدته تتبعه:

- ولا تزعّل نفسك.. والله يا ابني انت ما فيه زيك وألف واحدة تتمناك.

جلس على طرف السرير، وضع عكازيه بجواره وانحنى يخلع حذاءه:

- الله يخليكي سيبك من موضوع الجواز ده خالص.. أنا كده هبقى مرتاح أكتر.

دبت الأم على صدرها.. وجلست أمامه:

- يا مصيبتي فيكم انتم الاتنين.. أختك تقولي مش هتجوز وانت كمان تقولّي مش هتجوز.. مش مكتوبلي افرح بيكم واشوف ولادكم حواليا.

ربت عمر على يديها:

- إن شاءالله روان تقوم بالسلامة وتفرحي بيها وتشوفيها عروسة.

تساءلت الأم بعينين دامعتين:

- وانت؟؟ واختك؟؟ خلاص كده حكمتوا على نفسكم تترهبنوا.

ردَّ عمر بصوت يقطر ألمًا:

- مش هستحمل اني اتخدع تاني.. إحساس وحش أوي لما اكتشفت ان نيفين مكنتش طايقاني.. يعني الوقت اللي كنت بعمل كل حاجة تطلبها لمجرد اني بحبها وعايز اسعدها.. كانت هي بتعتبر ده مقابل لشفقتها عليا.. كل كلمة حلوة

sa7eralkutub.com

قالتهالي كانت بتقولها وهي مش حاساها.. وانا كنت عبيط.. مش عايز احسن الإحساس ده تاني.. مش عايز احس اني عبيط.

لمعت الدموع في عينيه، ولكنه حاول ألا تسقط أمام والدته، يكفيه ما يشعر به من نقص.. يكفيه ضعفه.. يكفيه الحزن الذي يكاد يحطمه تحطيمًا.

أرادت والدته أن تؤجِّل سؤالها للغد.. ولكنها لم تستطع صبرًا.

فسألت: هو انت اتفقت على العملية ازاي؟؟ جبت فلوس منين يعني؟

ردَّ عمر بنفس نبرة الحزن التي تسكن قلبه:

- اتفقت على بيع المحل.. مكنش قدامي حل تاني.

رددت الأم كلماته بفزع:

- محل ابوك؟؟ ده آخر حاجة متبقية لنا.

حاول طمأنتها:

- مكنش قُدَّامي حل تاني.. فلوس المحل كانت هتكفي عملية روان والباقي كنت هقسمه بيني وبين علا.. كنت هتجوز بنصيبي.. بس بعد اللي حصل ده هحاول اشوف محل تاني يكون أقل شوية بعد ما اطلَّع الفرق للعملية.

صمتت الأم.. صمتًا مزدحمًا بالأفكار.. سألته متأكدة:

- انت اتفقت مع حد ولا لسه؟

- اتفقت مع الحاج عبد الوهاب.. بيدوَّر على محل من فترة واول ما كلمته على المحل اتفقنا.

sa7eralkutub.com

نهضت الأم وهي تنهي الحوار:

- طيب استني ومتكتبش عقود.. يمكن منحتاجش نبيع المحل.

سألها بتعجب:

- ازاي؟؟ اللي متبقي من العملية الأولانية ميجيش حاجة من المطلوب

- أنا هتصل بخالك الصبح اشوف يقدر يسلفني كام.. إن شاء الله نكمل الفلوس ومنحتاجش نبيع المحل.

ردد عمر وقد بدأ الأمل يلقي شعاعًا خفيفاً أمام ناظريه:

- يارب.. يارب تتحل ومنبيعش المحل..

****

منذ سقوط روان وبدء آلامها.. وعلا تعيش مرحلة حزن جديدة في حياتها متعاقبة الأحزان،

كل دقيقة تمر تخشى أن تكون الأخيرة التي تجمعهما.. تخشى أن تبتعد عنها لحظة فتعود ولاتجدها.. فقدت الغاليين ولم تعد تتحمل فقد آخر.. تقضي طوال الوقت جالسة بجوارها.. تراقبها إن غفت وتقبّل يديها وقدميها.. ثم تنهض وتصلي في الليل والنهار وتطلق لدموعها العنان في سجودها وهي تدعو الله أن ينجّيها.. وما إن تستيقظ روان حتى ترسم علا ابتسامة على شفتيها حتى تخفف من آلام ابنتها.. تحكي القصص المسلية.. تشغل قنوات الأطفال التي تحبها.. تجلب لها كل ماتحب، ولكن الآلام التي تنخر في عظامها تجعلها تبكي، تزهد ما تحب، ترفض الحلوى والقصص والأفلام، تسأل والدتها:

sa7eralkutub.com

- هو انا مش مخف.. هفضل في السرير كده.. مش هروح المدرسة ولا اخرج تاني؟

تساؤلاتها البريئة تشعل النار في قلب علا؛ خوفًا من أن تتحقق.

تؤكد لها وهي لا تعلم مدى صحة كلامها:

- هتخفّي وهتقومي وهتلعبي.. بس نقول يارب.

تردد روان وهي تبكي:

- ياااارب.

شعاع الأمل تسلل إليها بكلمات الطبيب الكبير الذي عالج عمر من قبل.. تفكر هل ستدبر المبلغ المطلوب.. كيف تجرؤ أن تطلب من عمر أن يتكفل بمصاريف جراحة أخرى لروان وهي تعلم تمامًا ما أمامه من مصاريف زواج.

فكرت كثيرًا خلال الساعات القليلة الماضية.. نوم روان بعد المسكِّن القوي الذي أخذته جعلها تفكر وحدها دون مقاطعة.

فكرت كثيرًا.. هل تتحدث مع طارق وتطلب منه المساعدة؟؟

هل تتحدث مع عمر وتسأله.. من أين لها أن تأتي بمبلغ العملية وهي تعلم أنه فعل ما بوسعه ولا تستطع طلب المزيد.. تريد فقط أن تتحدث إليه.. يفكران معًا لا لتطلب منه الحل

فتحت دولاب ملابسها.. أخرجت علبة شبكتها.. أخذت العلبة في حضنها وظلت تقبّلها وهي تبكي.. فتلك العلبة شاهدة على ذكريات يوم من أجمل أيامها القصيرة التي قضتها مع أيمن.. منذ سنوات وهي تعتبر شبكتها ذكرى ملموسة

sa7eralkutub.com

تستطيع من خلالها أن تستشعر لمسات أيمن فيها.. فمنذ أن أهداها لها.. وحينما كانت ترتديها بصحبته.. ارتبطت ارتباطًا شرطيًا بوجوده ومنذ وفاته لم تستطع ارتداء أي شيء منها.. قررت منذ سنوات أن تبقيها في علبتها حتى لا تفقد أثر أيمن.. قبلة تتجه إليها كلما غلبها الحنين.

كم هي غالية عليها.. ولكن.. لن تكون أغلى من روان.

الذكرى الحقيقية والأثر الأغلى الذي يحمل دمها ودمه.. صفاتها وصفاته.. ملامحها وملامحه

أعادتها إلى مكانها حينما سمعت باب الشقة يُفتح.. فتأكدت أن الجارة الزائرة قد غادرت للتو.. خرجت لتجلس مع والدتها وتخبرها بما تفكر به.

sa7eralkutub.com

قبل أن تتحدث، رن هاتف والدتها، فردت وهي تخبرها أن المتصل عمر.. كلمات قليلة بعدها أغلقت وزفّت إليها البشرى.

- أخوكي اتفق مع الدكتور والعملية يوم السبت.. بس لازم تدخل المستشفى الجمعة الصبح.

لم تصدق علا أن المشكلة حُلّت بسهولة.. فتساءلت بفرحة:

- بجد؟؟ هتعمل العملية يوم السبت؟

- إن شاءالله.. ربنا يقومها بالسلامة يارب.

- وعمر جاب فلوس منين؟

أجابتها والدتها بحيرة:

- مقالش.. قال الكلمتين وقفل على طول.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

- ومسألتهوش ليه؟

- حسيت من كلامه انه مش عارف أو مش عايز يتكلم.. شوية وهكلمه افهم منه.

سمتت علا.. شعرت بالراحة والأمل في أن ترى روان تمشي مرة أخرى على قدميها.. قالت الأم:

- روان لسه نايمة؟

- أه الحمدلله الحقنة اللي أخدتها سكّنت الألم وخليتها تعرف تنام.

- طيب ما تقومي تنامي لك شوية قبل ما تصحى.. انتي مبتناميش.

نهضت علا.. فبعد أن اطمأنت، تسللت إليها الرغبة في النوم وإراحة عقلها من التفكير وجسدها من الإجهاد.

استيقظت علا بعد فترة لم تعلمها على صوت باب الشقة.. نظرت إلى روان وجدتها مازالت نائمة.. سمعت صوت عمر.

نهضت بهدوء كي لا توقظ روان.. تسللت من الغرفة متجهة لغرفة عمر كي تشكره وتسأله عن تفاصيل ما حدث.

بمجرد اقترابها من غرفة عمر، سمعت الحديث الدائر بينه وبين والدته، علمت أنه فسخ خطبته، علمت أنه فكر ببيع المحل لعمل العملية لروان.. سمعت صوت حزنه وضعفه وعجزه.

sa7eralkutub.com

تألمت كثيرًا، وسالت دموعها على وجنتيها.. لم تعلم كيف تتصرف.. هل تدخل وتخبره أنها تشعر بألمه، وأنها لن تحمِّله فوق طاقته.. هل تنسحب بهدوء وتحترم حزنه ولا تشعره أنها سمعت ما دار من حديث.

لحظات التفكير.. أخَّرتها عن التصرف حتى وجدت والدتها تخرج من الغرفة وتتفاجأ بها.

فسألتها: إيه ده؟؟ انتي صحيتي؟

فاقتربت على استحياء ودخلت لعمر، جلست بجواره مطأطئة الرأس.. فسمعت صوته يردد بحنان:

- متقلقيش.. العملية هتتعمل وهترجع تجري وتلعب وتنور البيت تاني.

أدارت رأسها ناحيته.. ألقت برأسها على كتفه وظلت تبكي وهي تقول:

- أنا حاسة بيك والله يا عمر.. عارفة انك بتعمل كل اللي تقدر عليه علشاننا.. بس كفاية كده.. مش لازم تضحّي بخطيبتك وسعادتك علشاننا.. أنا فكرت، وفلوس العملية هحاول ادبّر اللي أقدر عليه.. شبكتي زمانها دلوقتي تجيب مبلغ كويس.. وهروح لمامة أيمن اطلب منها اللي تقدر عليه.. كفاية أوي فلوس العملية اللي فاتت.

ظل عمر يربت عليها بحنان وحب.. وينظر لوالدته التي وقفت تراقبهما بدموع عينيها دون أن تتكلم.. تغلَّب على حزنه وضعفه وتصنع القوة.

- شششش.. فلوس إيه اللي بتتكلمي فيها.. أهم حاجة روان تقوملنا بالسلامة.

عادت برأسها للوراء.. ونظرت في عينيه:

sa7eralkutub.com

- إوعي تبيع المحل يا عمر.. هو اللي ساترنا ومطمنا.

- حاضر.

- وبكرة الصبح خُد الشبكة شوف هتجيب كام ونشوف هيبقى فاضل أد إيه.

ردَّ بحزن وقلة حيلة: بس انا عارف انها غالية عليكي.

ردَّت وهي تحاول الابتسام، وتصنُّع عدم الاهتمام:

- مش أهم ولا أغلى من بنتي.

قالت الأم: الحمدلله.. ربنا اهو بيبعتلنا حلول من عنده.. الصبح تروح تبيع الدهب.. ونشوف فاضل كام وأقول لخالك يسلفني الباقي.

رغم الحزن.. والقلق.. والألم.. إلا أن هناك شعورًا ما بالراحة بدأ يتسلل لعمر.

وكأنما اللحظة التي انفصل فيها عن نيفين، بدأت كل التعقيدات تُحل تدريجيًا.

****

في الأيام الماضية، شعرت حنان بالرضا مما حدث.

فبعد أن ذهبت للقاء إسراء وقدَّما أوراق التقديم للوظيفة، عادت وهي متشوقة لتعرف رد فعل والدها. تأخرت متعمدة حتى تعود بعده.. بالفعل.. عادت أثناء تناولهم جميعًا الغداء

فوجئ والدها بأنها آتية من الخارج.. كان يظن أنها بغرفتها كالعادة. لاحظت حنان دهشته، ولكنها تجاهلته تمامًا ودخلت غرفتها.

sa7eralkutub.com

بمجرد أن أغلقت الباب خلفها، أرهفت السمع فجاءها صوت والدها يسأل بجِدَّة: هي كانت فين؟؟

رد أحمد سريعًا: كانت بتقدِّم على شغل مع إسراء.

احتد الأب، وارتفع صوته قائلًا:

- شغل إيه وزفت إيه.. ومين قالها تنزل أصلًا.. وازاي تنزل من غير إذن.. إن كنت بوافق اخليها تنزل معاك ده مش معناه انها تنزل كل يوم بحجة شغل وزفت.. كفاية أوي اللي حصل بسبب نشفان دماغها.

سأل أحمد بضيق:

- وهي إيه اللي عملته علشان يتحكم عليها بالحبس مدى الحياة؟

- فضحتنا.

- فضحتنا؟؟!! بعد كل اللي حصل ده وبتحمِّلها المسئولية مع إن كلنا عارفين كويس مين السبب الحقيقي.

ظلت واقفة خلف الباب.. دموعها تنهمر في صمتٍ وهي تتذكر ما مرت به من قبل.. وتتذكر كلمات والدها من قبل التي أدت إلى انهيارها، لكنها شعرت أنها هذه المرة أقوى.. يكفيها أن أحمد جوارها.. يتحدث بلسانها.. يدافع عنها.. وجوده يقوِّيها إلى حدٍّ ما.. مازالت لاتقوى على مواجهة الحياة والناس، ولكن أحمد يستطيع حمايتها.

أما والدها فقد عجز عن الرد.. وراوده شعور بتأنيب الضمير، فسأل بانكسار: قصدك انا السبب؟

شعر أحمد بالحرج، فحاول الخروج من المأزق:

sa7eralkutub.com

اللي حصل حصل خلاص.. خلينا في اللي احنا فيه.. سيبها تنزل وتشتغل وارجع ثقتها بنفسها وبالناس.. سيبها ترجع حنان بتاعة زمان.

صمت الأب وعاود استكمال تناول الطعام.. سمعت حنان من خلف الباب أصوات الملاعق تحتك بالأطباق فعلمت أن الكلام انتهى.

وقفت أمام المرآة تنظر لوجهها الشاحب وجمالها الذي انطفأ وعينها الحزينتين.. ابتسمت لنفسها ابتسامة رضا.. فهاهي قد عاندت والدها وفعلت مالا يرضاه.

مازالت عند قرارها أنها لن تعمل، لن تتعامل مع الناس مرة أخرى، لكن سيظل قرارها غير معلن حتى تكسب وقتًا أطول في عناد والدها.. وليعلم أنها تستطيع أن تفعل أي شيء دون رغبته.. فليتأكد أنه لم يعد متحكّمًا بها.

أيام قليلة مرت، وعادت الحياة كما هي: حنان في عزلتها تستثني منها فقط أحمد وإسراء.. تتجنب والدها تمامًا والمعاملة عادية مع والدتها.

في ظُهر الخميس.. وحنان تطهو الطعام مع والدتها.. سمعت صوت الباب يفتح ويغلق وصوت أحمد ينادي.

خرجت الأم وحنان.. وجدت أحمد جالسًا على السفرة واضعًا أمامه كيس بلاستيك أسود، وأخرج منه ظرفًا كبيرًا ممتلئًا بالنقود.

سألته والدته: إيه الفلوس دي؟

أجابها: دول 50 ألف جنيه، سحبتهم من البنك النهاردة.

الأم: ليه؟

sa7eralkutub.com

أحمد: مش قلتلكم اني متفق مع سمسار هيوريني بكرة كام شقة.. فقلت يبقى معايا فلوس علشان لو عجبتنا حاجة ندفع مقدم وابقى اكمل الفلوس أي وقت خلال الإسبوع.. فرصة ان بكرة أجازة.

دعت له الأم: ربنا يسهّلك أمورك ويتم لك على خير.

سألته حنان: هتروح انت وإسراء ولا انت لوحدك؟

أجابها أحمد: أنا وانتم وهي ومامتها وباباها.

أرادت حنان أن تتاكد: إحنا مين؟

أحمد: أنا وانتي وماما وبابا.

تراجعت حنان واتجهت للمطبخ وهي تتعلل بمبرر يعلم الجميع أنه غير حقيقي.

- انتوا لسه هتتفرجوا.. خليني انا لما تجيب الشقة إن شاءالله أبقى اجي معاك اشوفها.

دخلت المطبخ.. فقالت الأم بصوت منخفض:

- خليها.. ما دام عرفت إن ابوك رايح معانا مش هترضى تيجي.

نهض أحمد من مكانه وهو يؤكد على والدته:

- خلي الفلوس معاكي واديها لبابا. أنا هروح اغيَّر هدومي ونازل.

- انت مش شغلك بالليل؟؟

- أيوة.. بس هتغدا مع إسراء وبعدين نخرج شوية واطلع ع الشغل من بره بره.. وقولي لبابا ان ميتزلش يصلي بدري.. يصحيني علشان نروح نصلي الجمعة مع بعض ونقابل السمسار من بره بره.

sa7eralkutub.com

- هو المعاد الصبح؟

- أه بعد الصلاة.. ابقي انزلي صلي معانا.

- أنا مش هينفع انزل بكرة الصبح.. خلاص خليني مع اختك وبدل اللف معاكم أبقى اجي اشوف اللي اختارتوها وخلاص.

****

دخلت روان المستشفى الجمعة صباحًا؛ كما اتفق عمر مع الطبيب، ذهب معهم طارق ووالدته.. واطمأنا لاستقرار روان بغرفتها، وأجرى بعض الأطباء كشفًا سريعًا وأخذوا عينة دم لتحليلها.

بعد الأذان.. استأذن طارق وعمر في الذهاب لصلاة الجمعة في مسجد المستشفى.. بعد أدائهم الصلاة.. جاء طارق وأخذ والدته واستأذنا في المغادرة.. وذهبا.

أقامت روان بغرفة من غرف الدرجة الأولى، في الدور الثالث، في نفس دور غرفة العمليات.

سمعوا جلبة بالخارج والصوت يقترب..

خرجوا ليستطلعوا الأمر.. فتوقفوا أمام مشهد يدمي القلوب.

****

رنَّ جرس الهاتف الأرضي، فتجاهلته حنان كعادتها، وذهبت والدتها للرد:

- ألو.

قالتها هادئة.. ثم صرخت

sa7eralkutub.com

- رصاصة إيـه؟؟!! مات ؟؟

شعرت حنان برجفة في قلبها.. مَن تقصد والدتها؟ ومن المتحدث؟؟

ترى.. هل أحمد المقصود أم المتحدث؟؟ هزت رأسها بعنف رافضة للسؤال حتى لو كان في نفسها، ولم يصل للسانها بعد.. تتمنى لو كان المتحدث أحمد وأن يكون بخير.

تتخيل أن المقصود والدها.. تتألم.. تشعر بالخوف عليه.. تجرّ قدميها في اللحظات القليلة التي مرت كدهر.

وقفت أمام والدتها.. نظراتها تستجديها التوضيح، سمعتها تكمل وهي تبكي:

- مستشفى إيه؟؟ حالًا.. حالًا.

أغلقت الهاتف وهي تبكي وتجري نحو غرفتها.. وتصرخ:

- أخوكي اتضرب بالنار.. إلبسي بسرعة.

قنبلة شديدة الانفجار ألقيت على مسامع حنان حتى شعرت أن الدنيا كلها تهتز بعنف جراء الانفجار.

لحظات لم تستطع استيعاب كلمات والدتها.. أحمد؟؟كيف ؟؟ ولماذا؟؟

لم يكن يومًا له عدو أو من الأشخاص مفتعلي المشاكل.. كل من يعرفه يحبه ويحترمه.. هل له عدو ما لم تعرفه، تربَّص به ليقتله؟

قتل!! أحمد قُتِل حقا؟؟ هل مات أم مصاب؟؟

sa7eralkutub.com

ركضت وسحبت ملابسها من دولابها وخرجت وهي ترتديها في الطرقة بين غرفتها وغرفة والدتها: فالوقت لا يسمح أن تسأل ثم ترتدي ملابسها أو العكس. فسألت والدتها وهي تبكي وترتدي ملابسها في آنٍ واحد:

- مين اللي ضربه؟؟ وهو عايش ولا...

سكتت ولم تستطع إكمال كلماتها.. ردت والدتها بصوت يرتعش من الخوف على ابنها:

- معرفش.. كل اللي ابوكي قاله إنه اتضرب بالنار ورايحين على المستشفى.

قالت حنان وهي تحاول طمأنة نفسها ووالدتها:

- مستشفي يبقي اتصاب بس.. يعني هو بخير؟

- معرفش.. هنروح ونشوف.

استبقتا الباب، وكل منهما تدعو أن يكون بخير.

* * *

sa7eralkutub.com

- 12 -

الأُلفَة ..

بداية

sa7eralkutub.com

توقف عمر وعلا ووالدتهما أمام مشهد لشاب يجري به الأطباء وطاقم تمريض وهو يتزف كثيرًا، ووالده يجري خلفه.

نداء في المستشفي لطبيب.. ممرضين يدخلون ويخرجون من غرفة العمليات.. عامل أتى ليمسح الدم الذي سال على الأرض.

دقائق.. ودخل أحمد غرفة العمليات.. ووالده يقف وحده في الخارج يبكي.

تأثرت علا ووالدتها ودمعت عيناهما.. ودخلا الغرفة، بينما اقترب عمر من الأب الذي يقف وحيدًا.

- إن شاءالله خير.. ربنا يطمنك.. أي مساعدة أقدر اقدمهالك.

ردَّ الأب ووجهه غارقًا في دموعه:

- ادعيله.. دي أكتر حاجة هو محتاجها.

أتت إسراء ووالدها ووالدتها يهرولون.. إسراء تبكي بشدة وهي تسأل:

- أحمد فين يا عمو.. إيه اللي حصل بعد ما كلمني؟

ووالدها يسأل: ازاي ده حصل؟؟ طيب هو أخباره إيه؟

والأم تسأل: مين اللي ضربه وليه؟؟

الأسئلة متلاحقة.. متداخلة.. كل يسأل في وقت واحد.. وكلما أراد الأب الإجابة على سؤال تبعه سؤال آخر قبل أن يجيب السؤال الأول.

انتظر حتى انتهت الأسئلة.. وبدأ يحكي:

sa7eralkutub.com

- إحنا كنا جايين في المعاد عادي.. واحنا في الميكروباص السمسار فضل يتصل واحمد يكنسل.. كنا فاكرينه بيستعجلنا.. أول ما نزلنا من الميكروباص ومشينا شوية لقينا الدنيا هرج ومرج وناس بتجري.

قطع كلامهم صوت بكاء والدة أحمد وهي تهرول نحوهم وحنان بجوارها تبكي.. بمجرد أن اقتربت سألت زوجها :

- أحمد جراله إيه؟؟؟ مين اللي عمل فيه كده؟

ربت الأب عليها محاولًا تهدئتها:

- ادعيله انتي بس ربنا ينجيه.. كل اللي حصل، حصل في لحظة.

اقتربت حنان من إسراء وكلتاهما تبكي في حضن الأخرى.

حنان باكية: إيه اللي حصل يا إسراء؟؟

إسراءباكية هي الأخرى: معرفش.. باباكي كان بيحكي.

شعر عمر بالحرج لوجوده وسط عائلة لا يعرف أحدًا منهم، فتراجع خطوات وابتعد نسبيًا وقد تملكه الفضول لسماع تفاصيل ما حدث، سأل والد إسراء:

- كمّل.. وبعدين إيه اللي حصل؟

فقال والد أحمد مكررًا كلامه حتى يحكي مرة أخرى لزوجته ما حدث: اول ما نزلنا من الميكروباص ومشينا شوية، لقينا الدنيا هرج ومرج وناس بتجري، والسمسار اتصل تاني فاحمد رد عليه.. أتاربه كل ده بيتصل علشان يقولّنا منجيش علشان فيه مظاهرات والدنيا والعة.. ساعتها كنا قربين منه.. أول حاجة أحمد عملها إنه اتصل باسراء علشان يلحقكوا متجوش.

sa7eralkutub.com

رد والد إسراء:

- وفضلتوا ليه.. مبعدتوش عن القلق بسرعة ليه؟-

بكى والد أحمد وهو يحكي:

- ملحقناش.. في لحظة لقينا حوالينا الناس بتجري وعساكر وقنابل مسيلة للدموع وناس معاهم أسلحة.. وصوت عالي.. لسه بقول لاحمد يالا بسرعة.

وانقطع صوته بالبكاء:

- لقيته وقع جنبي وهو بيصرخ من الألم والدم بينزف من رِجله.. كام شاب جروا عليه شالوه لمدخل عمارة.

صرخت إسراء مستنكرة:

- مدخل عمارة؟؟ سايبينه ينزف ويتحط في مدخل عمارة.

الأب: يا بنتي الناس كلها خايفة.. وواحد قالي هيشاور لأي عربية نلحقه فيها.. مكناش لسه هنستنى الإسعاف لما ييجي وياعالم هييجي إمتى ولا يوديه على مستشفى إيه.

والد إسراء: يعني مين اللي ضرب عليه؟؟ شرطة ولا متظاهرين؟

الأب: ولا اعرف ولا حد يعرف.. ومش هو لوحده اللي اتضرب بس كل واحد راح في حتة.

الأم: يا حبيبي يا ابني.. ده نازل فرحان انه خلاص بيجهّز للجواز يتغدر بيه كده.. منهم لله اللي عملوا كده.. ربنا يحرق قلبهم على ضناهم زي قلبي ماهو محروق كده.

sa7eralkutub.com

عاد عمر لغرفة روان والحزن يرتسم على ملامحه.. سألته والدته:

- ماله يا عمر؟؟ وأهله دول اللي عدّوا من شوبة؟

ردَّ عمر بألم: آه أهله وشكلهم يقطع القلب.. اتضرب في مظاهرة.. بيقولوا عريس كان بيجهز لجوازه.

الأم بشفقة: يا حبيبي.. يارب طمن قلب امه عليه وقوّمه بالسلامة.

ساد الصمت بينهم.. وكأن رؤيتهم لاحمد غارقًا في دمائه أيقظت في قلوبهم ذكرى مؤلمة يتناسوها جميعًا.

****

وقت الانتظار مميت.. جفت الدموع وساد الصمت والألسنة ظلت تلهج بالدعاء.. حتى فُتح باب غرفة العمليات أخيرًا وظهر الطبيب، فانتفضوا جميعًا.. والكل يسأل عن حالة أحمد

طمأنهم الطبيب: ايه يا جماعة انتوا قلقانين ليه؟؟ الرصاصة جت في الفخد بس الحمدلله بعيد عن الشريان.. بسيطة يعني خلاص الرصاصة طلعت وهيخرج في غرفة عادية كام يوم وهيبقى بخير.. حمدالله على سلامته.

رددوا جميعًا كلمات الحمد والشكر لله الممتزجة بالدموع.. دموع فرحة واطمئنان بعد كلمات الطبيب.

جلس الجميع في غرفة أحمد، ينتظرون إفاقته ليطمئنوا عليه.

sa7eralkutub.com

حنان وإسراء تجلسان متجاورتين على كنبة كبيرة أمام سرير أحمد.. بجوارهما والدة إسراء.. بينما تجلس والدته على مقعد مجاور له.. ويجلس الأبوان على السرير المقابل في انتظار الاطمئنان على أحمد.

نظرات الجميع معلَّقة على أحمد.

اهتزت جفون أحمد، فاقتربت والدته من يده تربت بحنوّ:

- أحمد.. سامعني يا ابني؟

نهضت حنان وإسراء واقترب الجميع من السرير.

أمسكت حنان بيده تقبِّلها وهي تبكي.. شعرت به يضغط بضعف على يدها.. فحدَّثته بسرعة:

- أحمد.. قوم يا أحمد طمني عليك.

فتحدث بلسانٍ ثقيلٍ:

- أنا كويس.. بابا.. إسراء.. كويسين؟

ردَّت إسراء.. ووالده:

إسراء: كلنا كويسين.. المهم انت.

الأب: حمدالله على سلامتك.. ياريتني كنت مكانك يا ابني.

فتح أحمد عينيه ببطء.. نظر لهم جميعًا.. حاول الابتسام رغم ألمه:

- متقلقوش.. بس فهّموني رجلي حصل لها إيه؟

ردَّ والده مطمئنًا له:

sa7eralkutub.com

- الحمدلله يا احمد.. الرصاصة جت في رجلك وخلاص الدكتور طلعها وطمننا.

رددوا جميعًا بأصوات مختلطة

- الحمدلله.

- ربنا يقومك بالسلامة.

- ربنا يطمنا عليك.

****

بعد الاطمئنان على أحمد، في بداية المساء غادرت إسراء المستشفى مع والديها.

بعد مغادرتهما، مال والد أحمد على زوجته وهمس في أذنها:

- يدوب نروَّح قبل معاد الحظر.. قوليلها تيجي تروح معايا.

قالت الأم لحنان: يالا يا حنان علشان تروّحي.

اعترضت حنان: أروَّح فين؟ أنا مش همشي.

ذكَّرتها والدتها: المستشفي قالوا المرافق واحد بس.. ممنوع اكتر.

صححت لها حنان: ما انا اقصد إن انا اللي هبات معاه.

احتدت الأم: إزاي انتي اللي تباتي.. أنا مش هسيب ابني.

ردت حنان بتحدٍّ: وانا مش هرجع البيت من غيرك ومن غير احمد.

sa7eralkutub.com

ابتعدت خطوات ووقفت أمام النافذة.. استيقظ أحمد من غفوته دون أن يدرك ماذا حدث.

همس الأب: سيبيها وتعالي انتي.. هي مش عايزة تيجي علشان متقعدش معايا.

سألهم أحمد: فيه حاجة؟

أجابته حنان مطمئنة وهي تقترب منه: لا أبدًا.. انت عامل إيه دلوقتي؟

ردَّ بصوت متألم: رِجلي بتوجعني أوي.

ربتت على يده:

- تلاقي مفعول المسكِّن بدأ يروح.. أهم حاجة متتحركش زي ماقالوا.

وافقها أحمد؛ فلم يكن باستطاعته الحديث من شدة الألم، ولكنه يخشى أن يتألم كي لا يقلقون.

خلال ساعة، كانت حنان وحدها في الغرفة مع أحمد، والمستشفى هادئة إلى حدٍّ ما بعد أن غادر كل الزوار ولم يتبقَ سوى المرضى ومرافقيهم والعاملين بالمستشفى.

مع إرهاق اليوم ونوم أحمد وهدوء المستشفى، شعرت حنان بالرغبة المِلحَّة في النوم، فنامت بعد أن اطمأنت من الممرضة على أن المسكنات التي أخذها أحمد ستجعله ينام بهدوء.

نامت حنان بملابسها التي أتت بها.. نوم متقطع ولكنها كانت بحاجة مِلحَّة للنوم فنامت ساعات طويلة.. استيقظت لتجد الساعة الثانية صباحًا والممرضة تضع العلاج في المحلول المعلق بجوار أحمد.

sa7eralkutub.com

انتظرت حتى خرجت الممرضة من الغرفة ثم دخلت الحمَّام.

عادت وجلست بالقرب من أحمد.. تتأمله وهو نائم وتمسح بيديها على وجهه.. نادته بهدوء فلم يرد عليها.. أحكمت الغطاء عليه وقللت من درجة المبرِّد، وجلست على السرير المقابل.

رغم اعتيادها على وحدتها وعزلتها.. إلا أنها شعرت بالملل.

جلست تقلِّب في قنوات التليفزيون.. ارتعبت من كم قنوات الأخبار التي تتحدث عن المظاهرات والقتلى والمصابين.

نظرت لأحمد النائم قبالتها، وسالت دموعها وهي تتخيله وقت الحادث وتقارن بما تراه على الشاشة.

أغلقت التليفزيون ومسحت دموعها، نهضت بعدما شعرت بالجوع وقفت على باب الغرفة تنظر حولها، فوجدت المكان هادئًا وعلى مرمى بصرها بعيدًا ممرضتان تجلسان تتحدثان.

أغلقت باب الغرفة خلفها وذهبت إليهما.. أثناء مرورها بالغرفة المجاورة سمعت بكاء طفل أو طفلة – لم تستطع تمييز الصوت تحديدًا – وذهبت للممرضتين.. سألتهما بهمسٍ:

- هو فيه مكان هنا جوه المستشفى ممكن اشتري منه حاجة آكلها؟

ردت إحداهما: آه.. الدور الأرضي اسألي على الكافتيريا هتلاقي هناك كانتين اشتري منه اللي انتي عايزاه، ولو عايزة تقعدي تطلبي حاجة براحتك.

شكرتها حنان.. وذهبت.

sa7eralkutub.com

عندما عادت حنان بعد قليل.. وأثناء مرورها بالغرفة المجاورة، كان الباب مفتوحًا فتباطأت ونظرت للداخل، رأت روان مازالت تبكي والممرضة بجوارها تضع حقنة في المحلول المعلّق . تألمت حنان على الطفلة التي تبكي ألمًا، وجدت نفسها تقف تراقب الصغيرة ولا تتحرك.. بل مشاعر الأمومة التي عجزت عن تحقيقها هي التي تحركت وجعلتها تبتسم للصغيرة عندما تلاقت عيناهما.

وكأن عيني الصغيرة وابتسامتها مغناطيس جذب حنان لداخل الغرفة.

تعجبت علا من الزائرة التي لم تراها من قبل: فمن المؤكد أنها لاتعمل في المستشفي: فهي لاترتدي "بونيه" التمريض أو الطبيبات.. من هي التي تحمل بعض الحلوى وتبتسم بحب لابنتها؟

sa7eralkutub.com

وقفت حنان بجانب روان، ومسحت على شعرها بحنان:

- بتعيّطي ليه؟؟ حاجة بتوجعك؟

ردت روان بهدوء: رجلي بتوجعني.

فأعطتها حنان قطعة شيكولاتة وهي تقبّلها:

- إن شاءالله هتخفّي وتبقي كويسة.

قاطعتهما علا:

- لأ متاكليش يا روان علشان العملية الصبح.

واعتذرت بأدب لحنان:

- معلش أصل الدكتور قال تبقى على صيام.. تاكلها إن شاءالله لما تقوم بالسلامة.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

تفهمت حنان الموقف.. وقالت:

- ربنا يخليهالك وتقوم بالسلامة.

سألتها علا مباشرة:

- انتي مش بتشتغلي هنا.. صح؟

فأوضحت حنان: صح.. أخويا في الأوضة اللي جنبكم هنا، وانا معدّية سمعتها بتعيط.

والتفتت لروان:

- مقلتليش اسمك إيه؟

- روان.

أجابتها روان.. فمالت عليها حنان تقبّلها.

- وانا حنان.. هبقى اطمن عليكي الصبح بعد العملية إن شاءالله.

سألتها علا مرة أخرى:

- هو اخوكي اللي اتضرب في المظاهرة؟

حنان: أه.

علا: وهو عامل إيه دلوقتي؟

حنان.الحمدلله.. ربنا ستر والرصاصة مجتش في مكان خطير.

علا.ومين اللي عمل كده؟

sa7eralkutub.com

حنان: الله أعلم.. حتى في التحقيق اللي اتعمل يادوب أخدوا أقوال بابا وزي مايكون مجرد إجراء روتيني ومش هيحصل حاجة.. محسيناش بالاهتمام اللي المفروض يحصل.. ده واحد اتضرب بالنار يعني كان ممكن لاقدر الله...

لم تستطع حنان استكمال كلماتها.. فبررت علا:

- هيدوروا على مين ولا مين.. إحنا بقينا في بلد الدم فيها رخيص أوي.

لم ترد حنان: فالكلام عما يحدث يصيبها بالكآبة وهي في غنى عن المزيد منها.. فرصيدها يكفي ويفيض.

استأذنت حنان:

- بكرة الصبح ان شاءالله هطمن على روان واشوفها قبل العملية.

- على فكرة روان مسكتتش إلا لما جيتي.. لو اخوكي نايم وانتي مش هتنامي دلوقتي.. اقعدي معانا شوية.

اقتراح علا جاء لحنان من السماء؛ فقد كانت في أشد الحاجة للصحبة للخروج من الملل الشديد الذي تشعر به.. خاصة صحبة روان ووالدتها.. والتي شعرت معهما بألفة.. غير معتادة عليها.

فكرت قليلا ثم قالت:

- هروح اطمّن على أحمد ولو لقيته نايم هرجعلكم..

****

مرت الساعات سريعة في صحبة علا وروان.. صحبتهم قتلت الملل الذي شعرت به حنان قبل تعارفها عليهما.

sa7eralkutub.com

ووجودها خفف على علا الألم الذي تشعر به مع آلام روان وصرخاتها.

تبادلا أحاديث عامة.. لم تحكِ أي منهما عن أي تفاصيل حياتية سابقة.. فلم تعرف إحداهما عن الأخرى سوي اسمها وحالة نزيلها في المستشفى.

بعد الشروق بقليل وبعد نوم روان، استأذنت حنان للذهاب للنوم قبل موعد الزيارة ومجيء أهلها، قبَّلت روان وهي نائمة وكررت على علا أنها ستطمئن على روان مرة أخرى بعد استيقاظها.

****

تحسنت صحة أحمد قليلًا؛ فالألم كان أقل من الأمس، امتلأت الغرفة بإسراء وأهلها، ووالدي أحمد.

انسحبت حنان بهدوء حتى تتجنب والدها أثناء وجوده.. وقفت أمام باب الغرفة فشاهدت علا أمام غرفة العمليات. تقدمت حنان بخطوات بطيئة، وجدت علا جالسة أمام غرفة العمليات وبجوارها شاب يحاوطها بذراعه ويربت عليها، ومن الواضح أنه يواسيها ويطمئنها بكلمات لم تسمعها وبجواره سيدة مسنّة، من المؤكد أنها والدة أحدهما.

توقفت عندما شعرت أنها ستكون دخيلة على زوجين، ابنتهما تجري عملية جراحية.. استدارت لتعود، ولكنها سمعت:

- حنااان.

التفتت مرة أخرى لتجد علا تناديها، فتقدمت نحوها تسألها:

- روان أخبارها إيه؟

sa7eralkutub.com

- دخلت العمليات من نص ساعة تقريبًا.. ادعيلها.

- ربنا يطمنك عليها.

جلست بعيدة نسبيًا، ورغمًا عنها عيناها تراقبان علا والرجل الذي يواسيها بحنان.. انتبهت لعكازين بجواره فأبعدت عينيها فورًا حتى لاتحرجهما بتطفُّلها غير المقصود.. وخافت أن يكتشفا نظرة الإشفاق التي صدرت عنها دون قصد.

بعد خروج روان من العمليات، وبعد وصولها لغرفتها، ترددت حنان: هل تذهب لتطمئن عليها أم تنتظر حتى المساء بعد ذهاب أهلها.

عندما وقعت عيناها على الصغيرة، ورأتها ساكنة لا تتحرك والضعف والعجز يبدوان عليها.. تأثرت ورق قلبها أكثر من أمس، فوجدت نفسها تنساق خلف مشاعرها وتذهب للصغيرة، وقفت على باب الغرفة من الداخل، سألت علا الممرضة: هي هتفوق إمتى؟

الممرضة: متقلقيش.. هي فاقت خلاص.. كلميها وشوية وهترد عليكي.

ظلت علا ووالدتها تناديان على روان بهمسٍ قلِق:

عاد عمر للغرفة.. فسألته علا:

- الدكتور قالك ايه؟

عمر باطمئنان: الحمدلله.. العملية تمام وهتبقى كويسة إن شاءالله.

شعرت حنان بالحرج من صمتها.. فقالت لعلا:

- حمدالله على سلامتها يا علا.. شوية وهاجي اطمن عليها تاني تكون فاقت إن شاءالله.

sa7eralkutub.com

ردت علا وهي تشكرها:

- متشكرة جدًا يا حنان على وقفتك معايا، مش عارفة أقولك إيه واشكرك ازاي.

ردت بخجل: علي إيه بس؟.. ربنا يطمنك عليها.

ردت روان على جدتها بصوت متقطع:

- ماما.. فين.

أسرعت علا واقتربت من ابنتها، وعمر ووالدته يتحدثان إليها ليطمئنا أنها أصبحت بخير.

انسحبت حنان بهدوء، تاركة الوالدين مع ابنتهما.

****

تلكأت حنان في الردهة: لتتجنب تمامًا وجود والدها.. جلست على مقعد قريب من غرفة العمليات.. أطرقت برأسها للأرض في صمت.

بعد قليل جلست إسراء بقربها، فرفعت حنان رأسها باستغراب:

- سِبتهم ليه؟

- جيت اشوفك وراجعة تاني.. مالك؟

- مفيش.. عايزة اقعد لوحدي شوية.

وأكملت لتغيير الحديث

sa7eralkutub.com

- أحمد اخباره إيه دلوقتي؟

- الحمدلله.. صاحي وبيتكلم معانا.

- الحمدلله.. إمبارح من بعد العملية لحد قبل ماتيجوا وهو تقريبا نايم.. قلقت أوي من نومه الكتير بس عرفت ان بعد العملية بيدّوهم مسكنات تنيمهم علشان آلام العملية.

- كنت هكلمك بعد الفجر.. خفت تكوني نايمة واصحيكي متعرفيش تنامي تاني.

- كنت صاحية وقاعدة مع علا.. اللي في الأوضة اللي جنبنا.. بنتها كانت بتعمل عملية من شوية.

ابتسمت إسراء: فقد تعجبت من تعارف حنان السريع على جيرانها في المستشفى وهي التي بنَت أسوارًا عالية بينها وبين الناس جميعًا.

لاحظت حنان ابتسامتها وفمهت ما تفكر به.. فبررت:

- مهما كان البيت قاسي بس برضه أوضتي أمان وراحة بالنسبة لي.. فيه حاجتي.. بقعد مع ماما أو احمد.. بعرف أقتل الملل.. إنما هنا الملل هو اللي يقتل بجد.. كل ده كوم ولما سمعت وشفت روان وهي بتعيط من الألم كوم تاني.. مش عارفة اوصفلك حسيت بإيه.. قلبي اتوجع عليها أوي وعلى مامتها اللي مش عارفة تعملها حاجة.. انتي تعرفي اني ساعتها قلت يمكن ربنا حرمني من الخلفة رحمة بيا من حاجة انا معرفهاش.. يمكن مكنتش هتحمل اشوف ابني أو بنتي مريضة ومش عارفة اعملّه حاجة.. لما قعدت معاهم ولقيت البنت سكتت وحسيت انها حبتني أو اتشدت لي زي ما اتشديت لها.. لقيتني بقول

sa7eralkutub.com

لنفسي كده كده دول ناس عابرة في حياتي ومش هنشوف بعض تاني.. يبقى ليه منخففش عن بعض الوقت الصعب اللي احنا فيه.

تفهمت إسراء وجهة نظر حنان.. تمنت أن يتغير تفكيرها فيما بعد كما تغيَّر الليلة الماضية، وألا يكون تغييرًا مؤقتًا فقط.. شعرت أنها إشارة إيجابية لما قد يحدث مع الوقت.. من يدري؟ربما تخفف عزلتها تدريجيًا.

قطعت حنان أفكارها بعدما لاحظت صمتها:

- انتي سايبة أحمد وقاعدة هنا ليه؟ قومي اقعدي معاه.

- وانتي هتفضلي قاعدة هنا لوحدك؟

نهضت حنان ونهضت معها إسراء.. أجابت حنان:

- هروح اخد فلوس وانزل اشرب حاجة في الكافتيريا واقعد شوية وآجي..

دخلت حنان الغرفة متجاهلة الجميع حتى لا يلحظ والدا إسراء تجاهلها لوالدها.. اتجهت لحقيبتها، أخذت محفظة نقودها، سألتها والدتها بهمس: رايحة فين؟

ردت بنفس النبرة: هقعد في الكافتيريا شوية.

لم تترك لها حنان فرصة للاعتراض، وخرجت مسرعة.

اتجهت حنان بعد خروجها، للمصعد.. أثناء مرورها بغرفة روان، نظرت للداخل فوجدت عمر في مواجهتها خارجًا.. نكست رأسها وأكملت طريقها حتى وقفت أمام باب المصعد تنتظره وهي تسمع دقات عكازيه على الأرض يقترب

sa7eralkutub.com

منها.. وقف جوارها ينتظر المصعد.. شعرت بالحرج فابتعدت خطوات وتظاهرت بالنظر من النافذة.. دقائق وفتح عمر باب المصعد ونادى:

- اتفضلي يا انسة.. مش نازلة برضه؟

التفتت حنان.. هزت رأسها إيجابًا واقتربت على استحياء.. دخلت المصعد وهو يتبعها.

سألها عمر متأكدًا قبل أن يضغط زر الهبوط:

- الأرضي؟

ردت بهمس: إن شاءالله.

دخلا المصعد.. لم يتحدثا خلال الدقائق القليلة حتى وصل المصعد لمحطته الأخيرة في الدور الأرضي.

فتح عمر الباب وأفسح لها الطريق للخروج.. شكرته وهي تبتعد سريعًا.. استوقفتها إحدى الممرضات لتخبرها أن تذهب أو أي من أسرتها للحسابات.. ذهب عمر في اتجاه الكافتيريا وحنان تتابعه بعينيها.

عندما أنهت حديثها القصير مع الممرضة، ذهبت للكافتيريا، طلبت نسكافيه وبحثت بعينيها عن طاولة من الطاولات القليلة الموجودة.. لم تجد واحدة خالية، ووجدت عمر يجلس على أحدهم فأشاحت بنظرها عنه ووقفت تنتظر طلبها.

sa7eralkutub.com

أثناء جلوس عمر، وجد حنان مقبلة، تحدثت مع العامل ولاحظها تبحث عن مكانٍ خالٍ بعينيها، كاد أن يهم بترك الطاولة لها، ولكنه وجدها تلتفت وكأنها عدلت عن قرار الجلوس.

بعد قليل جاء لحنان طلبها ونزل لعمر طلبه، وقفت حنان في أحد الأركان والكوب بيدها، وعمر يلاحظها، حاول أن يلوح لها ويدعوها للجلوس مكانه، ولكنها كانت تنظر لاتجاه آخر.

نهض من مكانه واتجه ناحيتها وطلب من العامل أن يوصل كوب قهوته على رف جواره.. وقال:

- اتفضلي اقعدي.. في مكان فاضي.

ردَّت بخجل: شكرًا مفيش داعي.. أنا هخلص النسكافيه واطلع على طول.

- طيب اتفضلي اقعدي واشربيه براحتك واطلعي.. ميصحش تقفي كده.

أنهى الكلام بالتفاتة ورشفُة من فنجان قهوته، ولكنها ترددت رفقًا بظروفه الخاصة أن تجلس ويقف هو.. فأكدت:

- صدقني مش تعبانة من الوقفة.. اتفضل انت.

ردَّ باسمًا: هنفضل نعزم على بعض لحد ما ييجي حد وياخد الترابيزة ونقف احنا الاتنين.

ترددت.. هل ترفض؟؟ ولكنه يبدو مُصرًا.

هل تقبل وتجلس هي وتتركه واقفًا على قدمين عليلتين.

وجدت نفسها تقترح:

sa7eralkutub.com

- طيب اتفضل ارجع على الترابيزة وانا هقعد لحد ما الاقي مكان فاضي.. الكراسي كتير وانا هاخد كرسي واحد بس.

لم تدعه يرفض، فأخذت فنجان قهوته مع كوبها ووضعتهما معًا على الطاولة التي كان يجلس عليها.

لحظات صمت ثقيل جمعتهما.. قطعها عمر بسؤاله:

- أخوكي احسن دلوقتي؟

ردَّت باختصار: الحمدلله أحسن.. ربنا ستر.

- ربنا يشفيه.. علا قالت لماما انك كنتي معاهم امبارح وان من ساعة ما قعدتي معاهم وروان هديت وبطلت عياط.

ابتسمت مجاملة، ردًا على مجاملته:

- روان نامت من المسكِّن أكيد.. ربنا يخليهالكم ويقومها بالسلامة.

رشفت ماتبقى من كوبها سريعًا.. ونهضت مستأذنة:

- هستأذن.. ومتشكرة على ذوقك.

- لا شُكر على واجب.

دقائق قليلة جمعتهما، شعر كل منهما بالألفة تجاه الآخر.. ألفة مختلطة بالحرج والحذر.

****

sa7eralkutub.com

في بداية المساء.. وبعد مغادرة الزوار.. عمَّ الهدوء المستشفى.

جلست حنان مع أحمد وتبادلا أحاديثهما التي لا تنتهي، حتى بدا الإنهاك على أحمد وداعب النوم جفنيه.. فبادرته حنان:

- انت تعبت النهارده.. نام شوية.

- تعبت ازاي وانا وسطكم.. ده انا ملحقتش اشبع منكم.

تعجبت حنان وضحكت:

- أيوة يا عم.. قول بقى إن إسراء وحشتك.. مع إنها لسه ماشية من شوية.

- مش إسراء بس.. وبابا وماما وانتي.

تعجبت أكثر وسألته:

- أنا إيه؟؟ ما انا معاك اهو.. انت بتقول ايه.

أغمض عينيه قائلًا:

- والله ما انا عارف.. شكلي بدأت اخرف من النوم.

اقتربت منه حنان وجلست بجواره وهي تلمس جبينه لتطمئن على حرارته، وجدتها عادية فمسحت بيدها على شعره بحنان كأنه طفلها:

- نام يا حبيبي وارتاح.. إنت تعبت نفسك طول اليوم دوشة ومرتاحتش خالص.

ردَّ بلسان ثقيل من النعاس:

- هرتاح.. هرتاح.

sa7eralkutub.com

ظلت حنان تداعب شعر أحمد حتى غط في نوم عميق.. ابتعدت برفق حتى لا توقظه وصعدت لسريرها لتنام. حاولت النوم. ولكنه فرّ من عينها وظلت شاخصة ببصرها نحو أحمد دون سبب.. فقط تراقبه بحُبّ.

مرت ساعة وأكثر ومحاولاتها النوم ضاعت سدى، نهضت بهدوء وخرجت من الغرفة. وذهبت لغرفة روان وجدت الباب مغلقًا. ترددت هل تطرقه أم تعود؟؟ طرقت الباب ثلاث طرقات خفيفة ولم تجد ردًا.. فعادت لغرفة أحمد مرة أخرى.

وقفت تنظر من النافذة في الشارع والسيارات المارة من المارة والهدوء يلف المكان بعد اختفاء السيارات.

sa7eralkutub.com

ملّت.. فقررت أن تنزل للكافتيريا تشرب أي مشروب دافئ قد يساعدها على النوم.. عند وصولها للكافتيريا الخالية. قادتها قدماها لنفس الطاولة التي جلست عليها من بضعة ساعات مع عمر.

لم يمضِ وقتٌ طويل.. فقد بدأ شعور الملل يزيد والنوم كأنه تبخر.. أثناء مرورها بغرفة روان، وجدت الباب مفتوحًا فكان لها طوق نجاة.. نظرت للداخل وجدت علا تجلس بجوار روان.. تلكأت حنان فأشارت لها علا بالدخول.. دخلت حنان وهي تنظر لروان النائمة.

جلست بهدوء وسألت:

- روان أخبارها إيه؟

- الحمدلله.. كنتي فين مظهرتيش خالص.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

- كنت قاعدة مع أحمد لحد ما نام.. جيت انام معرفتش خالص.. ملل وزهق رهيب حاسة بيه ومش لاقية حاجة اعملها.. جيت خبطت عليكي ملقيتكيش فقلت أكيد نايمة.

- لا منمتش والله، كنت في الحمام ولما خرجت اشوف مين ملقيتش حد، قلت يمكن بيتهيألي.

قاطعهما رنين هاتف علا.. نظرت على في الشاشة وردت.. همت حنان بالمغادرة وهي تستأذن:

- هقوم انا.. تصبحي على خير.

فهمت علا أن حنان تستأذن لتتركها تتحدث بحرية.. ولكنها استوقفتها:

- خليكي.. دي حماتي.. مبتطوّلش.

ردت علا: ازيك ياماما.. الحمدلله نايمة طول اليوم.. لأ بخير اطمني.. شكرًا ياماما.. والله مش محتاجة حاجة.. لو مش قادرة خليكي وانا أول ما تصحى هخليها تكلمك.. حاضر.. مع السلامة.

أغلقت علا الهاتف وبدأت حديثها مع حنان:

- حماتي قلقانة على روان ومش مصدقة انها بخير، وزعلانة انها مقدرتش تجيلها النهارده علشان كانت تعبانة.

- ربنا يشفيهم هما الاتنين.. وليه قلقانة مش بابا روان كان هنا وأكيد طمنها.

خفق قلب علا على ذِكر سيرة أيمن، ولكنها صححت بألم:

- اللي جه الضهر ده عمها مش باباها.

sa7eralkutub.com

- لأ انا اقصد اللي كان معاها طول اليوم.. مش هو باباها؟

ردَّت بألم:

- روان باباها متوفي من زمان.. اللي كان معانا ده عمر اخويا.

اعتذرت حنان بإحراج:

- أنا آسفة.

دمعت عينا علا رغمًا عنها؛ فقد كانت في أشد الحاجة لوجوده تلك الأيام، خاصة منذ سقوط روان وبدء آلامها، وجدت نفسها تتحدث بانطلاق:

- مش قادرة أقولك انا الأيام دي مفتقداه أد إيه؟ حاسة بوحدة وألم وحزن كأنه لسه سايبني قريب.. يمكن قبل كده كنت بتناسى حزني بضحكة روان وشقاوتها وبراءتها اللي كانت مالية بيتنا سعادة.. من وقت ما وقعت وهو واحشني أوي.. ماما وعمر مش مقصرين معايا.. حتى حماتي واخوه بيحسسوني انهم معايا.. بس برضه محدش يغني أبدًا عن وجوده.

تتحدث علا عن زوجها.. هل هناك رجل يستحق كل هذا الحب؟ تردد السؤال داخل حنان وجدت نفسها تسأل:

- كان كويس معاكي؟

تعجبت علا.. لكنها ردت وهي شاردة في ذكرياتها:

- كويس دي كلمة متوصفوش أبدًا.. كان ملاك.. مكنش فيه أحن ولا أطيب منه.. كنت بحبه من غير ما اعرف هو بيحبني ولا لا.. كنت بحبه وبدعي ربنا ليل ونهار يكون من نصيبي.. قعدنا سنين نعرف بعض كصاحب اخويا وانا

sa7eralkutub.com

أخت صاحبه بس انا كنت بموت فيه بيني وبين نفسي.. ولما لقيت عمر بيقول لبابا ان أيمن عايز يتقدملي تخيلي حصل لي إيه؟

سألتها حنان بتأثر.حصل إيه؟

أجابتها علا وهي تتذكر وتضحك رغم الدموع التي تملأ عينيها.

- أغمى عليا.. تخيلي من الفرحة أغمى عليا.

ابتسمت حنان، ولكن دموع علا جرت على خديها وهي تكمل:

- كان نفسي اعيش معاه عمري كله.. ملحقتش اعيش معاه.. مشبعتش منه.. وحشني أوي.

وكأن الدموع الحبيسة والحزن الدفين انطلقا فجأة في بكاءٍ حار لم تستطع كتمانه.. ارتبكت حنان لم تتوقع أبدًا أن في الكون من هو اتعس منها حظًا.. رغم ما عانته إلا أنها الآن ترى أن علا عانت أكثر منها.. اقتربت منها واحتضنتها وبكت.

لم تعرف هل تبكي تأثُرًا.. أم تبكي حظها مع صديقتها الجديدة.

بكت علا كثيرا بين ذراعي حنان.. لم تتحدث حنان إطلاقًا بل ظلت تربت عليها فقط ودموعها تنحدر في صمت.

تعجبت علا أنها فتحت قلبها لتلك الغريبة التي لم تتعرف عليها سوى من ليلة مضت.. منذ فترة طويلة قررت عدم البوح بأحزانها لوالدتها وشقيقها؛ فكلامها يزيد حزنهما ويزيد ضغط والدتها عليها بالزواج مرة أخرى.. قررت أن

sa7eralkutub.com

تحزن في صمت، ولكن صمتها تمرد اليوم وأعلن غضبه وعصاها وعبَّر عن نفسه.

انتهت علا من نوبة البكاء التي هاجمتها، حمدت الله أن روان لم تستيقظ على صوتها، تراجعت للخلف وهي تتمتم بعبارات الشكر لحنان.. وفوجئت بدموعها.

- أنا آسفة يا حنان.. كنت مخنوقة وجت فيكي.

ردَّت حنان بابتسامة وهي تمسح دموعها:

- ولا يهمك.. المهم تكوني ارتاحتي شوية.

- الحمدلله.

صمتت قليلًا وأرادت تغيير دفة الحديث:

- أخوكي أخباره إيه؟

- أحسن الحمدلله.. الدكتور باين عليه ممتاز وإن شاء الله روان تقوم بالسلامة.

أكدت علا كلامها:

- عملية روان مش أول تعاملنا مع الدكتور، عمر بعد الحادثة مكنش بيتحرك نهائي بسبب إصابته في العمود الفقري، بس الحمدلله ربنا جعل الشفا على إيد الدكتور وعملّه 3عمليات وتابع معاه بعدها لحد ما قدر يمشي تاني.

سألت حنان بفضول:

- حادثة ؟

sa7eralkutub.com

أجابتها علا بحزن:

- ماهو أيمن وعمر كانوا مع بعض في الحادثة اللي راح فيها أيمن.. وربنا نجا عمر الحمدلله.

حكت علا حكايات كثيرة عن الحادث، والأيام المريرة التي تلته، والذكريات السعيدة التي سبقته.. أحاديث كثيرة من جانب علا تستمع لها حنان باهتمام.. حتى بدا الإرهاق على علا وبدأ النوم يداعب جفنيها.. لاحظت حنان فقالت:

- شكلك عايزة تنامي.. هقوم واسيبك ترتاحي.

- هتعملي إيه؟

- مش عارفة والله.. مش جايلي نوم والجو هنا ممل أوي.

- انتي معندكيش أكونت ع الفيس؟

ردت بتعجب لوقت السؤال:

- عندي.. ليه؟

أجابت علا بتلقائية وبساطة:

- مش بتسلي نفسك ليه؟

- اللاب بتاعي مش معايا.

- مش فاتحة على تليفونك ليه؟

- مجربتش قبل كده.. أصل مكنتش بحتاج افتح وانا بره.. تقريبا مبخرجش.

sa7eralkutub.com

لم تلحظ علا كلمتها الأخيرين.. فكرت سريعًا:

- وريني تليفونك كده؟

ناولتها حنان الهاتف.. سألتها علا:

- معاكي رصيد؟؟ اجرب افتح لك نت؟

- معايا.. ياربت يا علا أهو اتسلى شوية.

ضغطت علا على أزرار الهاتف.. ثم قلبت شفتيها:

- مش بيفتح مش عارفة ليه.. استني كده اسألك عمر.

قبل أن تعلق حنان، أخذت علا هاتفها واتصلت بعمر، جاءها صوت عمر قلقًا:

- علا.. روان كويسة؟

- الحمدلله متقلقش.. صحيتك؟

- لا أبدًا انا قاعد.. مالك؟

- بقولك ايه دلوقتي حنان اللي في الأوضة اللي جنبي مع اخوها.

ردَّ مؤكِّدًا: أيوة عارفها.. مالها؟

- عايزة تفتح نت من تليفونها ومش بيفتح مش عارفة ليه.

- نوع التليفون إيه؟ممكن يكون عايز يتظبط بس.

- دي حاجة سهلة يعني تقعد تعملها دلوقتي ولّا لازم نستناك لبكرة لما تيجي.. أصلها زهقانة أوي من جو المستشفى.

sa7eralkutub.com

أُحرجَت حنان لما تحكيه علا عنها مع عمر، أرادت أن تشكرها وتغادر الغرفة حتى لا تظل محور حديثهما.

سمعت علا تقول:

- لأ انا مش عارفة.. خدها قولها تعمل ايه.

وجدت حنان علا تناولها هاتف الأخيرة الذي تتحدث به.. وهاتفها الذي بين يديها.. وهمست:

- عمر هيقولك تعملي إيه علشان تعرفي تفتحي نت ومنه تفتحي أكونتك.

ارتبكت حنان.. هل ترفض؟؟ ولكنها فكرت لِم الرفض؟ ولم الارتباك الذي شعرت به من الأساس.. سواء تلك اللحظة أو عندما قابلته نهارًا في المصعد والكافتيريا

هل بُعدها وعزلتها عن الناس جعلاها تخشاهم لهذه الدرجة.. يحق لها أن تخشى من يعرف ماضيها.. أو من سيعرف ماضيها.. أما هؤلاء العابرون في حياتها لِم تخشاهم؟!

نظرت ليدي علا الممدودتين نحوها بالهاتفين.. تناولتهما منها.

حاولت السيطرة على صوتها حتى لايبدو مرتبكًا:

- ألو.

صمتت رغمًا عنها.. فقد فرت الكلمات من لسانها.. سمعت عمر:

- السلام عليكم.

ردت بهدوء وهي تبحث عن بداية كلماتها

sa7eralkutub.com

- وعليكم السلام.. هتعب حضرتك.. التليفون...

قاطعها عمر

- تحت أمرك.. وتعب إيه حضرتك زي علا.. أنا هقولك خطوات كده تعمليها وانتي معايا واحدة واحدة.

وافقته حنان، واستمعت له ونفَّذت خطوات ضبط الهاتف خطوة خطوة كما شرح لها، بعدها أخبرها كيفية فتح الفيس بوك، فشكرته.

- شكرًا.. كده خلاص هعرف اسجِّل الدخول.

- العفو.. تحت أمرك أي وقت.. لو وقفت معاكي حاجة قولي لعلا وتكلمني على طول.

- شكرًا.

كادت أن تعطي الهاتف لعلا عندما سمعت عمر يسألها:

- أخبار اخو حضرتك إيه ؟؟ هيخرج إمتى؟

- الحمدلله.. لسه الدكتور محددش معاد الخروج.. شكرًا على السؤال.

- يخرج بالسلامة ان شاءالله.. لو محتاجين حاجة اجيبهالكم وانا جايب ماما الصبح قوليلي.

- شكرًا.

أنهت المكالمة سريعًا، وأعطت الهاتف لعلا، تشاغلت بإدخال بياناتها على الهاتف، وسمعت علا تنهي المكالمة:

sa7eralkutub.com

- شكرًا ياعمر.. ماما صاحية ولا نامت.. لأ هستناكم الصبح.. مع السلامة.

أغلقت علا الهاتف.. وسألت حنان

- إيه الأخبار؟؟ فتح معاكي؟

أجابتها حنان بامتنان بعد أن نهضت للمغادرة:

- أه الحمدلله.. مش عارفة اقولك إيه ده انتي أنقذتيني من الملل والليل لسه طويل.

- متقوليش حاجة.. أنا نِفسي اقعد معاكي بس فعلًا مش قادرة.

- أشوفك بكرة.. تصبحي على خير.

استوقفتها علا:

- إستني يا حنان.. ضيفيني عندك.

وأمسكت علا هاتفها وضغطت ازراره في سرعة، وسألت:

- اسمك حنان إيه؟

صمتت حنان.. علا ستكون الصديقة الثالثة في قائمة أصدقائها التي تعرف شخصيتها الحقيقية.. بعد أحمد وإسراء:

لا.. لا تعرف شخصيتها الحقيقية بكل ما فيها وما وراءها.. فقط تعرف اسمها الحقيقي.. وشتان بين الاثنين.

أجابت حنان عليها:

- خدي اعملي سيرش على اسمك وابعتي الأد من عندي.

sa7eralkutub.com

تناولت علا الهاتف.. لم تلحظ الاسم.. بحثت عن اسمها ووجدته بسهولة فأرسلت طلب صداقة.. حينها رن هاتفها بإشعار طلب صداقة.. تناولت هاتفها ووجدت الاسم فرفعت رأسها متساءلة:

- ليه كده يا بنتي.. sad heart ؟؟

اختصرت حنان إجابتها في كلمات مبتورة:

- مش حابة ادخل باسمي الحقيقي.

هزت علا رأسها متفهمة لرغبة حنان دون أن تسأل عن تفاصيل، أعطت لحنان هاتفها، وودعتها حنان وغادرت الغرفة في هدوء.

دخلت حنان غرفة أحمد وأغلقت الباب خلفها.. ألقت نظرة اطمئنان سريعة على أحمد النائم.. واتجهت لسريرها.. حينما سمعت صوت إشعار يخبرها بقبول علا لصداقتها على الفيس بوك.

****

أنهى عمر حديثه مع حنان، وعاد للكتاب الذي كان بين يديه، بحث عن الصفحة التي أغلقها دون قصد أثناء حديثه مع حنان، قبل أن يصل إليها توقف عن البحث وأغلق الكتاب.

أبعد الكتاب وقرَّب اللاب توب منه وفتحه.. فتح حساب الفيس بوك وتوقفت عينه على جانب الصفحة.

sa7eralkutub.com

لا يعلم لماذا تملكه الفضول لمعرفة حنان أكثر، ظلت عيناه مثبتتين على جانب الشاشة ليراقب -"التيكر" ربما حدث ما استنتجه ووجد صداقة مشتركة بين علا وحنان.

لحظات ووجد علا أصبحت صديقة ل sad heart.. عندما رأى الاسم المستعار انتابه الشك.. هل هي حنان باسم مستعار أم شخص آخر بالصدفة أُضيفَ الآن.

تناول هاتفه ليتأكد من علا، ولكنه في اللحظة الأخيرة عدل عن تلك الفكرة؛ فقد قفز إلى ذهنه سؤالٌ:

- هي أو لأ.. أنا مالي؟

تجول في الصفحة الرئيسية، زادته الأخبار السياسية كآبة، فهرب إلى جروب الكتب المفضل إليه.. لعله يقتل فضوله.

نظر للمنشورات نظرة عابرة.. وفجأة خرج من الجروب ليدخل صفحة علا، ومنها للصفحة التي لا تزال مجهولة بالنسبة له.

أُحبط عندما وجد كل البيانات مخبأة ولا يظهر سوى صور الحساب فقط.. لا بيانات.. لا أسماء أصدقاء.. لا شيء أبدًا.

ظل يقلب في كل الصور الظاهرة له.. كلها حزينة.. يبحث في الأقدم، يجد الحزن أكثر وأكثر.. في البداية ظن أنها صور تعبِّر عن حزنها بسبب إصابة أخيها، ولكنه أيقن أن للحزن سببًا آخر.. سببًا قديمًا.. يا للعجب، إنه من بداية نشأة الحساب.

sa7eralkutub.com

شغل تفكيره ما السبب الذي قد يكون وراء حزنها.. فتاة في مقتبل العمر مثلها.. أهلها حولها.. تمتلك جمالًا هادئًا وشخصية خجولة قلَّما وُجِدَت.. ترى ماهو سبب الحزن الدائم الذي لمسه في الصور التي تضعها على حسابها منذ نشأته.. قد تكون أحبَّت وفقدت حبيبها أو فقدت حبها.. أو خانها.. أو تركها بلا سبب.. أو.. أو.. أو..

****

بعدما خلت حنان بنفسها في غرفة أحمد، جلست على السرير وقد جفاها النوم وهي تمسك بهاتفها وتمر على الصفحة الرئيسية للفيس بوك سريعًا، وقلبها يحمل شكرًا لعلا وعمر على مساعدتها في قتل الملل.

شردت في حديثها مع عمر.. استعادت الكلمات الأخيرة بينهما.. شعرت بالغيظ يتملكها وظلت تؤنِّب نفسها: إيه شكرًا شكرًا اللي قعدت أقولها دي.. كأن مفيش كلام غيرها.. يقول عليا إيه؟؟ هبلة مبعرفش اتكلم.

بعد قليل.. وبعد أن أدركت أن تأنيبها لنفسها لن يغيِّر ما حدث، قالت في نفسها:

- يقول اللي يقوله.. اللي حصل حصل خلاص.

أقنعت نفسها باللامبالاة.. وأكملت البحث في آخر أخبار أصدقائها الافتراضيين، ثم دخلت صفحة علا.. ومن باب الفضول دخلت تبحث في قائمة أصدقائها.

sa7eralkutub.com

لم يدم بحثها طويلًا؛ فقد وجدت ضالتها بسهولة عندما رأت صورة عمر على حساب يحمل اسمه. ترددت قليلًا قبل أن تدخل صفحته، ركزت جيدًا وهي تضغط على صفحته حتى لا تضغط على زِر الإضافة فيفتضح أمرها.

دخلت صفحته وسعدت عندما رأتها مفتوحة للجميع "بابليك".

بدأت تقرأ كتاباته من الأحدث للأقدم.. مرورًا بالصور في الصفحة.

وجدت أن آخر ما كتبه من ساعات هو دعاء لروان بالشفاء وهو يصف مدى ألمه وأمله في شفائها وعودتها كذي قبل.

ابتسمت تعاطفًا، وأكملت النزول لأسفل الصفحة.. أغلب حالاته في الفترة الأخيرة دعوات بالشفاء، قلق، حزن، ثم في الأقدم.. صور ومقتبسات رومانسية.. زاد فضولها ففتحت التعليقات المكتوبة تحتها.. وجدت عبارات حب متبادلة بينه وبين أخرى.

نيفين.. اسمها متكرر كلما نزلت في قرائتها للأسفل، حتى وجدت صورة لها مع عمر .. فأدركت على الفور أنها نيفين.

صورة تبدو فيها السعادة والحب.. دققت النظر في وجه نيفين.. وجدت فتاة جميلة.. لا تخطئ عين جمالها.. جمالها يخطف الأبصار.

قرأت التعليقات أسفل الصورة، وجدتها جميعًا بتمني لهما السعادة ودوام الحب طوال العمر وإتمام زواجهما على خير.

تعجبت أنها لم ترَ خطيبته خلال اليوم، وتساءلت لماذا أغفلت علا ذِكرها خلال حديثهما.. ربما لأنها لم تجد لذِكرها أهمية.. ربما هناك خلاف ما بينها وبين أسرته لذلك لم ترَها اليوم.

sa7eralkutub.com

مر الوقت وحنان تقرأ كل كلمة في صفحة عمر، وتفكر وتبرر وتستنتج، حتى استيقظ أحمد وسألها عن الساعة.. عندما أجابته ايقنت أنها بقيت ساعات في صفحة عمر، سألت نفسها: "أنا من إمتى حشرية كده!!! عيب اللي عملته ده."

سألت أحمد:

- أجيبلك حاجة؟

- اتصلي بإسراء.

- دلوقتي يا احمد؟؟ دي أوف لاين من كمان.. يعني زمانها نايمة.

سحر الكتب
sa7eralkutub.com

- معلش يا حنان.. كلمها اطمّن عليها بس واشوف جاية إمتى بكرة واسيبها براحتها..

* * *

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

- 13 -

قد ينقضي وقتٌ من العمر، نجهل فيه حقيقة أنفسنا..

وبمحنة.. نكتشف أننا أقوى مما نظن

sa7eralkutub.com

دخلت والدة عمر عليه غرفته، نظرت له:

- خلصت لِبس؟

وضع فرشاة الشعر جواره على السرير، رد وهو يتناول عكازيه:

- أه خلاص.. جاهزة؟

- أه.. يالا.

رنَّ جرس الباب، فسبقته والدته:

- هشوف مين وننزل على طول.

مدَّ عمر يده ليغلق ضوء الغرفة، فلمست يده المكتبة، فالتفت ليقف أمام المكتبة وهو يتذكر كلام علا عن ملل حنان في المستشفى، فكر أن يساعدها بشغل وقتها بالقراءة.. وقف أمام مكتبته يتخيَّر لها كتابًا أو اثنين.

شعر بالحيرة.. ماذا يختار؟؟ وماهو نوع الكتب المفضل لحنان إن كانت تحب القراءة؟

تذكَّر صفحتها التي لم يستنتج منها سوى الحزن؛ فوقع اختياره على كتاب لا تحزن لعائض القرني.

أخذه عمر مكتفيًا به حتى يسألها عن حبها للقراءة أو عن نوع الكتب التي تفضلها؛ ليأتي بها لها غدًا. خرج عمر ناسيًا الجرس الذي دقَّ من لحظات، حتى اقترب من الصالة فسمع صوت يعرفه جيدًا.

تباطأ.. هل يعود مرة أخرى لغرفته حتى تغادر الزائرة.. حسم تردده بمواجهتها.. حتى لا تراه منكسرًا أبدًا، قال مرحِّبًا:

sa7eralkutub.com

- أهلًا وسهلًا يا طنط.

نهضت ألفت تسلِّم عليه:

- ازيك يا عمر.. عامل إيه يا حبيبي؟

ردَّ بثبات:

- الحمدلله.. بخير.

رددت ألفت بخجل:

- يارب دايمًا.

نهضت من مكانها قائلة لوالدة عمر:

- طيب هقوم انا يا حاجة.. وإن شاءالله آجي المرة الجاية روان هي اللي تفتح لي الباب.

رددت أم عمر الدعاء:

- إن شاءالله.. يسمع منك ربنا.

اتجهت ألفت للباب، تبعتها أم عمر توصِّلها.. بعد أن أغلقت الباب.. سألها عمر:

- إيه اللي جابها الصبح كده؟

- إيه يا عمر.. الست معملتلناش حاجة وحشة.

خجل عمر من نفسه، فقال موضِّحًا:

- أنا قصدي كانت عايزة حاجة؟

sa7eralkutub.com

- جاية تسأل على روان.. كتَّر خيرها.. وشكلها كمان مش عايزة تقطع جِبال الود.

قال عمر حاسمًا.. راغبًا في عدم تذكُّر ماحدث له الأيام الماضية:

- لا تقطع ولا توصل.. مفيش أي كلام أو أي فعل يقدر ينسيني اللي بنتها قالتهولي.. ياريت بقى نقفل ع الموضوع ده نهائي حتى لو جت لك كل يوم.. أنا خلاص مش هرجع في كلامي ومش هكرر اللي حصل.. أنا مش شخشيخة في إيد حد.

سبق والدته تجاه الباب.. فتح الباب والتفت لها سائلًا:

- جاية ولا هتفضلي هنا؟

أسرعت والدته بعدما خرجت من دوامة أفكارها:

- خلاص.. يالا بينا..

****

حضرت إسراء مبكرًا كما طلب منها أحمد في الليلة الماضية.

كان وجهه شاحبًا إلى حد ما.. صوته ضعيفًا. جلست بجانبه، ظلت تمازحه وتبادله الحديث المرح. رن هاتف حنان، ردت على والدتها التي طلبت أن تتحدث لأحمد.

اثناء حديث أحمد ووالدته، تنحت إسراء بحنان جانبًا وسألتها:

- أحمد شكله متغير عن امبارح؟

sa7eralkutub.com

نظرت حنان متأكدة.. ثم ردت على إسراء:

- ماله؟ مش ملاحظة حاجة.

- مش عارفة يا حنان.. حاسة انه تعبان عن امبارح.

- الدكتور هيمرّ عليه الضهر كده نبقى نشوف.

أرادت حنان أن تتركهما لبعض الوقت.. فتعللت:

- أنا هنزل اجيب شاي.. أجيبلك حاجة يا إسراء؟

- لأ شكرًا.

خرجت حنان.. مرت بغرفة روان نظرت للداخل رأت ممرضة تقف مع علا ولم ترها الأخيرة.. نزلت للكافتيريا.

لم تجد مكانًا خاليًا.. طلبت الشاي ووقفت تنتظر أن تخلو طاولة وعيناها تدوران في لا شيء.

دقائق وغادر أحد الأطباء طاولته، فجلست حنان مكانه.

كان ظهرها لباب الكافتيريا، جلست تحتسي الشاي ببطء.

دخل عمر ووالدته المستشفى، عند ذهابهما للمصعد نظر للكافتيريا دون قصد، رأى حنان تتجه لإحدى الطاولات تجلس عليها مولية ظهرها للباب، استأذن من والدته:

- ماما اسبقيني على فوق وانا هروح اجيب لروان حاجات حلوة واجي.

- هتروح فين دلوقتي ومجبتش ليه من تحت البيت.

sa7eralkutub.com

- مش هخرج من المستشفى.. أنا هجيب من الكانتين اللي هنا.

- طيب .

- اطلعي انتي بس وانا هحصّلك.

هزت والدته رأسها استسلامًا.. اتجهت للمصعد بينما اتجه عمر للكافتيريا.

مرَّ بجوار حنان ليقف أمامها وهو يلقي عليها التحية:

- صباح الخير.

كاد الكوب أن يسقط من يدها عندما سمعت صوت عمر ورأته أمامها؛ فقد كانت تتذكر مقابلتهما القصيرة أمس في نفس المكان.

بدا عليها الارتباك فسألها عمر محرجًا:

- خضيتك؟!

أرادت أن تخفي ارتباكها فاجتهدت لتبتسم وهي ترد:

- صباح النور.. لا أبدًا كنت سرحانة بس.

تأكد عمر أن هناك مايشغلها ويحزنها ويجعلها فريسة لأفكارها.

لحظات صمت أراد كل منهما أن يكسرها فنطقا معًا:

حنان: اتفضل.

عمر: حاجة وقفت...

ابتسما.. فجلس عمر ممتنًا لدعوتها

sa7eralkutub.com

- شكرًا.

أكمل عبارته التي بترها:

- كنت بسألك في حاجة وقفت معاكي امبارح بعد ما فتحتي نت؟

- لا تمام.. كنت فعلًا محتاجة حاجة تسليني.

- الحمدلله.. أصل انا عارف قعدة المستشفيات متعبة ومملة ازاي.. جربتها وحاسس بيها.

وضع يده على ركبته.. تألمت حنان من كلماته وقالت مواسية:

- الحمدلله ان ربنا نجاك.

أدرك على الفور ان علا حكت لها عن الحادث؛ فقال دون أن يفكر مالم يستطع البوح به من قبل.

- ياريتني كنت انا اللي مُتّ وأيمن استني لمراته وبنته.. أنا كتير بحس اني كنت السبب.. والله ماعارف الحادثة حصلت ازاي.. فجأة الدنيا ضلمت وفتحت عيني في المستشفى.

لمعت عيناه، لكنه تماسك كي لايبكي أمام غريبة.. ابتسم مغيّرًا الحديث:

- بتحبي القراءة؟

ردت حنان متجاهلة سؤالة الأخير، وعلقت على كلماته السابقة:

- بتلوم نفسك ليه.. هو مش كل واحد فينا ليه عُمر ربنا كاتبه.. مش ربنا قال (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) صدق الله العظيم.. يعني أيمن كان ده أجلُه سواء كنت معاه أو لا.

sa7eralkutub.com

تمتم وراءها:

- ونعم بالله.

أكملت:

- ربنا كتبلك عُمْر علشان تخلي بالك من مراته وبنته.. واللي سمعته من علا يأكد انك أد الأمانة والمسئولية.. متلومش نفسك على حاجة مش بتاعتك.. الأعمار بيد الله.

صمت يستمع لها.. كل كلمة قالتها اخترقت قلبه وسكنت عقله.. كيف تطور الحديث بينهما فأفضى لها بما يعتمل في صدره.. كيف استطاعت أن تُشعِره بالسلام الداخلي من كلمات بسيطة مباشرة مختصرة لا شيء بعدها.

أما هي فلم تصدق ماقالته من لحظات.. من أين أتت لها تلك القوة التي تُصبره بها.. من أين لها بالثبات والوعظ وهي التي تعيش أسيرة أحزانها وضعفها وتجربتها الفاشلة منذ سنوات!

هل أرادت ألا ترى الدموع في عينيه؟.. هل هي شهادة حق أرادت أن تُطمئِن بها قلبه؟.. هل إيمان نابع منها لم تعلم قوته من قبل؟

وسط حيرتها، أرادت أن تغيِر دفة الحديث فأجابت على سؤاله:

- كنت بتسألني عن القراءة.. أه بحبها.. بس ليه؟

تذكر ما أحضره من أجلها، فأخذ الشنطة الصغيرة التي جاء يحملها من على المقعد المجاور له.. ومدَّ يده بها لحنان:

- اتفضلي.

sa7eralkutub.com

نظرت حنان لشنطة الهدايا الصغيرة التي يقدمها لها – دون ان تري ما بداخلها – فسألته ممتعضة:

- إيه ده؟

ردَّ مباشرة وهو يخرج الكتاب منها:

- كتاب.. قلت يسليكي شوية.

لم تأخذه منه.. اعتقدت أنه اشتراه من أجلها. فرفضت أن تأخذه؛ فقد تعودت ألا تقبل هدايا مطلقًا من غرباء.

- مكنش فيه داعي.. متشكرة.

تعجب عمر رفضها، شعر بالحرج من يده الممدودة، وضعه على الطاولة أمامها.. صمت قليلًا ثم سألها:

- هو انا ضايقتك في حاجة؟

أجابت مباشرة:

- متعودتش أخد هدايا من حد.. أنا آسفة مقصدش اضايقك.

تفهَّم موقِفها.. بل أعجب به.. فقال موضِحًا محاوِلًا مداراة خجله:

- ده كتاب من مكتبتي، جايهولك تقربه واخده تاني، استعارة يعني مش هدية.

أكمل مازحًا:

- أنا مبحبش كتبي تبات بره بيتها.. بس لولا اني حاسس بالزهق اللي انتي فيه مكنتش جيبتلك عيل من عيالي.

sa7eralkutub.com

احمرت وجنتا حنان خجلًا من رفضها وفهمها الخاطئ.. فأرادت الاعتذار، ولكنها لم تجد الكلمات المناسبة.

تناولت الكتاب من على الطاولة وهي تهم بالنهوض، قالت مبتسمة مجاراة عمر في مزاحه:

- شكرًا.. هقراه وارجّعه لبيته ولباباه على طول.. استأذن.

- اتفضلي.

غادرت حنان بعد أن أخذت الكتاب دون ان تنظر في عنوانه.. تابعها عمر بعينيه حتى اختفت.

****

دخلت حنان غرفة أحمد، وجدت إسراء جالسة بجواره تحادثه، اتجهت مباشرة للدولاب، وضعت الكتاب في حقيبتها، وقالت لإسراء مازحة

- قطعت حديثكم.

ردت إسراء ضاحكة:

- مبنقولش أسرار.. اللي بنقوله انتي عارفاه.

والتفتت لأحمد، وسألته مؤكِدة:

- مش حنان عارفة انا بحبك أد إيه.

سعل أحمد سعلة خفيفة وهو يهز رأسه إيجابًا. لاحظت حنان شحوبه وعدم قدرته على الكلام، فاقتربت منه تسأله:

sa7eralkutub.com

- أحمد.. تعبان ولا حاجة؟

هز رأسه نافيًا، وأمسك يد إسراء ويد حنان وجذبهما تجاهه.. كان لا يستطيع الكلام بالفعل.. بل يكاد لا يستطيع التنفس.

خرج صوته محشرجًا، ودموعه تسقط من طرف عينه:

- ب.. ح.. ب.. ك.. م.

ضغط على كفيهما.. وسعل.. سعل كثيرًا.. سعال متواصل جعل الفتاتين تفقدان قدرتهما على التصرف للحظات من التحول المفاجئ الذي حدث

صرخت إسراء محاولة أن تساعده أن يعتدل جالسًا، وهرولت حنان لتضغط على زر استدعاء الممرضة، ضغطت ضغطة طويلة ثم خرجت تركض وهي تلتفت لأحمد الذي مالت شفتاه للزرقة.

جاءت الممرضة بسرعة، ألقت عليه نظرة، ثم خرجت تطلب المساعدة وهي تحاول طمأنتهم:

- لازم يدخل رعاية حالًا.

سعال أحمد مازال يتواصل.. حنان وإسراء غرقتا في نوبة بكاء حار.. تم نقل أحمد بسرعة للرعاية المركزة كي يتم إسعافه.

في هذه الأثناء سمعت علا وعمر صوت الصراخ من غرفة أحمد.. جاءا يستفسران، ولكن الموقف لم يكن في حاجة لتفسير.

أرادا أن يقدّما أي مساعدة.. صعدا للرعاية المركزة خلفهم.

sa7eralkutub.com

حنان وإسراء لم تكفا عن البكاء.. عمر يقف صامتًا.. علا تربت على حنان محاولة تهدئتها.

خرج الطبيب من غرفة الرعاية المركزة منكسًا رأسه، بينما العيون جميعًا معلقة على شفتيه.. ينتظرون كلمة اطمئنان.

تردُد الطبيب غير مطمئن بالمرة، سألته حنان وإسراء بلهفة، أسئلة متتالية دون فاصل:

- إيه اللي حصل؟؟ هو كويس دلوقتي؟؟ ممكن نشوفه؟

ردَّ الطبيب:

- البقاء لله.

اتسعت عينا الفتاتين.. كل منهما داخلها يصرخ متسائلًا:

- هو بيقول إيه؟

- بيقول على مين؟

لم يخرج أي صوت منهما.. فقط عيون متسعة حتى آخرها تكاد تخرج من محاجرها.. وعدم استيعاب لكلمات الطبيب.

خطا الطبيب بعيدًا، لكن إسراء تبعته وأوقفته من ذراعه:

- أحمد فين؟

ردَّ الطبيب مقدِّرًا حالتها:

- شدي حيلك.

sa7eralkutub.com

صرخت:

- أكيد تقصد حد تاني.. أحمد كويس.. أحمد كان بيكلمني من شوية.. مش كده يا حنان.. كان بيتحسن.. مش الدكتور قال إن العملية بسيطة.. هو كان بيضحك علينا؟؟ لو بيضحك علينا ازاي كان كويس وقاعد معانا عادي.. حناااان.. ردي عليا وقوليلي اني فهمت غلط.

اقتربت منها علا بعين غارقة في دموعها تحاول تهدئتها.

عمر واقفٌ يراقب حنان بحزن شديد.. أما حنان لم تتزحزح عن موقعها قيد أنملة.. ظلت واقفة كما هي.. شاخصة البصر.. متحجرة الدموع.. غير مستوعبة لكلمات الطبيب وما يحدث حولها.

****

توالت الأحداث سريعًا.. دُفن أحمد بعدها بساعات ووارى جسده الترابُ.. دُفن ودُفنت معاه أحلام لم ولن تتحقق.

تباينت ردود الفعل من المحيطين.. كلٌ حسب قدرته على التحمل، ولكنها تعبر عن حزنهم جميعًا ومصابهم الشديد في فقدِ عزيزٍ غالٍ.

سقطت إسراء مغشيًا عليها بعد تلقيها الخبر بلحظات أثر الصدمة العصبية.. جاءت والدته بعد مكالمة حنان لها.. تصرخ حينًا وتغيب عن الوعي أحيانًا أخرى.. والده الذي لم تتوقف دموعه كان أكثرهم تماسكًا: فعلى الأقل استطاع إنهاء إجراءات الدفن بصحبة والد إسراء.. والدة إسراء تبكي حزنًا على أحمد الذي أحبَّته كابنها، وعلى ابنتها التي فرَّق الموت بينها وبين حبيبها.

sa7eralkutub.com

أما حنان.. فقد كانت صامتة أغلب الوقت.. لا صراخ، لا بكاء، ولا دمعة واحدة انحدرت من عينيها.. تتحرك.. تتكلم كلمات بسيطة في ردود مقتضبة فقط لا غير.

بعد تلقيها الخبر، احتضنتها علا وهي تبكي، لم تبادلها حنان البكاء بل ظلت في حضنها دقائق شاخصة البصر عيناها مثبتتان على الغرفة التي يرقد بها جثمان أحمد حتى قطع نظرتها وقوف عمر في مرمى بصرها يقدِّم لها العزاء ويدعو لها بالصبر.

اتصلت بوالدتها بلَّغتها الخبر في كلمات مختصرة: "تعالي بسرعة.. أحمد مات".

ثم انشغلت بإسراء التي سقطت مغشيًا عليها.. اتصلت بوالدتها وبلَّغتها الخبر.

ألقت نظرة أخيرة على أحمد.. قبَّلت جبينه ويده بهدوء قبل وصول والدها.

حضرت جنازته.. تقبَّلت فيه العزاء.. لكنها لم تستوعب بعد ما يحدث.

تسمع.. تتحرك.. تستقبل المُعزين.. تقف على رأس والدتها المنهارة.. ترد بكلمات بسيطة.. حتى انتهى اليوم الأول مبكرًا وغادر الجميع قبل موعد الحظر.

بعد خروج آخر المعزين.. وقفت حنان بعدما أغلقت الباب وهي تنظر للمنزل الصامت أمامها.. تغيَّر شكل المنزل هُيأ لها أن كل قطعة أثاث استعملها أحمد يومًا تبكي عليه.

تقدمت بخطوات ثقيلة.. أثقلها الحزن نحو غرفة والدتها.. وجدتها على سريرها ووالدها بجوارها يبكي.

تكلمت بصوت خفيض تسأل والدتها:

sa7eralkutub.com

- مش هتاكلي حاجة برضه علشان الدوا اللي بتاخديه؟

ردت الأم ببكاء شديد:

- آكُل؟؟ طيب ازاي يجيلي قلب آكل لقمة واحمد مش على وِش الدنيا.. يارب احصّله بسرعة.. ياااااااااارب.

صرخت تدعو الله أن يعجِّل بعمرها حتى تلحق بابنها.. سمعت حنان صوت بكاء والدها وهي تتجنب النظر له.

تمتمت بصوت خفيض:

- أنا في أوضتي.. لو عايزة حاجة نادي عليا.

دخلت حنان غرفتها.. بدلت ملابسها وصعدت على سريرها.

جلستها المعتادة منذ سنوات.. نظرت لباب الغرفة الذي طالما طل أحمد من خلفه بابتسامته وكلماته العذبة التي كانت تحيا بها.

لن يُفتَح الباب ويدخل أحمد عليها بعد الان.. حُرِمَت من القلب الذي شعر بها دومًا.. حُرِمَت من سندها في الحياة.. حُرمت من أخيها الوحيد.

الآن فقط.. بدأت تستوعب أن أحمد مات.

مات.. يالها من كلمة قاسية.. القسوة ليست في الموت نفسه لأنه الحقيقة المؤكدة في حياتنا.. لكن جل قسوته في الفراق.. فراق أحبة تركونا رغمًا عنا وعنهم ولا أمل في عودتهم مرة أخرى.

اشتعل قلبها بالنار فجأة.. صرخت ولم تسمع لصرختها صوت.

قلبها.. عقلها.. ضجيج من صراخ وعويل داخلها.

sa7eralkutub.com

انفجر بركان دموع من عينيها.. دموع تحرق جفنيها كما يحترق قلبها.. بكت كما لم تبكِ من قبل؛ فكل دموعها وأحزانها الماضية في كفّة، وحزنها على أحمد في كفة أخرى.

سمعت طرقات على باب غرفتها، اتسعت عينيها وهي تمسح دموعها، وتعلقت نظراتها بالباب..

أحمد.. هل هو من يطرق بابها كعادته؟!

هل ما سمعته تهيؤات من تفكيرها فيه؟!

عادت الطرقات مرة أخرى.. ضعيفة.. ولكنها حقيقية.

ردت بصوت خافت.. أضعفته كثرة البكاء:

- مين؟

سؤالها في غير محله: فوالدتها وان قامت من السرير لن تطرق الباب عليها.. أحمد لم يعد موجودًا ولن يطرق عليها الباب مرة أخرى.

تري.. هل يكون.. ؟!

فُتح الباب قبل أن تستنتج الاحتمال الوحيد المتبقي.. ليظهر والدها يتقدم بخطوات مترددة نحوها.

تفاجأت.. نظرته منكسرة.. مازال يقترب.. نكست رأسها وعادت الدموع تنهمر من عينيها مرة أخرى.

جلس على طرف السرير قبالتها.. تفكر في سبب وجوده في غرفتها.. وعلى مقربة منها.. لأول مرة منذ سنوات.

sa7eralkutub.com

بادر قائلًا:

- سمعت صوتك بتعيطي.. جيت اطمن عليكي.

يحنو عليها؟!!.. أين كان حنانه من قبل؟

لم ترد.. دموعها الصامتة لم تتوقف ولم ترفع رأسها لتواجهه.

أكمل: عيطي يا حنان.. عيطي ومتكتميش في نفسك زي ما عملتي طول اليوم.. مصيبتنا كبيرة ومش هننساها بالساهل.

ازداد بكاء حنان وارتفع صوته.. تفتقد أباها الذي تعلقت به في طفولتها وصباها وبداية شبابها.. قبل أن ينقلب الحال عند زواجها.

بكى أيضًا وهو يبوح بما أخفاه في صدره:

- سامحيني..أنا كل اللي عملته كنت علشان خايف عليكي.. كان نفسي تعيشي كويسة مع جوزك وتحافظي على بيتك وابنك.

لم تستطع الصمت.. واجهته بما قتلها منه:

- إنت ظلمتني.. لما ضغطت عليا اتجوزه ولما كنت دايما بتغلطني قدامه.. وفي الآخر لما بقيت تعاملني كأني أجرمت لما اتطلقت.. محسيتش ان أنا كمان كان نفسي اتجوز واعيش حياة مستقرة ويكون ليا ولاد افرح بيهم.. مقدَرتش حزني على ابني اللي مشفتوش ولا هينفع اشوف غيره تاني.. حمِّلتني ذنب مش ذنبي.. لولا وجود أحمد كان زماني انتحرت أو اتجننت.. مش عارفة هعيش ازاي من غيرُه.

أكملت بكاءها.. رد والدها:

sa7eralkutub.com

- من زمان وانا عايز أقولك سامحيني.. ظلمتك وغلطت في حقك بس مكنش قصدي.. خوفي عليكي هو اللي خلاني اعمل كده.. خصامك ليا كان واجعني بس كرامتي كانت واجعاني أكتر.. كنت مستكبر اعترف بغلطتي قدامك.. بس متعرفيش انا كنت مطمن عليكي ازاي بوجود أحمد وحنيته عليكي.. وبرضه كنت بكابر ومبيبينش.. كفاية أحمد سابنا فجأة.. مبقاش لينا غيرك.. محتاجين نصبر بعض.. محتاجين نقوي بعض.

مازالت تبكي.. اعتراف والدها أراحها.. هل كانوا بحاجة لمصيبة كبيرة كي يعترف بأخطائه تجاهها.. هل قادرة فعلًا على مسامحته.

تسامح.. أم تستمر في بعدها عنه؟

لكن.. من تبقى لها في الحياة سواه؟

نظرت له.. رأت دموعه.. ونظرته المستجدية، كررت كلماته الأخيرة:

- محتاجين نصبَر بعض.. محتاجة أوي حد يقويني.

بكت.. فتح والدها ذراعيه.. فارتمت في حضنه باكية.

سقطت دموعه على شعرها وبللت دموعها صدره.

ورغم الحزن الدفين.. لكن شعور بالراحة والسكينة غمرهما.

****

sa7eralkutub.com

كان يومًا عصيبًا على علا وأسرتها: فوفاة أحمد بعد أن تحسنت حالته أصابتها بالذعر على ابنتها بالإضافة للحزن على أحمد رغم عدم معرفتهم به.

أما عمر.. فقد تأثَّر بشدة بعدما شاهد انهيار وحزن والدي أحمد وخطيبته وأسرتها.

علا ووالدتها لم تستطعا إخفاء قلقهما، طلبا من عمر معرفة سبب وفاة أحمد تحديدًا وهل هو بسبب الجراحة أم لسبب آخر.

رضخ عمر لطلبهما.. وقلقه أيضا فذهب للطبيب وعاد ليخبر والدته وشقيقته ولا يعلم إن كان ما سيقوله سيطمأنهما أم سيزيد قلقهما.

- جلطة في رِجله اتحركت للرئة أدت لفشل تنفُّسي سبِبت الوفاة.

سألته علا:

- ودي نطمن ازاي انها متحصلش لروان.

صرخت بها والدتها:

- بعد الشر.. إن شاءالله هتقوم بالسلامة.

بكت علا:

- أنا خايفة.

قال عمر محاولًا طمأنة علا:

- سيبها على الله يا علا.

sa7eralkutub.com

كان يوما ثقيلًا، مملوءًا بالمشاعر المختلفة، حتى انتهى موعد الزيارة وغادر عمر ووالدته وبقيت علا وحدها مع ابنتها.

تشعر بالوحدة والملل، تفتقد وجود حنان، أرادت أن تطمئن عليها، وتعزيها مرة أخرى.

اتصلت بها، وجدت رسالة صوتية تخبرها بأن الهاتف مغلق.

فتحت الفيس بوك من التليفون، لم تجد حنان أون لاين، دخلت على صفحتها وكتبت:

"البقاء لله.. ربنا يصبرك."

سحر الكتب
sa7eralkutub.com

انتظرت قليلًا لعلها تلقى ردًا.. خرجت من الفيس بوك وتركت الهاتف.. جلست على طرف السرير ومسكت يد روان وقبّلتها وظلت هكذا لبعض الوقت.

****

جلس عمر في غرفته يستعيد أحداث اليوم.. موقف صعب مرّ على حنان وأسرتها.. يتعاطف معهم جميعًا، ولكنه يشعر بالقلق على حنان بصفة خاصة: فنظراتها كانت كأنها لا ترى ولا تسمع ولا تستوعب.. تتصرف بآلية دون تعبير عن حزنها.

ترى ما عساها تفعل الآن؟ هل أفاقت من صدمتها؟ هل تقبّلت الأمر بإيمان وصبر؟

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

تذكر الكلمات التي دارت بينهما قبل لحظة الوفاة.. يااه.. لو استطاع أن يعيدهم عليها.

وجد نفسه يفتح اللاب توب.. يبحث عن صفحتها.. وجد كل شيء كما هو في الليلة الماضية.. لم تتغير الصورة لأخرى مما يُرجِّح أنها لم تفتح الأكونت.

ضغط على زر إرسال رسالة لها.. فتح مربع الرسالة. تردد قليلًا ثم بدأ يكتب:

"البقاء لله.. ربنا يصبركم ويجعل مثواه الجنة".

ضغط إرسال رسالة.. وانتظر.. وانتظر.. وانتظر..

****

في الليلة الأولى.. بكت حنان كثيرًا.. كثيرًا جدًا.. تصمت أحيانًا لالتقاط أنفاسها وتمر من أمام عينيها ذكرياتها مع أحمد.. منذ طفولتهما مرورًا بكل سنوات ومراحل عمرهما.. تعود وتبكي مرة أخرى.

لم تقضِ الليلة وحدها.. يتردد عليها والدها كلما سمع شهقاتها.. يحاول تهدئتها ويعود لغرفته ليطمئن على زوجته.. ثم ينفرد بنفسه بعيدًا عنهما يبكي بدموع صامتة.

تناديه زوجته.. تنهض حنان لتطمئن عليها.. يذهب إليها زوجها يلبي نداءها.. يجتمعون، يحاول كل منهما بث الصبر للأم المكلومة.

انقضى الليل هكذا.. تعب الجميع وغلبهم النوم بعدما صلوا الفجر.

نوم فرض نفسه بسبب التعب والإرهاق، ولكن الحزن لم يفارقهم حتى في أحلامهم.

sa7eralkutub.com

في اليوم التالي، بدأ توافد المعزين، حاولت حنان التماسك خاصة في وجود إسراء التي لازالت منهارة ولاينقطع بكاؤها.

انفردت حنان بإسراء، وحاولت أن تبث لها عبارات الصبر على الابتلاء والرضا بالقضاء والقدر.

تكرر اليوم الثالث.. كاليوم السابق له.. حتى انقضت فترة العزاء.

وقبل مغادرة إسراء ووالدتها ووالدها، تعانقن.. وبكينَ كثيرًا.. وبكت والدة حنان هي الأخرى.

قالت الأم: ابقي ودينا يا إسراء.. متنسيناش يا بنتي.. انتي من ريحة الغالي.

قبَّلت إسراء رأسها وخديها وهي تطمئنها:

- أنساكم ازاي.. انتوا أهلي.. أنا خطيبة ابنكم وهفضل خطيبته لحد ما نتقابل في الجنة.

صُعقت والدتها من كلماتها، لكن الوقت لم يكن مناسبًا للتعليق.

ردَّت والدة أحمد: ربنا يصبِّرنا كلنا.

نظرت إسراء لحنان، وقالت لها مستجدية:

- تعالي لي بكرة يا حنان نقعد مع بعض.

ردت حنان مطمئنة:

- هبقى اجيلك والله.. بس صحة ماما تتحسن شوية.

سلمت والدة إسراء على والدة أحمد.. ثم على حنان.. وغادرت.

بمجرد خروجهما من مدخل العمارة.. وقفت الأم تسأل إسراء:

sa7eralkutub.com

- انتي ليه قلتي كده لمامته.. انتي كده مش بتصبّريها بالعكس انتي بتعشميها بحاجة متنفعش.. هي أكيد عارفة ان خلاص مبقاش يربطك بابنهم حاجة وانتي مش مطلوب منك أي واجبات اجتماعية ناحيتهم.

نظرت إسراء لوالدتها وهي غير مصدِّقة.. قالت:

- معقول.. بتقوليلي كده وانتي عارفة أنا بحب أحمد أد إيه؟ وعارفة هو كان بيحبني ازاي.

- بتحبوا بعض أيوة.. بس أحمد الله يرحمه مبقاش موجود.

- أنا موجودة ومش هنساه لحد ما احصّله.. تفتكري لو كنا وصلنا قبله وانا اللي مُت مش هو.. كنتي هترضي مامته تقوله كده ومكملش على موتي 3 ايام.

اسكتتها والدتها: بعد الشر عليكي.

صمتا.. أكملتا طريقهما دون أن تتبادلا أي حديث.. وكل منهما تحسم أمرها داخلها.

إسراء قررت الوفاء لحبيبها حتى انقضاء أجلها.. والأم ندمت أنها تسرعت في فتح الموضوع في هذا التوقيت.

****

انتهت حنان من بعض الأعمال المنزلية بعد مغادرة المعزين.. دخلت غرفة والدتها.. وجدتها تفتح ذراعيها لها.

حضنت والدتها وهي تربت عليها، تحاول ألا تبكي حتى لا تفتح شلال دموع والدتها الذي ينتهي بصعوبة كلما بدأ.

sa7eralkutub.com

ربتت الأم على ظهرها:

- ربنا يريّح قلبك يا بنتي.

ربتت حنان على والدتها وهي في حضنها.. أكملت الأم:

- انتي متعرفيش لما كلمتي ابوكي أنا ارتحت ازاي.. كنت خايفة عليكي من عقوقك ليه.

كادت أن تدافع عن نفسها.. كادت أن تخبرها أنها لم تقاطعه عقوقًا، ولكن لتتجنب سهامه السامة التي كان يطلقها دومًا نحوها.. لكنها عدلت عن الكلام.. آملة أن تنتهي الخلافات بينهما.. وألا يعاملها مرة أخرى كوصمة عار.

دخل الأب عليهما.. لم يتعجب من عناقهما، لكنه قال مباشرة لحنان:

- اعمليلي كوباية شاي وهاتيهالي البلكونة.. يخربيت الحظر اللي حابسنا في بيوتنا من المغرب زي الفراخ.

هزت حنان رأسها ونهضت وهي تسأل والدتها:

- أعملك شاي؟

- لأ.. ناوليني المصحف اقعد اقرا لاخوكي شوية.

أنهت حنان ما طلبه والداها منها.. دخلت غرفتها مرهقة.

جلست على سريرها.. بدأت الذكريات تهاجمها.. أرادت أن توقفها وتشغِل نفسها بأي شيء آخر.

sa7eralkutub.com

فتحت اللاب توب، قامت بتشغيل القرآن الكريم، ثم دخلت على الفيس بوك.. قبل أن تفتح الإشعارات قامت بتغيير الصورة الشخصية لصورة سوداء تمامًا.

****

انتظر عمر وانتظر.. أثناء النهار كلما أتيحت له الفرصة فتح الفيس بوك يدخل على رسالته لحنان ليرى إن كانت قرأت رسالته أم لا.. وفي المساء يدخل على الرسالة بين الحين والآخر منتظرًا ردًا على رسالته.. مضى يوم والثاني.. وفي الثالث وفي أثناء دخوله على الرسالة كالعادة.. وجد الصورة الشخصية تغيرت.. فدخل على صفحتها ليرى متى قامت بتغيير الصورة، وجد الصورة تغيرت منذ دقائق. دخل على الرسالة ليرى هل فتحتها أم لا.. وجدها لم تفتح بعد.

انتظر.. ولكنه قلق ألا تراها.. يريد أن يطمئن عليها فقط.. تردد قليلًا ثم ضغط على إضافة صديق.. وانتظر..

بعدما قامت حنان بتغيير الصورة الشخصية، وجدت تعزية من علا ومن تحتها بعض التعليقات لأصدقاء افتراضيين يسألون عن المتوفي، ورد لعلا تخبرهم أنه شقيقها وباقي التعليقات تعزية ودعاء للمتوفي.

رأت إشعارًا ب15 رسالة.. ضغطت عليها فرأت الخمس رسائل الأخيرة من أصدقاء لها، كل الرسائل تحمل عبارات العزاء.. قررت قراءتهم والرد عليهم جميعًا بعد الانتهاء من الرد على المعزين في صفحتها.

sa7eralkutub.com

جاء إشعار لحنان بطلب صداقة، ضغطت حنان على الإشعار، عندما وقع بصرها على اسم عمر وصورته اتسعت عيناها دهشة وظلت لدقائق غير مصدقة، ابتسمت بفرحة واطمئنان لا تعرف لهما سبب.

قبلت الصداقة على الفور.. فكرت هل ترسل له رسالة لتطمئن على روان أم ترسل لعلا أفضل؟

أثناء ترددها وجدت إشعارًا برسالة جديدة.

انتفض عمر عندما قبلت حنان طلب الصداقة.. ابتسم بسعادة لأنه بذلك يستطيع التواصل معها بشكل مباشر ومن خلال طرق عِدة.. سواء الرسائل أو التعليق أو الكتابة في صفحتها.. وستظهر له كل مشاركاتها فيستطيع معرفتها أكثر.

طال انتظاره لردها ولم يستطع صبرًا.. أرسل لها بعدما التمس لها سبعين عذرًا.

- السلام عليكم.

استقبلت حنان رسالته فورًا، وردت:

- وعليكم السلام.

قرأت الرسالة السابقة للتو.. فكتبت:

- البقاء والدوام لله.. شكرًا.

شعر أنها تختصر معه الكلام، أو ربما لم تعرفه:

فكتب.فاكراني؟

sa7eralkutub.com

تردد هل يرسلها أم يرسل كلمة أخرى تحمل نفس المعنى.

أرادت حنان أن تعتذر عن تأخُرها في الرد، فسبقته برسالتها:

- آسفة اني لسه شايفة الرسالة.. الكام يوم اللي فاتوا كانوا صعب علينا جدًا.

اطمأن.. فها هي تتكلم.. مسح رسالته وأرسل لها:

- ولا يهمك.. ربنا يصبركم.

- يارب.. أخبار روان إيه؟

- الحمدلله مشيت النهاردة على خفيف جوه الأوضة.. طمنيني انتي وأسرتك عاملين ايه؟

- بنحاول نستوعب ان أحمد مبقاش موجود.. بس للأسف مش سهل خالص.. أحمد كان روح البيت.. البيت فقد روحه.

- كل واحد فينا ليه عمر.. ربنا قال (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).. الأعمار بيد الله.. فاكرة ده كلام مين؟

ابتسمت ودموعها تتساقط.. وردت:

- ونعم بالله.. طبعًا فاكرة.

- الحمدلله انك مؤمنة وده هيخفف كتير من حزنك.

كتبت وهي تبكي:

- إيماني بقضاء ربنا ميمنعش اني هموت من الحزن.. أنا حاسة الدنيا مبقلهاش طعم ولا لازمة بعد احمد.. أحمد كان حلقة الوصل بيني وبين الحياة.. يمكن لولا وجوده كان زماني يا منتحرة يا مجنونة.

sa7eralkutub.com

- بعد الشر.. ليه بتقولي كده؟

- علشان دي الحقيقة.. يمكن اللي مخليني بحاول اتماسك هي أمي.. خايفة عليها.. خايفة تسيبني هي كمان.

- ربنا يخليهالك ويديها الصحة.

- يارب.. أحمد كان أماني وسندي.

- ربنا يخليلك باباكي.

أرادت أن تكتب أن أحمد كان يحميها من والدها ومن أفكاره ومن معاملته السيئة.. ولكنها لم تشأ أن تقول ماليس له داعٍ.

- دوشتك بوجعي.. بس ملقيتش غيرك اتكلم معاه.. ماما فيها اللي مكفيها.. وإسراء صاحبتي الوحيدة، المفروض اخفف عنها مش ازود حزنها.

- خدي راحتك خالص.. أنا مش متضايق بالعكس أنا حاسس بكل كلمة بتقوليها وعارف أد إيه وجع فقدان عزيز.. اتكلمي وشيلي من على قلبك وانا هسمع.

كتبت حنان عن حزنها.. عن علاقتها وارتباطها بأحمد.. عن ذكرياتهما معًا.. عن حبه لإسراء.. الحب الذي لم يُكلَّل بالزواج بسبب الموت الذي اختطفه.

ساعات طويلة، قطعتها حنان أكثر من مرة لدقائق: للاطمئنان على والديها أو تلبية ندائهما

بدأ النوم يداعب جفنيْ حنان.. فوجئت أن الساعة تجاوزت الثانية صباحًا.

كتبت معتذرة:

sa7eralkutub.com

- احنا اتأخرنا أوي.. أنا آسفة اني سهّرتك كل ده.

- ما انا قلتلك مش متضايق، ومتعود على السهر مش بنام بدري، وعندي استعداد اسمعك لو اسبوع كمان.

ابتسمت لمجاملته.. لم تعلم أن الجملة قالها بتلقائية.. فاعتذرت:

- أنا ارتحت لما اتكلمت.. حاسة اني عايزة انام.. ودي أول ليلة احس اني عايزة انام مش افضل اتحايل على النوم بالساعات.

- طيب قومي قبل ما النوم يهرب.. تصبحي على خير.

- وانت من أهله.

أغلق كل منهما جهازه.. وخلدا للنوم.

كل منهما في سريره.. يفكر في الآخر.

حنان تشعر بارتياح بعد حديثها معه.. لم تفكر في أسباب أو نتائج كي لا تعكر صفو شعورها بالراحة، أما عمر.. فقد شعر أنه اقترب من حنان ومن حياتها.. شعوره بالألفة تجاهها والراحة في الحديث معها، جعله يغمض عينيه ويستسلم للنوم دون تفكير في مسئولياته وقلقه الذي يؤرقه كل ليلة.

* * *

sa7eralkutub.com

- 14 -

لحظة ميلاد الفَرْح كان فيه حبيب رايح

"فؤاد حجاج"

sa7eralkutub.com

بعد أسبوعين من عملية روان، دخلت نيفين لألفت أثناء إعدادها الغداء.. بدأت حديثها:

- مش ملاحظة حاجة؟

- آه ملاحظة انك سايبة على دماغي كل حاجة.. المفروض اشيل إيدي من البيت والمطبخ مش ابقى انا بين البيت والشغل.

- أنا بتكلم في حاجة تانية.

لم تنظر لها.. أكملت طهي الطعام.

- حاجة إيه؟

- المحل بتاع عمر زي ماهو.

التفتت لها ألفت:

- زي ماهو ازاي يعني؟

- متباعش زي ما قال.

أشاحت ألفت بوجهها عنها.. والتفتت للحوض تغسل بعض الأطباق به:

- آه متباعش.

- متأكدة؟

- سألت أم عمر لما كنت عندها وقالت المحل مش هيتباع.

- أومال قالي كده ليه؟

- يمكن حس بطمعك قال يختبرك.. واهو سقطتي واتأكد انك طمعانة فيه.

sa7eralkutub.com

انفعلت نيفين وردت بنبرة حادة:

- يا سلاااااام.. ومين إن شاءالله اللي كان فرحان بيهم وعايزهم علشان عندهم وعندهم.. مش انتي برضه؟

- أيوة كنت فرحانة بعمر علشان مرتاح وهيعيشك مرتاحة.. وعلشان ابن ناس ومؤدب وهيصونك.. إنما مقلتش تاخدي منه ومتديلوش حتى الحب الصادق اللي محتاجه.

قالت باستعطاف: انا بنتك على فكرة.

- أشهدلك يعني وانتي غلطانة؟

- لأ.

صمتت نيفين قليلًا.. ثم استدركت:

- ماما.

- نعم.

- أقولك حاجة ومتشمتيش فيا.

سبقتها ألفت قائلة وهي تلتفت وتنظر لها:

- ندمانة على عمر.

صمتت نيفين وهزت رأسها.. أكملت ألفت:

- قلتلك ومسمعتيش كلامي.

- يووو.. الواحد ميتكلمش معاكي يعني.

sa7eralkutub.com

تركتها وخرجت من المطبخ.. تبعتها ألفت وجلست بجوارها:

- اتكلمي يا نيفين.. زعلانة على عمر؟

أجابت نيفين:

- مش على عمر.. بس انتي كان معاكي حق.. هو فعلًا كان بيعملي كل اللي نفسي فيه.. وشكله طلع بيختبرني زي ماقلتي.. يعني معاه فلوس ومخبي.. وانا من ساعة ما سيبنا بعض وانا زهقانة ولا بخرج ولا بتفسح ولا بجيب لبس.

فوجئت ألفت بكلام نيفين؛ فعلى عكس ما توقعت لم تشعر بندم نيفين على عمر، بل ندمها على ما يملكه عمر، فسألت للتأكد:

- يعني انتي عايزة اللي كان بيجيبه.. مش بتحبيه هو؟

- ممكن مع الوقت احاول احبه.

- بلاش يا نيفين.. بدل جربتي ومقدرتيش بلاش.

- يا سبحان الله.. انتي كل شوية بكلام ليه؟

- مش كل شوية بكلام.. انتي اللي مش فاهمة.. في الأول كنت فاكراكي هتحبيه وهتعيشوا كويسين مع بعض.. بعد ما اتخطبتوا وشفت معاملتك ليه حسيت اني كنت غلطانة بس قلت يمكن مع الوقت تحبوا بعض.. حتى دلوقتي لما حسيت بندمك قلت اكتشفتي انك كنتي بتحبيه.. بس انتي برضه مش عارفة تحبيه.. يعني مع أي مشكلة مادية هيتعرض لها هيكون رد فعلك هوَّ هوَّ مش هيتغير وتقولي نفس الكلام الجارح اللي قلتهوله قبل كده.

- لأ.. هبقى امسك نفسي.

sa7eralkutub.com

- يعني انتي عايزة ترجعيله؟

- آه.

- خلاص.. روحي استسمحيه وشوفي هيقولك إيه.

- وانتي؟

- مليش دعوة.. زي ما غلطتي فيه لوحدك روحي صالحيه لوحدك.

- طيب اروح البيت وتيجي معايا؟

- بلاش البيت.. روحي له المحل واتكلموا لوحدكم أحسن.. بس فكري كويس أوي الأول.

نظرت نيفين للساعة.. رددت بصوت خفيض:

- بكرة اروح له.. أفاجئه في المحل.

****

جلست حنان على السفرة مع والديها تتناول الغداء.. رنَّ هاتفها فنهضت ترد ووالدها يُعلق.. بعدما استنتج الجميع أنها إسراء؛ لأنها الوحيدة تقريبًا التي تتصل بحنان.

- ما تسيبيه وابقي كلميها لما تخلصي أكل.

لم ترد.. توقفت قليلًا أمام الرقم غير المسجل وقالت متعجبة:

- دي مش إسراء؟!

قالت والدتها بعدم اهتمام:

sa7eralkutub.com

- يمكن الرقم غلط.

ردت حنان:

- ألو.

- ألو.. حنان مصطفى معايا؟

- أيوة.. مين معايا؟

- معاكي مدرسة الصفا.. عندك انترفيو في المدرسة بعد بكرة الساعة 9 الصبح.

- هو كل اللي اتقدم للشغل عنده انترفيو؟

- لا مش كله.

- طيب انا صاحبتي كانت مقدمة معايا وعايزة اعرف قبلت ولا لأ؟

- هو الانترفيو مش قبول نهائي للوظيفة.. نتيجته هي اللي هتحدد قبلتي في الشغل ولا لا.

- طيب ممكن اعرف صاحبتي عندها انترفيو ولا لأ؟

- اسمها إيه؟

- إسراء فوزي.

لحظات من الصمت.. ثم ردت المتصلة:

- أه معاكي، أنا لسه مكلمتهاش، ياريت تبلغيها وانا هكتب عندي انها عرفت بالمعاد.

sa7eralkutub.com

- حاضر.. شكرًا.

- العفو.

أنهت حنان المكالمة وعادت للسفرة لتكمل غداءها.. سألها والدها:

- مين؟

- دي واحدة من المدرسة اللي قدَمت فيها انا واسراء.. عندنا انترفيو بعد بكرة.

قال والدها وهو يكمل طعامه:

- مابلاها الحكاية دي.

صمتت حنان.. كادت أن تنسى أنها قدمت في تلك الوظيفة.. في الحقيقة لم تكن لها رغبة حقيقية في العمل، ولكن ضغط إسراء وتشجيع أحمد والعناد مع والدها كانت الأسباب الرئيسية للتقدم للوظيفة.. أما الآن وبعد غياب أحمد وعدم رغبتها في عناد والدها ماذا يتبقى لتتمسك بالعمل؟؟

بعد انتهاء الغداء، اتصلت بإسراء لتخبرها بموعد الانترفيو.. وجاء رد إسراء محبطًا للغاية:

- مش هروح.

- ليه؟

- مليش نفس لأي حاجة في الدنيا.

- تعالي نروح يمكن ننسى.

sa7eralkutub.com

- ننسى!! انتي ممكن تنسي احمد؟ روحي انتي يا حنان، أنا عن نفسي مش عايزة انساه.

أنهت إسراء حديثها مع حنان وهي رافضة للعمل.. استسلمت حنان لرغبتها وأن كان شيء ما في داخلها يرفض استسلامها.. صوت إسراء اليائس يؤلمها.. تتذكر محاولات إسراء السابقة مساعدتها للخروج من عزلتها وصبرها على الرفض الدائم.. رغم أن المصاب مصابهما معًا، إلا أن حنان تشعر أن عليها ان ترد الجميل لإسراء بألا تدعها فريسة لليأس والإحباط.

في المساء.. وكعادتها كل مساء منذ أسبوعين.. ودون اتفاق من أحد الطرفين.. تلتقي عبر الشات مع عمر في حديث عام يمتد لساعات طويلة لا يشعران بها.

يخبرها عن كل تقدم في حالة وران.. يحكي لها عن أحداث يومه ولمحات من ماضيه.. تحكي عن يومها الذي لا جديد فيه.. وكثيرًا عن أحمد.

يتعمد كل منهما إغفال مرحلة من حياته.. رغبة في عدم تذكُرها ليس إلا.

فلا هي تعلم بأمر نيفين سوى ما فهمته من صورتهما.. ولا هو يعلم بأمر زواجها وطلاقها من قبل.

ربطتهما علاقة لم يتفقا على تسميتها.. بل لم يفكرا من الأساس في تحديد أي اسم لها.. حتى لا يضطران لإنهائها.

بدأ حوارهما اليومي.. كل يسأل على الآخر.

حنان مازالت تفكر في الوظيفة.. هل تذهب وحدها.. هل تضغط على إسراء للذهاب معها.. هل تصرف نظر كما قررت إسراء.

sa7eralkutub.com

لم تجد سوى عمر ليخرجها من حيرتها.. فسألته:

- عمر.. ممكن اخد رأيك في حاجة؟

- طبعًا.. اتفضلي.

- النهارده جالي تليفون من مدرسة كنت مقدمة على شغل فيها.. عندي انترفيو بعد بكرة.

- مبروك مقدمًا.

- أنا مش عارفة اروح ولا لا.

- ليه مش عارفة؟

- أنا وإسراء كنا مقدمين مع بعض، النهارده لما قلتلها رفضت تيجي معايا، حسيتها محبطة وحزينة وانا خايفة عليها من الحالة دي.

- بتحبها للدرجة دي؟

- طبعًا.. إسراء وقفت جنبي في وقت مكنش ليا حد غير احمد.. ده غير إني مش قادرة انسي نظرة أحمد وهو بيموت.. كأنه بيوصينا على بعض.. أنا خايفة عليها.

- خلاص.. اقنعيها بأي شكل من الاشكال انها تروح معاكي.. ورأيي ان الشغل هيفيدكم انتم الاتنين انكم تتخطوا الحزن بسرعة.

كتبت وهي تفكر:

- يعني انت شايف كده؟

sa7eralkutub.com

- أكيد.

- خلاص بكرة ان شاءالله اروح لها واقنعها.. بالذوق بالعافية بأي طريقة المهم انها متستسلمش.

- هي بينها بعيد عن بيتكم؟

- يعني نص ساعة بالمواصلات.

- هتروحي إمتى؟

- أكيد بدري.. يعني ع الضهر كده.

- طيب خلي بالك من نفسك لو حصل أي قلق كلميني وانا اجيلك.. ده رقمي خليه معاكي احتياطي.

سور الكتب
sa7eralkutub.com

كتب لها رقمه.. لأول مرة تشعر بأن هناك من يهتم بها لهذا الحد بعد أحمد.. شعورها باهتمامه وقلقه عليها، أسعدها.

أمسكت هاتفها وسجلت رقمه.. وكتبت متصنعة عدم الاهتمام:

- متشيلش همي.. أنا أي نعم من زمان مخرجتش لوحدي بس عادي أكيد مش هتوه يعني.

- أنا مقلتش تتوهي.. أنا قلقان بس يحصل حاجة.

- انت لسه بتقولي اقبل الشغل وبتشجّعني.. هترجع وتخوفني ليه؟

- لأ خلاص ربنا معاكي.. ابقي بس أول ما ترجعي طمنيني عليكي برسالة صغيرة حتى لو مش فاضية.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

- حاضر.

لا تعلم من أين أتت صورة عمر وخطيبته على صفحتها الرئيسية، من المؤكد أن هناك من قام بتعليق أو إعجاب للصورة فجاءت للصفحة الرئيسية.. وكأن صورتهما تذكّرها بأن له حبيبة وأن اهتمامه بها لا يمثل أي شيء سوى اهتمام أخ.

ترددت قليلًا، ثم ضغطت لايك على صورتهما، وكتبت في رسالتها:

- خطيبتك امورة اوي.. ربنا يسعدكم.

فوجئ عمر بكلامها، فأجاب مسرعًا حاسمًا:

- أنا مليش خطيبة.

- والصورة؟؟

- كانت خطيبتي.

- شكلكم في الصورة بتحبوا بعض.

- متخليش ابتسامة مرسومة علشان صورة تخدعك وتفتكري انها سعادة حقيقية.

- مكنتش بتحبها.

- كنت فاكر اني بحبها.

- وهي؟

- مكنتش بتحبني.

sa7eralkutub.com

- ازاي؟

كتبتها حنان وأرسلتها دون تفكير.. ندمت بشدة عندما قرأتها في وقت لا يفيد الندم.. فقد قرأها عمر بالفعل وردَّ:

- ماهو انا كنت فاكر إن أي حد بيحب وبيعمل كل حاجة علشان يسعد حبيبُه بالضرورة يلاقي حب قصاد الحب ده.. بس للأسف فيه ناس بتمثل الحب وبتقدر تخدع اللي قدامها.

قرأت حنان كلماته التي شعرت بالحزن يقطر منها.. وترددت جملته الأخيرة في رأسها فذكَّرتها بأيام خطبتها، وكيف استطاع طليقها أن يمثِّل الحب والاحترام والأخلاق أثناء تلك الفترة.

كتبت وهي ترثي لحالها الذي آلت إليه بعد الطلاق:

- مش أي حد يقدر يحب ويلاقي السعادة بالحب ده.. فيه ناس بتعيش وتموت ومتلاقيش الحب.. وفيه ناس مش من حقهم يحبوا.

سألها راغبًا في مزيد من التوضيح:

- ناس مش من حقهم يحبوا؟

أجابت وهي تصف حالها.. مصدقة لكل الأفكار التي يقتنع بها والدها:

- فيه ناس ممكن تمر بظروف مالهاش ذنب فيها.. بتخليهم مش من حقهم يحبوا لأن محدش هيقبلهم فالأحسن يوفروا على نفسهم الوجع.

كتبتها ودموعها تسقط.. تمنت لو سألها عمر مزيدًا من التوضيح فتحكي له ما تخفيه ويؤلمها فيخفف عنها ولو قليلًا.

sa7eralkutub.com

أما عمر.. فقد فهم أن حنان تقصده.. أسرها في نفسه وقرر أن - يوفر على نفسه الوجع كما قالت-.. حاول أن يكتب أي شيء بدلًا من الصمت الذي حلَّ فجأة بعد كلماتها، كتب متألمًا:

- معاكي حق.

فكر.. لماذا صُدم هكذا.. هل كان يأمل أن تنمو بينهما بذور الحب.. هل نسى أنه من قال قبلًا أنه أغلق قلبه ولن يدعه عُرضة لتكرار الجرح.. لماذا ينساق هكذا وراء رغبته في التقرب منها.. وهاهي تصدُه.. صدته برفق على عكس نيفين التي جرحته بقسوة.

ما الفارق.. النتيجة واحدة.. كلتاهما تؤكد له أنه لا يصلح للحب أبدًا.

طال الصمت بينهما على غير العادة.. نادته حنان:

- عمر.. روحت فين؟

أجابها بعد قليل:

- معاكي.

صمت قليلًا، ثم استطرد:

- حنان انا هقفل دلوقتي وانتي ابقي طمنيني عليكي بكرة.

تعجبت من إنهائه الحديث مبكرًا.. فسألته:

- عمر انت كويس؟

- أه الحمدلله.. متقلقيش أصل ماما عايزاني.

sa7eralkutub.com

- ومش هتفتح تاني كمان شوية؟

- مش عارف.. خليها بظروفها.. سلام.

ردَّت باستسلام: سلام.

****

حنان في غرفتها تفكر في عمر.. لماذا تشعر معه بالراحة هكذا؟.. لماذا تشتاق إليه كلما انتهى حديثهما وتنتظر حديثهما القادم؟.. لماذا تود أن تراه وجهًا لوجه ولا يكفيها لقاءاتهما عبر الإنترنت؟.. لماذا تشعر معه بتلك الأريحية وكأنها تعرفه منذ زمن بعيد؟.. الإجابات كلها تتجه لمعنى واحد لا ثاني له.. معنى تخشاه رغم استشعارها حلاوته.. أيكون الحب؟؟

الحب.. ابتسمت مع رجفة قلبها.. لأول مرة يرتجف قلبها حُبًّا.

لِم اليوم تحديدًا فكرت في إجابة لتساؤلاتها.. تسمية لعلاقاتهما؟؟.. هل عندما تأكدت أنه حُرٌّ.. مهتم بها.. يخاف عليها ويثق بها.

مع من تتحدث وتحكي إحساسها.. كم تمنت وجود أحمد جانبها.. كانت حتمًا ستجري وتحكي له كل مشاعرها دون خجل.. كم كان يسألها دومًا.. على فترات متقاربة.. ومنذ دخولها الجامعة.. وقبل خوضها تجربتها المؤلمة:

- حبَيتي

- لسه

- إمتى بس؟

- أول ما يحصل هتكون انت أول واحد يعرف.

sa7eralkutub.com

لم يعد أحمد في الحياة.. ولن يكون أول من تحكي له مشاعرها.. كم تفتقده.

لكن.. كيف لها أن تحب بكل ظروفها.. من عساه يقبل بها؟

عمر يختلف عن الجميع.. تثق تمامًا أنه مختلف.

لكن.. أن تقبل طلاقها.. هل يتقبَّل عدم قدرتها على الإنجاب؟

- فينك يا أحمد.

خرجت كلماتها مع زفرة حارة.. ألهبت فؤادها.

بكت.. تبكي حزنًا على أحمد.. وخوفًا يتسلل إلى قلبها من مشاعرها المحكوم عليها بالإعدام من قبل أن تعرف هل هي مشاعر متبادلة أم أنها من طرفها فقط.

تبكي وبطرف عينيها تراقب نافذة الشات التي تجمعها بعمر.. تنتظر أن يعاود الحديث معها

بكاء.. وانتظار.. حتى استيقظت على صوت والدها يحمل اللاب توب بعيدًا ويحدثها برفق:

- اتعدلي يا حنان.. رقبتك كده هتوجعك.

****

sa7eralkutub.com

أغلق عمر اللاب توب، ونهض مستندًا على عكازيه، وقف في منتصف الغرفة، نظر لأسفل قدميه.. وعكازيه.

انتصب واقفًا رافعًا رأسه لاعلى.. أسند أحد العكازين على الحائط.. واستند على الآخر.. دقائق.. ثم ترك الآخر من يده.

اختل توازنه وكاد أن يسقط.. ارتمى على السرير كي يتفادى السقوط على الأرض.. اعتدل جالسًا.. نظر لقدميه وعكازيه.. وبكى..

بكى بحرقة طفل صغير.. للمرة الثانية على التوالي يتم رفضه بسبب عجز قدميه.

لماذا حكمت عليه حنان بأنه لا حق له في الحب.. ماذا ينقصه كي يحب ويتزوج ويعيش كغيرُه..

تباً للحب الذي احتل قلبه فجأة بعدما قرر أن يغلق قلبه على حب أسرته فقط.

تمدد على سريره.. ينظر للسقف ودموعه تتساقط على جانبي وجهه.. وصورة حنان تبدو أمامه.. يغمض عينيه كي لا يراها.. محاولات تبوء بالفشل.. فكلما أغمض عينيه أو فتحهما.. صورتها لا تفارقه.

فكر أن يكمل علاقته بها في إطار الصداقة.. يحبها في صمت ويكتفي بقربهما.. لكنه تذكَّر أنه سيجيء اليوم وترتبط وتبتعد عنه.. وقتها سيكون الألم أكبر.. ردد في داخله: "وجع ساعة ولا كل ساعة.. دلوقتي أحسن من بعدين."

قرر أن يبتعد.. يعود لحياته قبل أن تدخلها حنان.. ألا يترك قلبه يتعلق بها أكثر.. يكفيه ما لاقى من جراح.

****

sa7eralkutub.com

في اليوم التالي، بعدما أعدت حنان الإفطار لوالدها قبل العمل، وقفت تستأذنه:

- بابا.. أنا شوية كده وهروح لإسراء.

- ليه؟

- علشان اقنعها تيجي معايا الانترفيو بكرة.

- أنا مش عايز الشغل ده.. وإسراء اللي كانت بتزن عليكي هي كمان بقت مش عايزة تشتغل.. يبقى أيه لزومه.

جلست أمامه، واختنقت بالدموع وهي تجيب:

- علشان عايزة اخرج من الاكتئاب اللي كان ملكني.. أحمد وجوده كان مخليني مستغنية عن الناس والدنيا بحالها.. دلوقتي لو فضلت كده هموت بجد.. قولّي هبقى عايشة ليه؟؟ لا عندي أمل في مستقبل استناه ولا انا عايشة حاضر ينسيني ماضي مؤلم.. ولو سكت واستسلمت إسراء كمان هتبقى زيي وهتقفل على نفسها وتشوف أيام سودة أنا عشتها كتير.. مش عايزاها تعيش اللي عيشته.. على الأقل اعتبرها رغبة أحمد وحققهاله.. أرجوك يابابا متحسسنيش اني مذنبة وانا مظلومة.

تأثر والدها عندما تذكّر أحمد وهو يقنعه، وتذكرت والدتها قول أحمد لها في نفس الساعة المبكرة قبل أسابيع:"سيبوها تعيش."

فقالت والدتها: سيبها يا مصطفى ورحمة احمد.

قال والدها وهو يبدو عليه التفكير:

sa7eralkutub.com

- والله من خوفي عليها.. الناس وحشة.. وهي مش هتعرف تفرق بين الكويس والوحش.

ردت حنان: يا بابا انا كبرت عن زمان.. وحتي لو مش واثق اني اقدر افرّق بين الكويس والوحش.. فأنا مش هدّي لحد فرصة إنه يقرّب منّي أصلا لا حلو ولا وحش.

نهض والدها منتهيًا من إفطاره:

- طيب يا حنان.. انزلي واشتغلي بس متعرّفيش حد أبدًا ظروفك.

حنان: متخافش يا بابا.

سألها مطمننا.هتروحي لاسراء امتي؟

- علي الضهر كده.

- كلميني لما تروحي.. وهعدي اخدك وانا جاي من الشغل.

هزت حنان رأسها موافقة.. وودعت والدها حتى الباب. عندما عادت لوالدتها مرة أخرى بادرتها الأخيرة:

- وانتوا متخاصمين كان قلبي موجوع وخايفة أوي.. دلوقتي ومع الحزن اللي في قلبي.. بس رجوعكم زي زمان مفرحني.

ابتسمت لها حنان وانشغلت بجمع الأطباق وتنظيف السفرة.

وقبل أن تنشغل بأمور البيت قبل نزولها، ذهبت لغرفتها وأحضرت اللاب توب، وضعته على السفرة وفتحت الأكونت.

sa7eralkutub.com

لم تجد أي رسالة من عمر أثناء نومها.. تركت حسابها مفتوحًا ليتسنى لها متابعة كل ما يجد على صفحتها أثناء انشغالها بالواجبات المنزلية.

****

جلس عمر في محله منشغلا بتصليح جهاز كمبيوتر أمامه.. طلب من حمدي متعمدًا أن يترك له تصليح الأجهزة بنفسه؛ كي ينشغل عن التفكير في حنان.. وحتى لا يبدأ بمراسلتها من جديد أو يرد عليها إن راسلته.

انزوى في ركن بعيد كي يباشر عمله.. لم يقاطعه سوى أدائه صلاة الظهر التي أدَّاها جالسا في مكانه.. بعد الصلاة عاد مرة أخرى لاستكمال عمله.

- عمر.

رفع عينيه للصوت الهامس الرقيق الذي ناداه.. ليجد نيفين أمامه.. تبتسم له بدلال.. مازال جمالها مهرًا كما هو، مالت للأمام وهي تهمس:

- وحشتني.

ارتبك؛ فلم يتوقع أبدًا ان تظهر نيفين أمامه في هذا التوقيت تحديدًا، وأن تبادره بمعسول الكلام الذي طالما افتقده وتمناه.

تحدَّث إليها بجدية:

- ازيك يا نيفين.

ونادى لحمدي:

- حمدي.. شوف طلبات نيفين واكرمها.

sa7eralkutub.com

فالتفتت لحمدي وردت بجرأة:

- لأ شكرًا.. أنا جاية لعمر.

صمت عمر.. فوجدها تُقرِّب مقعدًا وتجلس بجواره:

- مش هتقولي أقعد.. أقعد انا.

ترك ما بيده.. وامسك عكازيه واستند عليهما رغم أنه ليس في حاجة لهما وهو جالس.

سألها: عايزاني في إيه؟

ردَّت بابتسامة: ده انت زعلان بجد بقى.

ابتسم هو الآخر.. وأجابها:

- زي ما انتي شايفة.. أنا لسه زي ما انا وعكاكيزي في إيدي.

- يا حبيبي انا عارفة.. أنا اتنرفزت شوية وانت المفروض تستحملني مش تبعد كده.

صمت قليلًا.. يشعر بالكذب في كل كلمة تخرج من فمها.. تعود في السابق ألا يحرجها سواء هي أو غيرها أيًا كان.. لكن ومع شعوره بالإهانة لاعتقادها أنه سهل التغرير به.

نظر في عينيها مباشرة.. وابتسم لها.. استنتجت أنها استطاعت التأثير عليه.. فابتسمت بانتصار..

قال لها هامسًا: يعني هنتجوز؟

sa7eralkutub.com

ردت بتأكيد: طبعًا.

سألها: هتستحملي معايا؟

أجابت: أستحمل معاك أي حاجة.

- فكري كويس يا نيفين.. الظروف اتغيرت كتير عن الأول.. حتى عن ساعة لما جيت اخطبك.

- اتغيرت ازاي؟

- أنا مش عارف هشتغل إيه؟؟

- ما انت بتشتغل اهو.

- لأ.. المحل هيتباع.. وهضطر أأجر الشقة اللي فوق كمان ونعيش مع ماما.

- ليه؟؟ وايه اللي يخليك تبيع المحل بعد ما روان عملت العملية.

- البيعة وقفت ومكنش فيه وقت.. فاستلفت الفلوس من تجَّار أصحاب بابا الله يرحمه وكتبت على نفسي وصولات أمانة وقلت هسددهم لما ابيع المحل.. وحاليًا انا عارضُه للبيع وفي أي لحظة هبقى من غير شغل.

تلوَّن وجه نيفين.. ضاعت مفردات الكلمات الكثيرة التي حضَّرتها طوال الليلة الماضية.. حاولت أن تتحدث، ولكن المفاجأة ألجمت لسانها.. لاحظها عمر.. بل كان متأكدًا من رد فعلها

فقال لها: مش هينفع يا نيفين نكمل مع بعض.. ظروفي حاليًا متسمحش أبدًا بالارتباط.. وحتى لو استحملتي معايا مضمنش اني اوفرلك أقل احتياجاتك.

sa7eralkutub.com

غادرت نيفين دون أن تتفوه بأي كلمة.. دون ذِكر أسباب تبرر ذهابها المفاجئ مما أكد لعمر فكرته عنها.

اقترب منه حمدي الذي كان يستمع لما يدور بينهما.. سحب المقعد الذي كانت تجلس عليه نيفين وجلس عليه قبالة عمر.. وسأل:

- بص انا مش قصدي اتدخل.. بس الكلام اللي قلته ده صحيح؟

ضحك عمر وطمأنه:

- فال الله ولا فالك يا شيخ.

بدا على حمدي الحيرة وهو يسأل:

- يعني مش هتبيع المحل.. صح؟

- يا ابني مش لما كنت هبيعه قلتلك.

ضحك حمدي مطمئنًا.. وشاور على نيفين:

- والفيلم ده ليه؟

- حسيت انها جت لما اتاكدت اني مبيعتش المحل.. لو كانت باقية عليا صحيح كانت اعتذرت تاني ولا تالت يوم المشكلة.. ولو ان اللي قالتهولي صعب يتنسي.. بس حبيت اتاكد علشان مبقاش ظنيت فيها.. وزي ما انت شفت.. لما اتاكدت اني ع الحديدة.. جريت.

- ربنا يعوضك احسن منها إن شاءالله.

****

sa7eralkutub.com

استقبلت إسراء حنان باشتياق.. فمنذ آخر يوم التقيا في العزاء لم تتقابلا.. كل ما بينهما مكالمات هاتفية فقط.

جلستا معا.. تحدثت معها حنان عن العمل وعن احتياجهما له.. رفضت إسراء في البداية.. ثم بدأت تسمع حنان في مبرراتها.

لم يكن إقناعها صعبًا؛ فوافقت بعد قليل أن تذهبا معًا.

تحدثتا في أمورٍ شتى، ووجدت حنان نفسها تحكي عن عمر.

طوال الحديث.. تكررت عبارات: "عمر قال.. عمر شجعني.. عمر حكي لي."

لاحظت إسراء تكرار الحديث عن عمر.. فسألتها مازحة:

- واضح ان عمر له تأثير كبير علينا ولا إيه.

صمتت حنان قليلًا.. وسألت:

- عمر بيتعامل معايا عادي مش زي ما في دماغك.. وفاكر اني بنت لا يعرف حاجة عن جوازتي ولا عن عجزي.

- مش عارفة اقولك إيه.. هو اللي حكيتيه ميبينش دماغه فيها إيه بالظبط.. بس هو لو بيحبك هيتقبل كل ظروفك عادي.

- خايفة أوي يا إسراء.. الفترة اللي فاتت دي اتعلقت بيه وهو اختفى فجأة امبارح ومن ساعتها مظهرش.

- يمكن النت فصل عنده.. اصبري النهارده وشوفي.

هزت حنان رأسها استسلاما.. يساورها القلق عما تخبئه الأيام القادمة.

****

sa7eralkutub.com

في بداية المساء.. جلس عمر مع والدته يشاهدان التلفاز.. يتجنب الجلوس وحيدًا حتى يبتعد عن الفيس بوك وحنان

جاءت علا من غرفتها وجلست معهما

سألتها والدتها: روان نامت؟

أجابتها: لا فاتحة الكرتون وانا قلت اجي اشوف الأخبار.

سألتهما الأم: المدارس قرَبت.. هتروح ولا هتعملوا إيه؟

ردت علا بقلق: لا مش مهم السنة دي.. لما تبقى كويسة خالص تبقي تنزل.. أضمن منين حد يزقها ولا تقع تاني.

عمر: هتضيعي عليها السنة ليه بس.

علا: دي سنة أولى يعني مش هتأثر في حاجة.. كأنها اتولدت متأخر عن معاد المدارس.

عمر: لا يا علا متضيعيش عليها السنة.

علا: مش أحسن ما هي تضيع مني.

عمر: أنا عندي حل معقول.. هي اتقبلت خلاص في المدرسة.. نجيب شهادة من الدكتور انها تعبانة ونقدِمها للمدرسة ونجيب لها مدرسين هنا في البيت وتبقى تروح على الامتحانات بس.

فكرت علا قليلًا.. وقالت والدتها:

- فكرة كويسة يا علا.. يبقى لا ضيعنا السنة ولا قلقنا عليها من المدرسة.

sa7eralkutub.com

في نفس الوقت، نفد صبر حنان من الانتظار.. ترى ما الذي أخَّر عمر كل هذا الوقت.. عندما عادت أرسلت له رسالة تطمئنه بعودتها وتخبره أنها ستحكي له عن لقائها بإسراء.. وانتظرت دون جدوى.. قلقت.. ترى هل حدث لأحد منهم مكروه؟

أمسكت هاتفها.. كادت أن تتصل بعمر، ولكنها تراجعت.

بحثت في الهاتف عن رقم علا، وفكرت أن تتصل بها لعلها تعلم سبب غياب عمر.

اتصلت.. سمعت رنين الهاتف.. وانتظرت ردًا.

أثناء جلسة علا مع عمر ووالدتها.. رن هاتفها.. نظرت للهاتف فردت بلهفة:

- حنان.. وحشاني ازيك.

انتبه عمر وأصغى جيدًا لعلا؛ فمنذ عودة روان من المستشفى لم تتصل أي منهما بالأخرى سوى مرتين ولسببين محددين: اتصال تعزية من علا لحنان.. واتصال آخر للاطمئنان على روان بعد العملية.. فكَّر: هل ستسأل حنان عليه مباشرة؟

أكمل تركيزه في المكالمة:

- الحمدلله بخير.. أنا عارفة اني مقصرة في السؤال عليكي بس...

قاطعتها حنان: متقوليش كده أنا مقدرة ظروفك.. أنا بس حبيت اطمن عليكم.

- إحنا بخير الحمدلله.. وازي مامتك عاملة إيه دلوقتي؟

sa7eralkutub.com

- الحمدلله.. صابرة وراضية.

- والتحقيقات؟

- تحقيقات إيه يا علا.. خلاص دم أحمد ضاع وسط كتير غيره ومحدش عارف حاجة.. إحنا فوضنا امرنا لربنا هو الأعلم باللي قتله وقادر ينتقم من اللي عمل كده؟

- سبحانه لا يغفل ولا ينام.. ربنا ينتقم من كل ظالم.

- روان فين؟؟ لو صاحية عايزة اكلمها.

- أه صاحية.. حالًا هتكلمك.

ونهضت علا متجهة لغرفة روان.. شرد عمر في حنان وأحسَّ أن مكالمتها تذكير غير مباشر بموعدهما اليومي، لكنه تجاهل استنتاجه ورفع صوت التليفزيون ربما شوش على أفكاره المتلاحقة.

****

لم تصل حنان لأي شيء يخص عمر من خلال مكالمتها لعلا.. جلست تفكر ماذا حدث ليغيب ولا يرد على رسالتها.

استعادت الدقائق التي جمعتها بعمر في المستشفى، قفزت من السرير فجأة وفتحت دولابها عندما تذكرت الكتاب الذي أعطاه لها، فتحت الحقيبة التي كانت معها في المستشفى وجدت شنطة الهدايا وداخلها الكتاب.

أخذته وعادت إلى سريرها مرة أخرى.. اختلست نظرة لشاشة اللاب توب ثم فتحت الكتاب وبدأت تقرأ. جذبها الكتاب فظلت تلتهم الصفحات التهامًا دون

sa7eralkutub.com

كلل وملل.. كلما قرأت جزءًا من الكتاب شعرت أنه يمدها بالقوة. قلبت الكتاب بين يديها وتاهت بين حروف عنوانه:

"لا تحزن".. هل كان عمر يعلم أنها عندما ستقرأه ستكون في حالة من الحزن الشديد.. وسيخفف ما قرأته من حزنها كثيرًا؟

عندما قرأت الكتاب بلهفة وتركيز.. شعرت أن ما تمر به مهما كان قاسيًا، سيكون بعدُه فرج قريب.. فرج كبير جدًّا.. قريبًا جدًّا.

إنها على يقين.. يقين مستمد من إيمانها بالله سبحانه وتعالى.

****

ذهبت في الموعد المحدد للانترفيو وقابلتها إسراء هناك.. كان العدد كبيرًا وأصحاب المدرسة في عجلة من أمرهم.

لابد من استكمال موظفي الإدارة وبعض المعلمين قبل بدء العام الدراسي الذي تبقى عليه ثلاثة أسابيع.. مما اضطرهم إلى إعلان نتيجة الانترفيو بعد انتهائه مباشرة.. فيعرف المتقدم إن كان قُبِلَ أو رُفِضَ قبل أن يغادر المدرسة.

وقفت حنان وإسراء في انتظار دورهما.. سألتها إسراء:

- اتكلمتوا امبارح؟

- لأ.

- ليه؟

- مش عارفة.. بعتله رسالة زي ما اتفقنا ومردش.

sa7eralkutub.com

- يمكن النت مقطوع.

- لأ.. علا بتدخل عادي.. وقلقت يكون حصل أي حاجة كلمت علا اسأل عليها وعلى روان لقيت مفيش أي حاجة.

- وسألتي عليه؟

- لأ طبعًا.. اتكسفت.

- طيب مش يمكن علا بتدخل من التليفون وهو لأ.. يمكن يعني.

- عمر عنده نت في المحل وفي البيت.. يعني لو واحد قاطع التاني شغال.

- طيب فكرتي تتصلي بيه؟

- فكرت.. بس مش لاقية حجة أكلمه بيها.

- وهتفضلي مستنية كده؟

نظرت لها حنان بخجل، وقالت:

- لأ.. انا فكرت نروح له المحل.

ردَّت إسراء بدهشة: مكسوفة تكلميه وعايزة تروحي له المحل!!

قالت حنان موضحة:

- ما انا عندي سبب.. فاكرة آخر يوم في المستشفى.. جابلي كتاب على إن أقراه وارجعهوله.. يومها حصل اللي حصل وسيبنا المستشفى وانا نسيت الكتاب خالص الفترة اللي فاتت.. هنروح بحجة ارجعهوله.

- وانتي عارفة المحل فين؟

sa7eralkutub.com

- اه.. من جروب المحل على الفيس بوك جبت العنوان.. وسهل نوصل له.

- ومالك واثقة كده اني هوافق اجي معاكي.

- علشان متأكدة اني مش هبون عليكي تسيبيني لوحدي.

- اضحكي عليا بكلمتين.

- قولي بس يارب نخلّص بدري ونلحق نروح.

نادت السكرتيرة اسم إسراء.. فقالت إسراء لحنان بعدما أشارت للسكرتيرة:

- بشرة خير اهي.. شكلهم ماشيين بالحروف الأبجدية.. وإن شاءالله نلحق.

****

بعدما انتهي عمر من صلاة الظهر، فتح درج مكتبه وسأل حمدي:

- دي كل الحاجة اللي ناقصة للمحل ولا هتزود حاجة؟

- لأ خلاص كده.

نهض عمر متناولًا الورقة والمفاتيح والهاتف.. قبل أن يستدير من خلف المكتب وجد حنان وإسراء تدخلان من باب المحل.

فوجئ.. وقف مشدوهًا للحظات بينما حنان تتقدم ناحيته:

- السلام عليكم.. ازيك يا عمر.

أفاق عمر من دهشته ورد تحيتها:

- وعليكم السلام.. الحمدلله.

sa7eralkutub.com

أشار لهما بالجلوس: اتفضلوا.

شعرت حنان بأن المفاجأة غير سارَّة عكس ما توقعت.. شعرت بالإحباط المزوج بالإحراج.. نظرت لإسراء التي شعرت بها، ولكن لا مجال للحديث بينهما.

قالت حنان دون أن تجلس:

- لأ مش عايزة اعطلك.

أخرجت الكتاب من حقيبتها، ووضعته على المكتب:

- شكرًا على الكتاب.

همت أن تغادر.. شعر عمر أنه كان فظًّا معها.. فحاول استدراك الموقف:

- مستعجلة على ايه.. خليه لحد ما تخلصيه.

ردَّت: خلصته.. أنا جيت مخصوص علشان ارجعهولك.. مش هعطلك.. يالا يا إسراء.

فابتسم عمر ليعوِّض سخافته:

- معقول من غير ما تشربوا حاجة.

أحست حنان باهتمامه، فاحتارت أكثر، ولكنها رفضت عرضه بأدب.

- لأ مش هينفع معلش.. مش عايزين نتأخر.. وبعدين شكلك كنت ماشي مش هنعطلك.

- خلاص يبقى اوصلكم.

sa7eralkutub.com

نظرت الفتاتان لبعضهما.. وقالتا في نفس اللحظة:

- لأ.. شكرًا.. متتعبش نفسك.. احنا هنركب ونروح.

لم يعطِ لهما الفرصة للرفض.. واتجه لباب المحل:

- أنا كده كده ورايا مشاوير.. اتفضلوا.

سبقهما للسيارة.. وكلٌ منهما تريد أن تتحدث للأخرى ولا فرصة للحديث.

فتح عمر بابي السيارة الأمامي والخلفي.. واستدار ليجلس مكانه.

أسرعت إسراء وجلست في المقعد الخلفي وأغلقت الباب.. مما اضطر حنان للجلوس في المقعد الأمامي.

sa7eralkutub.com

سألهما عن عنوانهما.. فأجابتا.. ولكن إسراء عقّبت:

- معلش ممكن تنزلنا في أقرب مكان.. بلاش عند البيت.

هز عمر رأسه متفهمًا.. وسأل حنان:

- نتيجة الانترفيو إمتى؟

أجابت وهي تكاد تبكي من فرط إحساسها بالحزن من لا مبالاته ومقابلته الباردة:

- ظهرت.. وقبلنا احنا الاتنين.

- مبروك.

رددتا بصوت خفيض:

- الله يبارك فيك.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

ساد الصمت.. حتى وصل عمر لشارع قريب من منزل إسراء.. فشكرته إسراء:

- أنا هنزل هنا.. شكرًا.

توقف عمر بالسيارة.. نزلت إسراء، وأشارت لحنان أنها ستحادثها هاتفيًا.. لوحت لها، سألها عمر: أمشي؟

- اتفضل.

لاحظ صمتها، ووجهها الذي تغير عن لحظة وصولها للمحل.. تساءل في نفسه:

- هو مين اللي المفروض يزعل.. هي نسيت قالت إيه؟

أما حنان فكانت تتساءل.. ما الذي غيَّره معها هكذا.. ماذا حدث ليتجاهلها اليومين الماضيين ويقابلها بجفاء اليوم.

شعرت بغصة في قلبها.. ومحاولاتها المستميتة في ألا تنفلت الدموع رغمًا عنها.

بعد فترة صمت.. لم تجد بدًّا سوى سؤاله.. فسألته:

- كنت فين اليومين اللي فاتوا؟

ردَّ بنفس الجفاء: موجود.

قالت بألم: أنا قلقت عليك.. مش عادتك تغيب كده.

خطر له فجأة أن يرد كرامته التي أهدرتها حينما قالت إن بعض الناس ليس من حقهم الحب.. في إشارة إليه.. فأجابها:

- أصل حصل حاجة امبارح خلتني محتاج افكَّر شوية.

سألته باهتمام صادق: خير.. إيه اللي حصل؟

sa7eralkutub.com

حكى دون أن ينظر لها

- إمبارح خطيبتي جت المحل واعتذرت عن المشكلة اللي حصلت بيننا.. يعني.. عايزانا نرجع لبعض.

توقف في إشارة.. ووقعت الكلمات على حنان كمن نزلت عليها صاعقة.. صُدِمَت.. وتلألأت الدموع في عينيها فأشاحت وجهها سريعًا لتنظر من نافذة السيارة وهي ترد بصوت مختنق:

- آآآه.. ربنا يسعدكم.

تعجب عمر من ردة فعلها وصوتها المختنق الذي تبينه من ردها..

نظر لها.. لم ير وجهها.. فنادى:

- حنان.

ردت دون أن تلتفت:

- نعم.

- بُصي لي.

مسحت دموعها والتفتت.. تفاجأ بدموعها فسألها

- مالك؟

لم تجد عذرًا أفضل من حزنها على أحمد.

- أبدًا.. أصل افتكرت احمد.

sa7eralkutub.com

شعر بعدم صدقها.. مازال لا يفهم سبب تقلُّبها المفاجئ وهي التي صدته من قبل.. سألها:

- انتي إيه رأيك؟

فُتِحَت الاشارة وتحرك عمر بالسيارة

ابتسمت ساخرة: بتسألني انا ليه؟؟ دي حاجة تخصك لوحدك.

ردَّ متصنّعًا القسوة، ولكنه في الأصل يريد معاتبتها:

- بشوف رأيك ينفع احب ولّا مش من حقي.

عبست في عدم استيعاب والتفتت إليه:

- مش فاهمة.. وايه اللي يمنع انك تحب عادي؟

كاد أن يصرخ بها ويخبرها أنها من قالت، ولكنها تذكرت آخر ما قالته، من كثرة قراءتها لرسائلهما الأخيرة طوال تفكيرها فيه وغيابه عنها .. فسألته:

- إوعى تقول انك أخدت الكلام اللي قلته آخر مرة على نفسك.

- أومال على مين؟

صمتت حنان.. فأعاد عمر السؤال عليها مرة أخرى:

- كنتي تقصدي مين غيري يا حنان لو فعلًا متقصدنيش علشان..

قبل أن يكمل.. قاطعته وهي تبكي بحرقة:

- أقصد نفسي يا عمر.. أنا اللي مش من حقي احب ولا ليا حق حتى اني احلم بمستقبل فيه حب وأمان وأسرة زي أي حد.

sa7eralkutub.com

سألها عمر.. وهو لا يفهم عن أي شيء تتحدث:

- ليه؟.. ليه مش من حقك.. ناقصك ايه؟

صححت سؤاله وهي تبكي بحرارة:

- قول فيا ايه يخليني احلم!

احتمالات كثيرة قفزت إلى ذهنه.. واقترب منزل حنان.. توقف بالسيارة في شارع جانبي.. والتفت لها وهي لاتزال تبكي:

- فهميني في إيه؟؟ إيه اللي يخليكي تقولي كده وتعيطي بالحرقة دي؟

حاولت حنان السيطرة على انفعالاتها.. والكف عن البكاء.. دون جدوى.

- أنا اتجوزت قبل كده يا عمر.. اتجوزت واتطلقت بعد ما فقدت الرحم لما ابني مات في بطني.. جالي انهيار عصبي من ابويا اللي كان بيعايرني بظروفي.. كرهت الحياة والناس وحبست نفسي في أوضتي.. تفتكر بعد ده كله من حقي احلم بالحب والأسرة.. تفتكر ان ممكن حد يقبل بكل ده.

انفطر قلب عمر على بكائها.. يريد أن يضمها لصدره ويزيح عنها كل ما مرت به من قبل.. يريد أن يعوضها كل ما فاتها.. إن قبلت به.

ردَّ بكل مشاعر صادقة :

- أنا يا حنان.. أنا أتمنى تقبلي بيا واكون في منتهى السعادة.

فوجئت حنان باعترافه.. لكنها شكت في صدق كلامه.. شعرت أنه يشفق عليها.. مسحت دموعها ورفعت رأسها.

sa7eralkutub.com

- لا يا عمر.. أنا مش محتاجة شفقة.. أنا خلاص بقيت أحسن.. قررت اني هعيش واشتغل واخد من الدنيا اللي يناسبني واللي مليش نصيب فيه خلاص.

- شفقة إيه حرام عليكي.. ده انا كنت هتجنن اليومين اللي فاتوا لما حسيت انك بتصديني بذوق علشان ظروفي وقلتهالي علشان افهمها لوحدي.. حاولت ابعد عنك علشان متعلقش بيكي أكتر.. من يوم ما اتقابلنا وانا مبفكرش غير فيكي.. مش شايف حد في الدنيا إلا انتي.. انتي اللي لو وافقتي بيا يبقى ربنا استجاب دعوات أمي وحقق لي السعادة اللي شايفها بعيدة عني أوي.

- يعني تقبل تتجوز واحدة اتجوزت قبل كده؟

ردَّ ضاحكًا: يعني المطلقة ولا الأرملة نرميهم في البحر.. وانتي مش أي واحدة.

- والخلفة.. متقولش انك مش نفسك تبقي أب.

صمت لحظات.. توقف فيها قلب حنان.. قبل أن يجيبها:

- افرضي انا شخصيًا مقدرش اخلف.. افرضي احنا الاتنين كويسين ومفيش نصيب.. إفرضي خلّفنا وربنا مأرادش انه يعيش لنا ولاد.. كل دي حاجات بتاعة ربنا.

ردت بألم: تفرق يا عمر.. أنا مش تعبانة وفيه أمل ولو واحد في الميه اني اتعالج.. أنا مستحيل اخلف.

- ميمنعش برضه اني حبيتك انتي.. واتمنى انك تقبلي بيا رغم ظروفي.

- فكر تاني.

- انتي عايزة وقت تفكري؟؟ انا أحرجتك بطلبي؟

sa7eralkutub.com

- تفتكر جيت لحد عندك اشوفك غايب عني ليه؟

- ليه؟

ردَّت بخجل: اسأل نفسك.

- أنا بسألك انتي.. بس قبل ما تجاوبيني عايز اعرفك اني حاليًا ظروفي المادية صعبة.. يعني ان قبلتيني أوعدك اني هاعمل كل اللي اقدر عليه علشان اسعدك في حدود إمكانياتي.. شقتي في بيت بابا موجودة والمحل هو مصدر رزقي الوحيد.. تقبلي بيا ودي كل إمكانياتي.. بس قبلهم.. انا بحبك.

بكت حنان.. وهي تهز رأسها مبتسمة.. لكن دموعها هذه المرة لم تكن دموع حزن.. أو قهر.. أو إحباط.. ولكن دموع فرح.

* * *

sa7eralkutub.com

- 15 -

وبشِّر الصابرين

قرآن كريم

sa7eralkutub.com

عادت حنان لمنزلها وقلبها يكاد يخرج من صدرها من فرط السعادة.. لا تصدِّق ما حدث من دقائق قبل أن تغادر سيارة عمر. استقبلتها والدتها التي لاحظت فرحتها:

- إيه طمنيني؟ الفرحة اللي على وشك بتقول قبلتي في الشغل.

حضنتها حنان وقبَّلتها وهي تخبرها:

- أه قبلت انا وإسراء.

- يا حبيبتي لو اعرف ان الشغل هيفرحك كده كنت قلتلك اشتغلي من زمان.

- كل شيء بأوان ياماما.. بابا جه؟

- لا لسه.

دخلت حنان غرفتها.. وقبل أن تبدل ملابسها فتحت النافذة ووقفت.. واتصلت بإسراء

ردَّت إسراء في لهفة:

- حنان.. معلش يا حبيبتي متزعليش.

ردَّت حنان بهمس تخشى أن صوتها يرتفع فتسمعها والدتها:

- أزعل إيه.. ده انا النهارده اتولدت من جديد.

بدا صوت إسراء متعجبًا.. وسألتها:

- حصل جديد بعد ما نزلت؟

sa7eralkutub.com

حكت حنان لإسراء كل ماحدث بعد تركها لهما.. كان صوتها كله سعادة وإسراء تدعو لها:

- ربنا يسعدك يا حنان.. انتي تستاهلي كل خير.

- عارفة كانت فرحتي هتكمل لو كان أحمد موجود.. كان نفسي اجري عليه هو واحكيله.. كان نفسي يشوف عمر ويقولي رأيه فيه.

صمتت إسراء.. فالحزن يجمعهما.. والفرح أيضًا.. ففرحة إحداهما تسر الأخرى.

حاولت حنان أن تعتذر أنها تذكرت أحمد وذكَّرتها به.. لكن ما باليد حيلة.. فهي تفتقده بشدة ولا تجد أقرب من إسراء لتبوح لها بفرحها وحزنها المجتمعين في قلبها في نفس الوقت:

- إسراء.. أنا آسفة اني فكرتك باحمد.

- آسفة على إيه.. هو انا ممكن انساه!

- أقولك حاجة.. أنا حاسة بالذنب اني فرحانة.. أنا منسيتش أحمد والله وفرحتي ناقصة بغيابه.. بس حاسة ان وجود عمر هيعوضني شوية عن احمد.

- إفرحي يا حنان.. أحمد الله يرحمه كان نفسه يشوفك فرحانة.. إوعي تتكسفي من فرحتك هو لو حاسس بينا دلوقتي هيفرح لك أوي.

سمعت صوت والدها بالقرب من غرفتها، فقالت هامسة:

- بابا جه ومش عايزة حد يحس بحاجة.

- مقلتليش اتفقتوا على إيه؟

sa7eralkutub.com

- متفقناش على حاجة.. هو قالي الكلمتين اللي قلتهوملك وكنت قربة من البيت فنزلت.

- طيب اعرفي يا حنان هو ناوي على إيه.. وخلي بالك انتي متضمنيش هو بيفكر ازاي ولا عايز منك إيه.

- هيعوز إيه يعني.

- يا ستي حطي كل الاحتمالات.. شوفي بس هو ناوي على إيه وابقي احكيلي.

- حاضر.. يالا سلام.

بدَّلت حنان ملابسها سريعًا، وخرجت تساعد والدتها في إعداد الغداء.. وجلسوا جميعًا لتناول الغداء وحنان تحكي عن يومها- قبل لقائها بعمر- وعن العمل وفرحتها بوظيفتها المرتقبة.

****

عاد عمر للمحل قبل إغلاقه بنصف ساعة.. لاحظ حمدي التغير على ملامح عمر عن اليومين الماضيين.. فسأله:

- مين اللي جم دول؟

- ناس معرفة.

- أول مرة اشوفهم.

- هتشوفهم كتير بعدين.

قالها مبتسمًا، فضحك حمدي بعد أن استنتج

sa7eralkutub.com

- باين على وِشَّك.

انصرف حمدي ليرتب مشتريات المحل.. أما عمر فجلس شاردًا يستعيد لقاءه بحنان.. لا يصدِّق أن حنان تحبه كما يحبها.. حُب نشأ في ظروف صعبة لكليهما.. لكنه وُجِدَ دون تدخُّل من أحدهما.

تفاجأ بزواجها السابق.. تفاجأ أيضًا بعدم قدرتها على الإنجاب، ولكن مفاجأته لن تؤثر أبدًا على حبه لها.

لاحظت علا ووالدتها السعادة التي تشع من عيني عمر.. فسألته والدته:

- كان مالك اليومين اللي فاتوا يا عمر؟ كان فيه مشكلة في المحل؟

رد نافيًا مطمئنًا لها:

- لا أبدًا.. ليه بتقولي كده؟

- هو انا مش عارفاك يعني.. لما بتكون مهموم بيبان عليك.

ردَّ وابتسامته تملأ وجهه:

- كنت متضايق بس النهارده انا فرحان أوي.

دعت والدته وعلا له بدوام السعادة.. فأخبرهما:

- أصلي فكرت ولقيتني كنت غلطان.. الواحد مينفعش يعيش وحيد طول عمره.

تبادلت علا ووالدتها النظرات.. وظهر الامتعاض على وجه علا، بينما قالت والدته مشجعة راضية بقرار ابنها أيًا كان:

sa7eralkutub.com

- ومالُه يا ابني.. احنا هنعوز ايه غير رضاك.. بس المرة دي خلي بالك ومتضيعش كل حاجة على الفسح والخروج علشان تتجوزوا بسرعة.

سألها مستدركًا: انتي تقصدي مين؟

ردت بتلقائية: نيفين.

- لأ.مش نيفين خالص.. نيفين بعد ما ظهرت على حقيقتها لو هي آخر واحدة في الدنيا مش هرجع لها.

فتساءلت علا: تقصد مين يا عمر؟

رد وقد شع وجهه بالسعادة عند ذكر اسمها:

- حنان.

تساءلت والدته: حنان مين؟

ورددت علا هي الأخرى، تريد أن تتأكد:

- حنان مين؟

نظر لعلا مجيبًا:

- حنان صاحبتك.. حنان اللي كانت مع أخوها في المستشفي.

سألت الأم علا: انتي تعرفيها كويس يعني؟؟ كويسة البنت دي.

ردَّت علا بما تعرفه فقط.. من خلال اللقاءات البسيطة التي جمعتهما.

- كويسة يا ماما.. على أد معرفتي بيها.. بس لو عايز تخطبها يا عمر لازم تكلموا بعض الأول وطبعًا ظروفهم دلوقتي مينفعش أبدًا اني أقولّها حاجة زي كده.

sa7eralkutub.com

وضّح عمر:

- إحنا اتكلمنا فعلًا.. كام مرة كده في المستشفى.. ولما اخوها اتوفى بعتلها رسالة عزيتها.

سألته والدته: لمّحت لها طيب؟

علا.. وأثناء حديث عمر.. شعرت أن هناك ما يخفيه عنها.. هناك ما يُسعد شقيقها ويسعدها أيضًا.. صوته.. ابتسامته.. تعابير وجهه تؤكد حقيقة واضحة.. عمر يحب.

اجاب عمر: ملمحتش.. أنا صرّحت لها اني عايز ارتبط بيها.

سألته والدته باهتمام: وقالت إيه؟

أراد عمر أن يوضِّح لوالدته وشقيقته ظروف حنان؛ حتى لا يضع حنان في موقف حرج دون قصد منهما فيما بعد.

- قبل ما ترد عليا قالت لي ان ليها ظروف خاصة.

صمت قليلًا.. لاحظ اهتمام والدته وشقيقته بسماع المزيد.. فاكمل

- هي كانت متجوزة قبل كده.

علقت الأم: متطلقة يعني؟؟ مين السبب.

عمر: لسه مش عارف تفاصيل.. بس اللي اعرفه انها اتطلقت بعد ما اجهضت وشالت الرحم.

صرخت الأم: إيه؟؟ يعني مبتخلفش؟؟

sa7eralkutub.com

ارتبكت علا.. واستاء عمر قائلًا:

- وهي اختارت لنفسها انها متخلفش.. دي إرادة ربنا.

علا: يمكن هي أحسن له من غيرها يا ماما.

الأم: أنا نِفسي يتجوز علشان اشوف عياله.. مش يتجوز من واحدة هو عارف من الأول انها مش هتخلف.. واتطلقت علشان كده.

عمر: ماما.. حنان قبلت بظروفي وانا قابل ظروفها.

الأم مدافعة عنه: وانت فيك إيه؟؟ إنت أي واحدة تتمناك.

عمر.لا ياماما مش أي واحدة تتمناني وانتي عارفة كده كويس فبلاش تضحكي على نفسك وعليا.

الأم باستسلام: يعني إيه؟؟انت عايز تتجوزها علشان بس وافقت عليك.. يا ابني يا حبيبي مش كل الناس نيفين.

عمر: أنا مش عايزها علشان بس هي رضيت بيا.. انا عايزها علشان حبّيتها وعايز اكمل عمري معاها.

صمتت الأم في عدم رضا.. واقترحت علا:

- عمر.. فكّر تاني.. فكّر كويس قبل ما ترتبط معاها بوعد.. هتقدر تعيش من غير أطفال.

صمت عمر قليلًا.. رأت والدته في صمته بارقة أمل للعودة لرشده.

قال عمر ناهيًا حواره:

sa7eralkutub.com

- انا من يوم واحد بس كنت شايف الدنيا سودة لأني معيش لوحدي من غير الإنسانة اللي اكتشفت اني حبيتها.. النهارده بعد ما الأمل رجع لي والدنيا ضحكت لي جايين تقولولي فكر.. أنا راضي بيها أيًا كانت ظروفها.. لأني ببساطة حبيتها.

وجهت علا حديثها لوالدتها:

- خلاص يا ماما.. عمر مش صغير وهو أدرى باللي يربحه.

قالت الأم في محاولة أخيرة للاقناع:

- كان نفسي افرح بيه.. مع واحدة يكون أول بختها.. كان نفسي اشيل عياله.. كده بيحرمني من الفرحة اللي مستنياها عمري.

تودد لها عمر.. متوسلًا مباركتها:

- وإن قلت لك اني مش هبقي مبسوط غير معاها.. وهي دي اللي اخترتها.

صمتت الأم قليلًا.. ثم قالت باستسلام:

- هقول إيه.. ربنا يكتبلك اللي فيه الخير.

نهضت علا مسرعة.. تعانق شقيقها:

- مبروك يا عمر.. ربنا يسعدك يارب.. هنروح نخطبها إمتى؟

- الله يبارك فيكي يا حبيبتي.. أنا لسه متكلمتش معاها في كل التفاصيل دي.. بس أكيد يعني هنستنى شوية.. ده اخوها لسه متوفي.

****

sa7eralkutub.com

في الفترة التالية.. زاد التقارب بين حنان وعمر من خلال الفيس بوك.. يوميًا يتحدثان بالساعات عن تفاصيل حياتهما الماضية ولمحات يتمنيان تحقيقها في مستقبلهما.

تأكد كل منهما أنه وجد في الآخر نصفه الذي تكتمل روحه بقربه.. كلما مرَّ يوم زاد الحب وقويت علاقتهما.

يريد عمر أن يلقاها.. يتحدث معها وجها لوجه لا من خلال الإنترنت.. تريد هي الأخرى أن تلقاه، ولكنها تخشى أشياء كثيرة بثها والدها في عقلها.. وأكثر ما تخشاه أن تفقد ثقة والدها التي منحها إياها في الفترة القليلة الماضية.

خلال تلك الفترة.. يحاول عمر التقليل من نفقاته الخاصة قدر الإمكان كي يتمكن من توفير مبلغ قليل ليتمم خطبته على حنان.

مصاريفه تزداد.. استكمال علاج روان والتي بدأت تتحسن تدريجيًا حتى استطاعت المشي وحدها دون مساعدة.. ومصاريف دراستها بالإضافة لمصاريف البيت.. كلها أعباء يتقبلها بصدر رحب، ويعمل بقول الله تعالي "ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب".

تشجعه حنان على الاهتمام بأسرته وتخبره دائمًا أنها تتقبل العيش معه في كل الأحوال.. يكفيها حبه ورجولته التي تجسدت في تحمله للمسئولية وحبه لأهله وحبه واحترامه لها، ومن جهة أخرى.. بدأت حنان العمل وكان العمل فرصة جيدة لمساعدة إسراء على تقبُّل الحياة من جديد.

علاقة حنان بوالدها تحسنت بشكل كبير.. خرجت من عزلتها في غرفتها لمشاركة والديها جلساتهما في الأوقات التي لا تتحدث فيها مع عمر.

sa7eralkutub.com

لم يطوِ النسيان أحمد سواء في عائلته أو بالنسبة لإسراء.. سكن الحزن في ركنٍ من القلب لن يمحوه الزمن.. وعاد كلٌّ لحياته.

بعد ثلاثة أشهر.. وأثناء حديث عمر مع حنان، قال لها حاسمًا:

- هو احنا مش كفاية علينا كده؟

كتبت مازحة: كفاية إيه؟؟ عايز تسيبني.

- لأ.. عايز حبي ليكي يبقي في النور.. عايز لما احب اشوفك اجي لحد بيتك.. لما احب اخرج معاكي متقوليليش لأ علشان خايفة من بابا.. احنا استنينا كتير وكفاية كده.

- ما انت عارف اني مكنتش اجرؤ على فتح سيرة خطوبة ونار فراق أحمد مبردتش.

- ودلوقتي؟

- دلوقتي فيه مشكلة تانية.

- إيه تاني؟

- بابا.. هو تفكيره متشدد شوية واخاف اقوله عليك يرفض لمجرد اننا بنحب بعض.

- يا سلاااام.. وإيه العمل؟

- اخطبني تقليدي.

- حاضر.. هاجي أقوله يا حاج لو سمحت جوزني بنتك تقليدي.

sa7eralkutub.com

- مهزرش.

- طيب قوليلي بجد عايزة إيه؟

- أنا مش هقدر افاتح بابا خالص.. أو على الأقل مش هقدر اقول اني بحبك وعايزاك.. فأنا فكرت اني اقول ان علا كلمتني عليك وكلمتك عليا.. يعني علا هي اللي بتقترح ونمشي الخطوات التقليدية.

- فهمتك.. معنديش مانع.. بس هو يعرف علا ولا هتقولي تعرفيها منين؟

- أه يعرفوا اني اتعرفت على علا في المستشفي واننا بنتكلم دايمًا.

- خلاص.. ابدئي تنفيذ الخطة.. وحددي معاد في أقرب وقت.

- حاضر.. هقولهم.

- إمتى؟

- مش عارفة.. لما اشوف وقت مناسب.

- مفيش وقت مناسب.. قومي دلوقتي حالًا قوليلهم ان علا كلمتك ومستنية رد.. لحد ما انا افهم ماما وعلا.. يالا قومي.

نفذت حنان كلامه فورًا؛ فرغبتها أيضًا أن ترتبط به في أقرب وقت.. خرجت من غرفتها وذهبت للجلوس مع والديها.

أحاسيس مختلطة تشعر بها.. فرحة.. قلق.. خجل

استجمعت شجاعتها وقالت:

- بابا..

sa7eralkutub.com

انتبه لها والدها، فقالت وهي تتجنب النظر في عينيه:

- علا كلمتني من شوية وقالت لي اقولكم.. إنها عايزة تيجي..

نظرت لوالديها فوجدتهما منتبهين لها.. منتظرين أن تكمل، فقالت وهي تنتقي كلماتها حتى لايفضحها صوتها وفرحتها.

- هي ومامتها واخوها عايزين ييجوا يتقدموا لي.

قالتها وأطرقت رأسها للأرض.. بينما اعتدل والدها جالسًا وهو ينظر لوالدتها التي ارتسمت على محياها ابتسامة واسعة وهي تسأل:

- والنبي صحيح؟

وسألها والدها ليتأكد أنه لم يفهم خطأ:

- يتقدموا لك يعني عايز يتجوزك؟

قالت بصوت أقرب للهمس:

- وهي ليها معني تاني يا بابا.

نهضت.. تريد أن تنهي الموقف بأسرع وقت:

- فكروا وقولولي ارد عليها اقولها إيه؟

استوقفها والدها قبل ان تدخل غرفتها

- استني هنا.

توقفت.. وتوقف قلبها.. أغمضت عينيها ودعت الله في سرِّها أن يتم كل شيء على خير.. تصنعت الهدوء والتفتت لوالدها:

sa7eralkutub.com

- نعم؟

قال الأب بنبرة حانية:

- تعرفيه؟

كادت أن تنفي معرفتها به، ولكنها عدلت عن ذلك قائلة:

- شفته كام مرة في المستشفي.. بس مجتش مناسبة نتكلم.

الأب: هي قالت لك إيه بالظبط؟

حنان: قالت لي اسألكم لو ممكن ييجوا يزورونا علشان يتعرفوا عليكم ويطلبوا إيدي لاخوها.

قالت الأم بحيرة: مكنش ينفع يستنوا شوية.. ده أحمد لسه..

ونظرت لزوجها لتستنتج رأيه وأكملت:

ولا إيه يعني احنا مش هنعمل حاجة.

الأب: طب هما عارفين انك كنتي...

قاطعته حنان.أيوة.. قلتلها.

قال الأب حاسمًا: خلاص.. خليهم ييجوا يوم الخميس الساعة 8.. نشوفهم ونتعرف عليهم واللي فيه الخير يقدمه ربنا.

****

sa7eralkutub.com

طلبت حنان من إسراء ألا تتركها في يوم كهذا.. لم ترفض إسراء بل على العكس ساعدتها على الاستعداد للقاء عمر وأسرته.

في هذه المرة لن يكون اللقاء عاديًا كالمرات السابقة.. اليوم يحضر خصيصًا ليطلب من والدها أن تكون زوجته رفيقة دربه.. أي سعادة أكثر!

ارتدت حنان بذلة سوداء، وطرحة فضية اللون.. وضعت القليل من مساحيق التجميل وجلست في غرفتها مع إسراء ودقات قلبها تدق مع عقارب الساعة.

والدتها في غرفتها.. تسبح وتدعو الله أن تتم بخير، ووالدها يحاول السيطرة على قلقه.. وينتظر.

sa7eralkutub.com

بعد الموعد المحدد بخمس دقائق.. رنّ جرس الباب، قفزت حنان من مكانها في سعادة ووقفت تتفقد شكلها في المرآة.. واتجهت إسراء لباب الغرفة وفتحت جزءًا منه لتتمكن من سماع ما يحدث.. فكما أكّد عليهما والد حنان بألا تخرج إحداهما حتى ينادي عليهما.

خرجت والدة حنان من غرفتها، وقفت خلف زوجها وهو يفتح الباب لاستقبال الضيوف.

ظهر عمر في المقدمة، خلفه والدته تمسك بيد روان، وخلفها علا تحمل علبة شيكولاته

استقبلهم والد حنان بترحيب:

- أهلًا وسهلًا.. اتفضلوا.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

تقدَّم عمر على عكازيه.. وصافح الأب، بينما ركزت الأم عينيها على عكازي عمر وبدت عليها المفاجأة.. غير السارة.

استقبلت والدته وشقيقته.. محاولة ألا يلاحظ أحد تغيُّرها المفاجئ.

دار حديث بين عمر ووالد حنان لم تتبين منه الأم شيئًا.. كانت شاردة في ابنتها والعريس الذي يحمل عكازين الذي أتى لخطبتها.

ألهذا السبب دقَّ بابهم وطلب ابنتهم؟؟ هل أجبرت حنان على قبوله بسبب وحدتها ولأنه الوحيد الذي جاء يطلبها؟

لماذا لا تدوم فرحتهم أبدًا.. أحزان متتالية تهاجمهم وقت الفرح.. كتب عليها أن تحزن أبد الدهر على أولادها.

حاول عمر التركيز في حديثه مع والد حنان رغم إدراكه تمامًا لنظرة والدتها إليه، والتي شعر بها نارًا أحرقت قلبه.

خوفه من رفضهم له كان أكبر من حزنه بسبب نظرتها.

والد حنان يحسن استقباله، ويتكلم بكل ود وأريحية معه ومع والدته التي يبدو أنها شعرت بشيء ما فكانت ترد ردود قصيرة فقط كلما وُجِّه لها الحديث.

في غرفة حنان.. تقف إسراء خلف الباب المواربة محاولة سماع ما يدور في الغرفة.. وتجلس حنان متوترة.. تخاف من رفض والدها لأي سبب.. تخاف أن يذل لسان عمر ويخبره عن حبهما.. تتمتم في سرها بالدعاء أن يمر اليوم بسلام.

sa7eralkutub.com

سمعت حنان صوت اقدام والدتها تقترب من الغرفة.. دخلت عليهما وقالت مباشرة لحنان:

- انتي شفتيه قبل كده.. صح؟

لم تعلم حنان هل تقصد والدتها أنها رأته أم تقصد مقابلته وعلاقتها به.

قالت مرتبكة: أه.. شفته في المستشفى.

قالت الأم بنبرة حادة: يعني انتي عارفة انه عاجز؟

طعنتها الكلمة.. والوصف المبالغ فيه.. قالت معاتبة والدتها:

- العجز مش اللي ربنا ابتلاه بمرض أو نقص في قدرة من قدراته أو حرمان من حاسة من الحواس.. العجز الحقيقي اللي بيكون عنده كل النعم بس عنده نقص في الدين أو الأخلاق أو المشاعر.. العاجز صحيح هو اللي عنده كل حاجة ومش قادر يكون إنسان.

شعرت والدتها بالإحراج ورددت في ندم:

- أستغفرالله العظيم يارب.

سألتها إسراء:

- عمو رأيه إيه؟

الأم: معرفش.. بس انا حاساه مبسوط.

تبادلت حنان وإسراء ابتسامة سعادة.. وتذكرت الأم ما قامت من أجله:

- يالا يا حنان علشان تدخلي عليهم بالصينية.

sa7eralkutub.com

دخلت حنان تحمل صينية الجاتوه.. دقات قلبها أعلى من وقع خطواتها على الأرض.. دخلت الصالون وعيناها على الأرض.

رفعت عينيها لحظة، وجدت عمر ينظر لها مبتسمًا، فابتسمت بفرحة وخجل.. تجاهلته كي تستطيع السيطرة على الصينية التي بين يديها قبل أن تسقط من شدة توترها.

اضطرت حنان أن تجلس رغم اضطرابها.. تراقبها إسراء بفرحة لأنها تعلم تمامًا شعورها الآن.. فقد جربته من قبل مع أحمد.

أحمد.. سيرته جعلت دمعة ساخنة تعرف طريقها إلى عينيها، ولكنها حدثتها قائلة: "مش وقتك خالص". وتمكنت من حبس دمعتها حتى لا تكون سببًا في فتح جرح يحاولون نسيانه مؤقتًا.

بدأ عمر حديثه الجاد موجهاً لوالد حنان.

- علا كانت قالت طلبي لحنان.. وانا اتشرفت بيكم واتمنى نقبلوا طلبي.

ابتسم والد حنان قائلًا: والله احنا اللي نتشرف بيك يا ابني، والحقيقة انا الكام يوم اللي فاتوا سألت عليكم وسمعت كل خير.

عمر: طيب ياريت اعرف طلبات حضرتك.. أنا فهمت حضرتك كل ظروفي واوعدك اني هعمل كل اللي اقدر عليه.

الأب: أنا ميهمنيش لبنتي غير راجل يصونها.. إنما تجيب إيه أهو كله لبيتك وانا مش هتدخل أبدًا.. أنا هجهز بنتي زي أي عروسة وانت أهم حاجة تخلي بالك منها.

sa7eralkutub.com

عمر: نقرا الفاتحة؟

الأب: أنا ليا بس طلب واحد.

عمر: أؤمر حضرتك.

الأب: أنا مش عايز خطوبة.. ياريت تتجوزوا في أسرع وقت.

رد عمر محرجًا: والله أتمنى.. بس انا حاليا مش جاهز للجواز وقدامي مش أقل من سنة تقريبًا علشان اقدر افرش الشقة.

الأب: يبقي نكتب الكتاب.. معلش سامحني ظروف حنان متسمحش انها تقعد مخطوبة فترة طويلة.

عمر بفرحة لم يتوقعها: لو من بكرة ينفع نكتب الكتاب، أنا معنديش مانع.

فرح الأب من اهتمام عمر: لو تلحقوا الإسبوع الجاي يبقي كويس.

عمر: نلحق إن شاءالله.. هستأذن حضرتك بس اني الإسبوع ده أبقى انزل مع حنان نجيب...

قاطعه الأب: معلش.. اتكلموا في التليفون وبعد كتب الكتاب ابقوا انزلوا واتقابلوا براحتكم.

وافقه عمر وتمت قراءة الفاتحة في جو من السعادة والبهجة.. الكل سعيد.. عدا الوالدتين.. فكل أم منهما كانت تتمنى لولدها الأفضل.

****

sa7eralkutub.com

قبل أن يخلد والد حنان للنوم، لاحظ امتعاض زوجته رغم أنها لم تعترض.. فسألها:

- مالك.. شايفك كده مش مبسوطة؟

- كنت اتمنى انها تتجوز واحد كويس.

- وعمر ماله.. أنا شايفه راجل كويس.

- مالك فرحان بيه أوي كده.. ده انت حتى مطلبتش منه أي حاجة.. انت عايز يقول علينا راميين البت.

- راميينها ليه.. هو احنا اللي قولنا له تعالي اتجوز بنتنا.. هو شكله عايزها وشاريها.

- بس يعني اللي ما قال هيجيب شبكة ولا يدفع مهر.

- بقولك إيه.. انا ما صدقت يجيلها عدلها.. إحنا مش عايشين لها ولما نطمن عليها أحسن ما نسيبها لوحدها وهي لا لها ضهر ولا سند.. اللي كنت مطمن عليها بوجوده راح ومبقالهاش حد خالص.

- وحنان.. انت مسألتهاش عن رأيها.. مش عايزين نكرر اللي فات.

- أسأل مين؟؟ انتي مكنتيش شايفاها فرحانة ازاي.. اطمني بنتك عايزاه وده واضح عليها أوي.

صمتت الأم.. تقتنع بكلام زوجها.. ولكنها تخشى على مستقبل ابنتها.. ثم تفكر هل صحيح مستقبلها مع عمر أيًا كان ما سيحدث فيه.. أفضل من وحدتها؟

sa7eralkutub.com

تمددت على سريرها، حاولت النوم وهي تدعو الله أن يستر ابنتها ويجعل حياتها القادمة كلها خير وسعادة.

****

تم الاتفاق على أن يتم عقد القران في الجمعة التالية بعد أسبوع في منزل حنان بحضور الأسرتين فقط.. في أضيق الحدود؛ احترامًا لذكرى حبيب رحل بجسده ولم يرحل الحزن عليه بعد.

لم تتغير علاقة عمر بحنان بعد قراءة الفاتحة كثيرًا.. مكالمات هاتفية أثناء وجود كل منهما في عمله.. حديث ممتد على الشات ليلًا حتى النوم.. مرتين خلال الأسبوع ذهب إلى المدرسة وأوصلها هي وإسراء كل إلى بيته.. فقط ليراها ويخبرها كم يحبها ويشتاق ليوم عقد القران.

****

جلس عمر أمام والد حنان وبينهما المأذون.. يردد المأذون كلمات طلب الزواج ويرددها خلفه عمر.. قبِل والد حنان طلبه وردد خلف المأذون كلمات القبول.. ثم اختلطت أصوات الجميع تدعو لهما بالبركة والجمع بينهما في خير.

اختلطت التهاني.. كلٌّ يهنئ بعضه.

بعدما وصل والد حنان المأذون للباب، عاد فوجد حنان وعمر كل منهما واقف يتلقى التهانئ في مكانه.. أفسح لحنان وهو يشاور لها:

- تعالي جنب جوزك.

sa7eralkutub.com

تقدمت حنان بخطوات خجلى تجاه عمر.. استقبلها عمر وقلبه يرقص فرحًا.. مدَّ يده يسلم عليها.. سلمت عليه.. سرت قشعريرة في جسديهما معًا.. ضمها إليه قبَّلها من جبينها.

سلَّم نفسه لإحساسه بها.. لم يعبأ بالموجودين حوله؛ فهي زوجته أمام الله وأمام أهليهما.

بعدما سرت القشعريرة في جسد حنان جراء لمسة عمر.. وجذبها نحوه.. بين ذراعيه فقدت إحساسها بالعالم وشعرت بالأمان فقط.. وجدت نفسها تحاوط ظهره بذراعيها.. .أرادت أن تدع وجهها ينام على صدره، لكنها قبل أن تفعل أمسك رأسها بيده وقبَّل جبينها.

وجهاهما متقابلان.. عيناها في عينيه.

همس لها :مبروك.

ردت بسعادة لم تشعر بها من قبل:

- الله يبارك فيك.

انتبهت لوقوفهما.. فقالت تدعوه للجلوس:

- اتفضل.

أخرج من جيب بذلته علبة قطيفة حمراء.. تفاجأت حنان بها.

فتح العلبة.. فسألته حنان:

- إيه ده؟

sa7eralkutub.com

- شبكتك.

- بس انا مطلبتش حاجة ومكنتش اعرف انك هتجيب.

- مش لازم تطلبي.. هي حاجة بسيطة أوي كنت اتمنى انها تبقي أكتر من كده.

أمسك يدها.. لم يتمكن من تلبيسها الدبلة بيد واحدة والأخرى تستند على العكاز.. أمسكت منه العلبة بيد ومدت الأخرى له.

ألبسها الدبلة.. ثم سوارًا بسيطًا.. ثم ألبسته حنان الدبلة.

سادت السعادة على الوجوه.. ومال والد حنان على زوجته وهمس في أذنها: شفتي.. اللي شاري مبيستخسرش.

قاطعتهما والدة عمر.. موجهة حديثها لمصطفى:

- هتنورونا امتى تشوفوا الشقة؟

الأب: مش لسه بدري على الجواز.

والدة عمر: ازاي بس.. حقكم تشوفوا الشقة وانا قلت لعمر تيجوا قبل كتب الكتاب بس انت اللي قلت بعدين.. حقك تطمن على بنتك.

الأب: أنا شايف ان عمر شاريها.. ومتاكد اني اديتها لراجل يصونها.. يبقى هتفرق في إيه الشقة كبيرة ولا صغيرة.. تمليك ولا إيجار.. هو جوزها وتعيش معاه في أي مكان.

عمر: معلش يا عمي.. لازم برضه تيجوا تشوفوا الشقة علشان لو فيه أي حاجة حنان عايزة تغيرها ألحق اعمل حسابي على اللي محتاجينه.

sa7eralkutub.com

الأب: خلاص بكرة بعد العِشا هنيجي نشوف الشقة ان شاءالله.

صمت قليلًا ونظر لزوجته.. فنهضت من مكانها وهي تشير لإسراء.

قالت تدعوهم للسفرة:

- اتفضلوا يا جماعة.. العشا جاهز.

****

في اليوم التالي.. ذهبت حنان مع والديها لمشاهدة الشقة.. استقبلهم عمر وأسرته.. وصعدوا جميعًا لشقة عمر.

الشقة واسعة من البيوت القديمة.. أعجبَت حنان.. تحتاج بعد التشطيبات ثم الفرش مباشرة.

تجولت حنان في الشقة مع عمر.. وهي تتخيل حياتها القادمة فيها.. يسألها عمر كل لحظة والأخرى:

- عايزة تغيري حاجة؟؟

تجيبه بصدق

- الشقة حلوة وأحلى مما تخيلت.

ثم تردف بهمس:

- وبعدين مش عايزين نتعطل.. اللي تقدر تجيبه هاته ونبقي نكمل بعدين.

يرد بحماس أكثر منها:

sa7eralkutub.com

- ربنا يرزقني ونتجوز النهارده قبل بكرة.

بعدما انتهوا من مشاهدة الشقة.. نزلوا جميعًا.. وأصر عمر على توصيلهم.

ركبت حنان بجوار والدتها في الخلف.. وتركت والدها بجوار عمر.

نظراتها على عمر في مرآة السيارة.. يبادلها النظرات بين الحين والآخر.

تفكر.. هل سيدعوه والدها للجلوس معهم قليلًا.. تدعو الله أن يصرّ والدها على دعوته.. تتمنى أن تجلس معه وحدهما:

منذ الأمس وبعد عقد القران لم يجلسا وحدهما سوى على الشات.. تريد اختلافًا.. تريد أن تشعر أنها بقُربِه عن ذي قبل.

أثناء انشغالها بحديثها الصامت، سمعت عمر يقطع الصمت:

- بعد إذنك يا عمي.. هاخد حنان نخرج شوية.

- وماله.. بس متتأخروش.

رقص قلبها فرحًا.. تتعجل الطريق حتى يصل عمر لمنزل والديها حتى تبقي بقربه

توقف عمر أمام منزل اسرة حنان.. نزل والدها.. ونزلت حنان ووالدتها.. اتجه والديها نحو العمارة.. وصعدت حنان بجوار عمر.

نظرت له قائلة: مقلتليش يعني اننا هنخرج.

- حبيت افاجئك.

قالت ضاحكة: مفاجأتك كترت.

sa7eralkutub.com

ردَّ مزحتها: بذمّتك حلوة ولا وحشة.

- لأ طبعًا حلوة.. من يوم ما عرفتك وانت جبت لي الفرح معاك.. ربنا يخليك ليا.

- ويخليكي ليا يا حبيبتي.

تسارعت دقات قلبها، وابتسمت بخجل، سألها عمر:

- وشَك احمَر كده ليه.. بتتكسفي مني؟

- مش بتكسف منك.. بس فرحانة وانا بسمع منك الكلام الحلو ده.. عارف يا عمر.

- إيه يا حبيبتي.

- أنا أول مرة احب.. كل اللي حاساه معك عمري ماحسيته قبل كده.. انا بحبك أوي.

- يعني مش هتندمي مع الوقت؟

ردَّت بقلق: أنا خايفة انت اللي تندم.

- أنا ممكن اندم في حالة واحدة بس.

قلقت حنان.. وسألت باهتمام:

- إيه هي؟

- انك تزعلي مني لأي [illegible] اني محافظتش على وعدي ليكي بأني اعمل كل اللي يسعدك.

sa7eralkutub.com

- أنا مش ممكن ازعل منك أبدًا.

نظراتهما المتبادلة تهيم حُبًا وغرامًا.. توقف عمر بالسيارة.

نزل منها ونزلت حنان.. استدار ليقف جوارها ويشير أمامه:

- المكان ده سمعت انه حلو.. أول مرة اجي هنا فقلت تكون أول مرة لينا مع بعض.

- أنا كمان مجتش هنا قبل كده.. وبقولهالك تاني مش مهم المكان المهم اني معاك.

ارتبكت خطوات عمر، تذكر كلمات نيفين عند معايرتها له، واعترافها أنها تخجل من المشي جواره.. لاحظت حنان تباطؤ خطواته وشروده، سألته: مالك يا عمر؟

- مفيش.. اتفضلي.

أشار لها أن تمشي أمامه؛ كي لا يحرجها، لكنها توقفت مترددة، وسألته: هو انا لو حطيت إيدي في إيدك.. هضايقك؟

- أخاف انتي اللي تضايقي..

تعجبت من إجابته.. فسألته

- هتضايق من إيه؟

ردَّ بانكسار: إن الناس تشوفك ماشية مع واحد...

قاطعته حنان بمسكها ذراعه.. ومشت بجواره.

sa7eralkutub.com

- مهمنيش حد.. انت حبيبي وسندي.. أنا مش هسيب إيدك طول ما احنا مع بعض.

انحنى بوجهه يقبّل أصابعها التي تتمسك بذراعه.. لم يعبأ بالناس في الشارع.. ولا بالزوجة التي رأتهم وتكلمت مع زوجها بهمس وهي تنظر إليهما بنظرات حاقدة.. رأتها حنان فقالت لعمر هامسة:

- الناس هتحسدني عليك.. ميعرفوش انك فرحة جت بعد سنين طويلة حزن وقهر.

- الحمدلله على نعمة وجودك في حياتي.

أكملا طريقهما للمطعم.. تتشبث بذراعه بحُب.. ومشي هو بفخر بجوار زوجته وحبيبته.

****

أيام مضت بعد عقد القران.. حينما أتى لعمر في المحل شخصٌ يسأل عنه. استقبله عمر قبل أن يعرف هويته.

عرّفه بنفسه: أستاذ عمر.. أنا المهندس هشام خطاب.

- أهلًا وسهلًا.. حمدي قال لي انك سألت عليا امبارح.. اتفضل.

جلس هشام.. وعمر في مقابلته.. وبدأ هشام كلامه:

- أنا ابن الحاج رفعت خطاب لو تسمع عنه.

صمت عمر قليلًا يحاول تذكُّر الاسم.. ولكنه فشل.. فأكمل هشام كلماته:

sa7eralkutub.com

- إحنا عندنا شركة مقاولات.. اشترينا الأرض اللي ورا البيت بتاع والدك الله يرحمه من إسبوعين بس.

مازال عمر يفكر في سبب حضور هشام والسؤال عنه يومين متتاليين.. فسأله:

- مبروك.. أي خدمة أقدر اقدمها لحضرتك.

- الله يبارك فيك.. هي مش خدمة.. أنا جاي لك في عرض مباشر.

هز عمر رأسه إشارة ليكمل هشام حديثه.. أكمل الأخير:

- أنا عايز اشتري البيت بتاعكم بالأرض.. أنا عارف انكم ورثة وانك صاحب الرأي الأول والأخير.

ردَّ عمر معتذرًا: أكيد فيه سوء تفاهم.. انا معرضتش البيت للبيع.

- مفهوم.. أنا اللي جاي اعرض عليك الشِرا.

- إشمعنى انا؟

- الأرض اللي اشترياها مع أرض البيت عندكم هنعمل عليها مشروع أبراج سكنية.. الموقع مغري والبيت بتاعكم قديم وكلها كام سنة ويجيله أمر إزالة.

- انت فاجئتني.

- أنا هكمل العرض بتاعي واديلك وقت تفكر.. الأرض قدرنا قيمتها ب12 مليون.

sa7eralkutub.com

سماع عمر للمبلغ المعروض جعله يزدرد لعابه بصعوبة من المفاجأة.. قال كمن تذكر أمرًا هامًا نسيه تمامًا:

- بس العمارة فيها سكان.. وانا ليا شقة غير شقة والدتي.. لو انا ووالدتي وافقنا الشقتين التانيين هنعمل فيهم إيه؟

- السكان ممكن ادّي لكل مستأجر نص مليون جنيه وهو يتصرف.. وبالنسبة ليك ولوالدتك فاحنا ممكن نعملكم عقد إيجار في برج من أبراجنا لمدة سنة ولما البرج هنا يخلص تاخدوا شقتين وهنعملكوا فيها واجب.. لو هتسكن هنا هتاخد كاش مع التسجيل 10 مليون وعقد تمليك للشقتين اللي ليك ولوالدتك.. محتاج وقت أد إيه وترد عليا؟

مازال عمر تحت تأثير المفاجأة.. العرض مغرٍ حقًا.. ولكنه لا يملك وحده حق التصرف.. ردَّ على هشام:

- كام يوم كده يا بشمهندس اشاور العيلة عندي وآخد رأي السكان.

- مفيش مشكلة.. ده الكارت بتاعي هستنى ردك في أسرع وقت.

تناول عمر الكارت.. مع وعد بسرعة الرد عليه.

****

ساد الصمت عندما حكى عمر لوالدته ولعلا عن عرض بيع البيت.. كل يفكر في العرض غير المتوقع.. قالت الأم لعمر:

- وانت إيه رأيك؟

sa7eralkutub.com

- الرأي مش رأيي لوحدي.. أنا جيت اخد رأيكم.

علا بتفكير: انت شايف إيه؟؟.. المبلغ كبير يدوخ.

الأم: أنا عن نفسي مش عايزة حاجة من الدنيا إلا بيت يسترني والمهم عندي سعادتكم انتم.

عمر موجّهًا حديثه لعلا: وانتي ياعلا إيه رأيك؟

علا: إحنا محتاجين الفلوس.. انت علشان تتجوز ويبقى معاك قرش يريحك.. وانا قدامي كتير علشان روان تتعلم ولو جرالي حاجة ابقى مطمنة عليها.. ونسد دين عمليتها.. إحنا عبء تقيل عليك.

عمر معاتبًا: من إمتى بيننا فلوس.. انتم ملزومين مني وانا عمري ما اقصر معاكم باللي اقدر عليه.. روان بنتي ومسئولة مني تعليم وتربية لحد ما ربنا يقدرني واجوزها ان شاءالله.. بس لو فكرنا بالعقل هنلاقي ان الفلوس اللي هتيجي هتخلينا نعلمها في مدارس كويسة.. نجيبلها كل اللي نفسها فيه.. لو لاقدر الله أي حد فينا حصل له حاجة مفاجاة زي اللي حصلت لروان منمدش إيدنا للناس.. واكيد انا عايز اتجوز والفلوس هتختصر وقت كبير.

الأم: يعني رأيك نوافق؟

عمر: القرار الأخير ليكم.. أنا عن نفسي شايفه عرض ميتفوتش.

علا: نبقى اغبيا لو رفضناه.

الأم: والجيران؟

عمر.ماهو قال هيديلهم فلوس.. يعني يقدروا يشتروا شقة في أي حتة.

sa7eralkutub.com

الأم: وافرض رفضوا.

عمر: لو رفضوا يبقوا بيوقفوا المراكب السايرة.. البيت صحيح قديم ولو جت له إزالة كلنا هنروح فين.. ولا انا ولا هما هنقدر نصلّح البيت.. أنا هقولهم الكلام ده وافهمهم واللي فيه الخير ربنا يقدمه.

تلك الليلة.. نامت علا تحلم بمستقبل مشرق لابنتها

وطوال الليل الحديث ممتد بين حنان وعمر للحديث عن طرق إقناع سكان البيت للموافقة على إتمام البيع دون مشاكل.

****

تمَّ الاتفاق على البيع دون أي مشاكل من جهة السكان.. تم الاتفاق على البيع والتسجيل الرسمي خلال أسبوعين من رد عمر.

بعد كتابة العقد الابتدائي واستلام مقدَّم البيع.. أول ما فعله عمر هو سد دين عملية روان.. ثم ذهب لحنان في منزلها.

أستقبله والداها بترحاب كعادتهم.

وجَّه حديثه لوالد حنان:

- عمي انا الحمدلله بِعت البيت واخدت عربون.. وهنعزل خلال يومين تلاتة في الشقة الإيجار لحد البرج ما يخلص.

ردَّ والد حنان بفرحة حقيقية لعمر:

- مبروك يا ابني.. انت تستاهل كل خير.

sa7eralkutub.com

نظر لحنان، ثم قال لوالدها:

- حنان وشّها حلو عليا.. دخلت حياتي من هنا وربنا وسّع رزقي من هنا.

والدة حنان: ربنا يوسع رزقكم ويهدي سركم يا ابني.

عمر: أنا طالب من حضرتك طلب يا عمي.

الأب: أؤمر.

عمر: أنا عايز اقدم الجواز.. كل حاجة اتسهلت الحمدلله.. نتزل من النهاردة لو تحبوا نجيب العفش وكل حاجة ناقصة نجيبها.

سحر الكتب
sa7eralkutub.com

الأب متردداً: بسرعة كده.

عمر: هنستنى إيه؟

الأم متأثرة: مش لما تعدي السنة على اخوها اللي يرحمه.

عمر محاولا اقناعها:الله يرحمه.. متهيألي سنة أو شهر أو 10 سنين في كل الحالات أحمد الله يرحمه مش هيتنسي ولا الحزن عليه هيخلص.. واحنا مش هنعمل فرح.. هنفرش البيت واخد حنان ونروح.. يعني بدل ما هتبقى هنا هتبقى معايا في بيتها.. إيه رأيك يا حنان؟

نظر لها طالبًا منها مساندته، لكنها كانت في موقف لا تحسد عليه.

تخشى إن وافقته تُحزن والدتها، وستكون في نظر والدها ونظر نفسها أنانية.. تخشى موافقة والدتها فتُحرَم من عمر شهورًا طويلة أخرى وهي تتحرق شوقًا لليوم الذي يجمعهما فيه سقف واحد.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

نكست رأسها ورددت: مش عارفة.. اللي بابا وماما شايفينه.

صمت عمر.. شعر وقتها ان حماسه فتر عندما قابلته حنان بلامبالاة.

والدها.. كان يقرأ افكارهما معًا.. يحب عمر منذ أن رآه في المقابلة الأولى.. وها هو لم يخيب ظنه أبدًا.

قال لزوجته: كلام عمر مظبوط.. أحمد مش هيتنسي ولا بعد سنة ولا 10.

تنفَّس عمر الصعداء، وارتسمت علامات الفرح على ملامح حنان.

فأكمل والدها: من بكرة حنان ومامتها إن شاءالله ينزلوا يكملوا اللي ناقصها وحددوا مع بعض المعاد اللي يناسبكم.

تلاقت نظرات حنان وعمر.. عيونهما تلمع بالسعادة.

عمر: حنان تنزل هي وطنط يجيبوا كل اللي ناقصها سواء لها شخصيًا أو للبيت.. بس بعد إذنك انا اللي هتكفل بكل حاجة.

الأب: حنان هتتجهز زي أي عروسة.. لو نقصها حاجة هتقولك.

عمر: ياعمي حضرتك قبلتني وانا مكنش حيلتي حاجة خالص.. حاليا انا اقدر اتحمل كل حاجة يبقى أرجوك متعملش فرق بينا.

الأب: أنا لما قبلتك قبلت راجل لبنتي.. أنا أمنتك على بنتي وواثق ان عمرك ما هتخون الأمانة.. متخليش الكلام في الفلوس يدخل بينَا.. اللي حنان تحتاجه تجيبه سواء مني أو منك مش هتفرق.. أنا ابوها وانت جوزها.

عمر بحماس وسعادة:

sa7eralkutub.com

- طيب اسبوع كفاية.. متهيألي كفاية.

قالها منتظرًا ردًا. فاندفعت حنان بنفس الحماس:

- أه كفاية اوي.

ثم شعرت بالخجل من اندفاعها فقالت بنبرة أهدأ:

- نلحق يا ماما مش كده؟

****

انشغل عمر باستلام الشقتين الإيجار.. إحداهما لوالدته وعلا وأخرى تجاورهما.. ليقيم فيها مع حنان.

انشغلا عن بعضهما.. كل يستكمل ما يحتاجه في سباق مع الزمن.

انشغلا إلا عن حديثهما اليومي ليلًا.. وقبل الزواج بثلاثة أيام، كتبت حنان لعمر:

- عمر.. أنا عايزة اطلب منك حاجة.

- أؤمري يا حبيبتي.

- أنا عايزة ألبس فستان فرح.. عايزة ابقى عروسة بجد.

- انتي أحلى عروسة في الدنيا.. بالنسبة لي مفيش أي مشكلة.. بس مامتك.

sa7eralkutub.com

- هقولها.. وبعدين احنا مش هنعمل فرح ولا حاجة.. أنا عايزة ألبس الفستان وتيجي تاخدني من الكوافير ونروح نتصور ويبقى لينا صورة كبيييييرة ليوم فرحنا نعلقها في شقتنا.

- أحلامك أوامر يا عروسة.

أرسلت حنان له قلوبًا كثيرة ملأت بها الشات ثم أعقبتها بجملة واحدة:

- اللي في قلبي أكتر بكتير من كل قلوب الدنيا.

****

يوم زفاف حنان وبعد توصيلها لعش الزوجية.. ورغم سعادتها.. دموع والدتها اجترت ذكريات كثيرة فأبكت كل الموجودين خاصة إسراء ووالدتها.

تمكَّن والد حنان من السيطرة على نفسه بسرعة، فودَّع حنان بعد مباركته لها ولعمر، وأخذ زوجته وإسراء ووالدتها، تاركًا العروسين ليبدآ حياتهما بدون دموع.

بعدما أغلق عمر الباب خلف والدته وعلا وروان، عاد لحنان التي تنتظره في غرفتهما.

عند دخوله الغرفة.. كانت آثار الدموع مازالت في عينيها.

جلس جوارها مسح دموعها بطرف إصبعه، فأخذت يده وقبَّلت راحتها:

- أنا حاسة انك بتمسح آخر دموع حزن في حياتي.

sa7eralkutub.com

- مكنتش اتمنى نبدأ حياتنا بدموع.

ضحكت مازحة وهي تُذكِّره:

- طب ازاي واحنا معرفتنا جت في أصعب ظروف ممكن نتخيلها.

ترك عكازيه وضمها لصدره.. فألقت ألم السنوات الماضية في ركن مظلم من ذاكرتها وأغمضت عينيها ووجهها في صدره تتنفس رائحته وترقص مع دقات قلبه.. تتشبث به وتلتصق به أكثر وأكثر

وهمسا معًا كلٌّ للآخر في نفس اللحظة:

- بحبك.

****

أثناء إجازة نصف العام..ومع قلة ساعات العمل في المدرسة لاحظت حنان افتعال الصدف ومحاولات التقرب منها هي وإسراء من أحد مدرسي اللغة الإنجليزية زميلهما في المدرسة.

في البداية، كانت حنان تصدُه وترد ردود قاسية جافة.. لكنه لم ييأس وظل يتعامل معهما بأدب جم.. حتى تنبهت لحقيقة لم تخطر لبالها.

شاب مهذب يتقرب من زميلتيه، إحداهما متزوجة.. يشهد الكل بأخلاقه ولم ترَ منه ما يثير حفيظتها.

حكت لعمر عنه.. في البداية غار عليها وطلب منها عدم التعامل المباشر معه، لكنها وضحت له إحساسها:

sa7eralkutub.com

- أنا حاسة يا عمر إنه معجب بإسراء.

تناقش معها عمر وتفهَّم وجهة نظرها.. و طلب منها أن تكون معاملتها معه في أضيق الحدود حتى تتضح نيته.

****

طوال الشهور التالية لزواجها، كانت حنان تتوق للأمومة بشكل كبير، تطول لحظات شرودها التي تتخيل فيها طفل يُحرِّك سكون المنزل الهادئ.. كلما كانت تضيق بتفكيرها كانت تذهب لشقة والدة عمر.. تجلس مع روان تستذكر معها دروسها.. تتحدث مع علا أو حماتها في أمور شتى.. أو تأتي والدتها لزيارتها.. ليهون عليها الفراغ في اليوم الطويل أثناء عمل عمر في المحل حتى يقترب موعد عودته فتجلس تنتظره.

تفكر.. هل يشعر عمر هو الأخر باحتياجه لوجود طفل في حياتهما.. تخاف من تفكيرها حتى لا تضع الاحتمالات التي لا تستطيع مجرد تخيُّلها.

يلح عليها خاطر واحد.. يسيطر على حياتها.. تتردد هل تخبر عمر به أم لا.. لكنها في إحدى الليالي بعدما عاد من عمله وأثناء تناولها العشاء.. قررت ألا تصمت:

- عمر.. عايزة أقولك حاجة شغلاني بقالي فترة كبيرة.

استشعر عمر أهمية ما ستتحدث فيه من نبرة صوتها المترددة، فقال مشجعًا: قولي يا حبيبتي.

- أنا نِفسي ابقي أم.

sa7eralkutub.com

تفاجأ عمر.. كيف لها أن تصبح أمًا؟؟ كيف يحقق لها أمنية كتب الله لهما استحالة تحقيقها؟

ردَّ بهدوء: أمر الله يا حنان.. الحمدلله على اللي احنا فيه.

- بس انت تقدر تحقق لي ده.

زاد تعجُّبه.. قال مبررًا:

- لو كنتي محتاجة علاج مكنتش هقصر معاكي.. بس ازاي؟

صمتت.. كما صمت هو الآخر.. يستنتج أمرًا واحدًا..

هل ستطلب منه الزواج من أخرى؟

أراد أن يغير الجو العام للحديث

فقال لها ضاحكًا:

- إوعي تقوليلي اتجوز وناخد البيبي نكتبه باسمنا ونمثل فيلم الزوجة التانية.

ضحكت رغمًا عنها لمزحته.. وقالت محذِّرة:

- تتجوز إيه.. ده انا كنت ادبحك.

- واهون عليكي.

- بتكلم بجد.

- الحمدلله على عيشتنا يا حنان.. إحنا ربنا كرمنا بأكتر مما نتخيل.

- وهيكرمنا أكتر إن شاءالله لو نفذت لي طلبي.

sa7eralkutub.com

- اللي هو إيه؟

- نكفل طفل يتيم.

صمت يعيد كلماتها في عقله.. نظراتها تنتظر منه ردًّا.. لايستطيع أبدًا رد نظراتها المتوسلة.. ربت على يدها يطمئنها:

- معنديش مانع.. نسأل الإجراءات إيه ونشوف.

هبَّت حنان من مجلسها تعانق عمر وتقبِله وهي تشكره وتدعو له.

****

ذهب عمر وحنان لإحدى دور الأيتام الحكومية.. وجدا كل الشروط تنطبق عليهما.. كان لابد من اختيار الطفل.

الدار بها الأطفال من عمر أيام حتى سن الابتدائي.. مستوى الاهتمام والرعاية متدنٍ للغاية.. فأغلب الأطفال يرتدون ملابس رثة.. ولا يوجد اهتمام بنظافتهم.. ولا بنظافة المكان.

جري الأطفال على أكياس الحلوى التي أتوا بها.. بشكل يدل على حرمانهم من الحب والاهتمام.. والحلوى أيضًا.

كان الاختيار صعبًا؛ فاختيار طفل من وسط أطفال يرثى لحالهم كان أمرًا شديد الصعوبة

كلما وقع اختيار حنان على طفل.. وجدت طفلًا آخر تنجذب له.. وطفلة أخرى تداعبها بحلو الكلام.. وأخرى تتوسل إليها بجلب طعام تشتهيه.

sa7eralkutub.com

لم يختلف الحال كثيرًا بالنسبة لعمر؛ فما حدث مع حنان هو بالضبط ما شعر به عمر.. فأنهى الزيارة هامسًا في أذنها:

- خلينا نفكر مع بعض تاني وبعدين نختار.. الوضع كده صعب أوي.

خرجت حنان من الدار خالية الوفاض.. تتألم لحال الأطفال.. وتتألم لحالها.

كانت تعتقد أنها ستعود حاملة طفلها.. طفلهما هي وعمر وسيمتلأ المنزل بهجة بحضور الصغير.

تضايقت من عمر.. لماذا لم يدعها تختار؟ لماذا لا يشعر بحاجتها للطفل؟ لماذا أنهى الزيارة وعلى وجهه تلك النظرة المتأففة.

التزمت حنان الصمت في الأيام التالية.. تجيب عمر عندما يتحدث إليها.. قلَّ حديثها معه.. توترت العلاقة بينهما منذ تلك الزيارة.

كلما سألها عمر عما يعتمل في صدرها تجيبه بلا شيء وتصمت.

دارت حنان في روتين يومها.. العمل صباحًا.. عودة لمنزلها والاهتمام بالاعمال المنزلية وإعداد الطعام.. تحضير الطعام لعمر بعد عودته ثم دخولها غرفتها للخلود للنوم مبكرًا لتعيد في الصباح نفس الروتين اليومي.

أثناء جلوس حنان في المدرسة، وجدت اتصالًا من عمر.

ردَّت: أيوة ياعمر.

- انتي فين؟

- في المدرسة.. صحيت؟

sa7eralkutub.com

- اه صحيت ونزلت.

- طيب لما اروح هكلمك.

- لا متكلمنيش.. اطلعيلي.

تعجبت حنان:

- أطلع لك فين؟

- أنا واقف بره المدرسة.. يالا اطلعي واستأذني علشان هتمشي معايا.

- في إيه يا عمر.. حد حصل له حاجة؟

- لا مفيش.. اطلعي بس.

- حاضر.

أغلقت معه.. واتصلت بإسراء تخبرها أنها لن تجلس لانتهاء اليوم الدراسي.

****

بعدما تلقت إسراء في مكتبها اتصال حنان.. وجدت زميلها محمد منصور مدرس اللغة الإنجليزية يأتي لمكتبها ويجلس أمامها مباشرة:

- صباح الخير يا إسراء.

- صباح النور.

- أنا جاي لك في موضوع محدد عايز اكلمك فيه.

sa7eralkutub.com

- اتفضل.

- متهيألي مينفعش هنا.

نظرت إسراء لزملائها في نفس المكتب.. نهضت ونهض محمد بالتبيعة وهي تردد:

- ممكن نتكلم بره.

بخروجهما.. وقف قبالتها وسألها:

- إسراء.. أجازة الصيف قربت ومش هعرف اشوفك زي الأول.. أنا لازم احدد موقفي معاكي.

- موقف إيه؟

- كل ده لسه مش فاهمة اني معجب بيكي.

صمتت إسراء.. تشعر من فترة بتقارب محمد منها.. فقد لمّحت لها حنان بذلك منذ شهور.. لأول مرة يصرّح لها.. حاولت التملص:

- معلش انا مش بفكر في ارتباط دلوقتي.

- ليه؟

- علشان لسه منسيتش خطيبي اللي اتوفى.. ومعتقدش هنساه.

- الوفاء شيء جميل.. بس الحياة برضه جميلة.

نظرت له بعدم فهم.. فوضّح لها:

sa7eralkutub.com

- مش مطلوب منك تنسيه.. وفي نفس الوقت مينفعش تحبسي نفسك في ذكراه.

تذكر.. كلامه ليس جديدًا عليها.. قالته لها والدتها من قبل.. وقاله والدها.. حتى حنان قالت نفس المعنى تقريبًا.

هل محقٌ في كلامه أم يبرر لغرض ما في نفسه؟

في كلتا الحالتين.. هل اقتنعت؟؟ هل ستتمكن من نسيان أحمد واستكمال حياتها؟

سمعت محمد يسألها:

- إسراء.. قلتي ايه؟؟ هتدي لنفسك وليا فرصة نقرب يمكن نكمل حياتنا مع بعض.. ولا هتفضلي أسيرة الذكريات.

همت أن ترفض رفضًا قاطعًا.. ولكنها ترددت قائلة:

- هفكر.. محتاجة وقت.

عقب محمد فرحًا: خدي الوقت اللي يريحك.. المهم ان فيه أمل.

****

sa7eralkutub.com

استأذنت حنان وخرجت من المدرسة لتجد عمرًا ينتظرها في الخارج، ركبت بجواره وسألته بقلق:

- عمر انت كويس؟.. حصل حاجة في البيت؟

- مفيش حاجة.. الحمدلله.

- أومال إيه اللي جابك؟

- وحشتيني.

رفعت حاجبيها وتساءلت:

- ما احنا كل يوم مع بعض.

قال وهو يقود السيارة:

- لأ.. بقالك فترة آخدة جنب مني.. والنهارده انا مش رايح الشغل وهنبقى مع بعض علشان فترة الصمت اللي دخلت حياتنا دي لازم تنتهي وبسرعة.

أشاحت حنان بوجهها لتنظر من النافذة.. صمت هو الآخر.. ذهب لأول مكان اجتمعا فيه بعد عقد القران.. جلسا معًا.. بدأ كلامه قائلًا لها: زعلانة مني؟

ردت: لو قلت اني زعلانة منك أبقى بتبطر على النعمة اللي انا فيها.. بس انا مش فاهمة انت ليه ضحكت عليا وفهمتني انك موافق على كفالة طفل ولما روحنا وبقي بيننا وبين تحقيق الحلم خطوة تراجعت من غير ما تفكر تقول لي أسبابك إيه.

- مسألتنيش ليه بدل ما تاخدي جنب لوحدك وتزعلي.

sa7eralkutub.com

- علشان دي حاجة متنفعش تيجي بالضغط والإجبار.. يا تكون انت كمان عندك نفس الرغبة يا اما خلاص مالهاش لازمة.

- أنا كذبت عليكي في حاجة قبل كده؟

- لأ.

- وانا قلت لك معنديش مانع.. تبقى دي رغبتي بجد.

- أومال فيه إيه؟

- اتصدمت.. شكلهم وجع قلبي.

- والحل اننا نمشي؟

- مقدرتش اننا نختار الأحلى أو الأصغر أو الأنضف مثلًا.. اختيار ظالم للتانيين.. اشمعنى ناخد واحد دون الباقي.

- نقوم نسيبهم كلهم؟

- لأ طبعًا.. بس نعمل اللي ربنا يقدرنا عليه.. وكنت بفكر طول الأيام اللي فاتت ممكن نعمل إيه.

سألته حنان: ووصلت لحل؟

ردَّ مبتسمًا.. مطمئنًا لها:

- وصلت.

sa7eralkutub.com

سألته بحماس:

- إيه؟

- نعمل احنا دار أيتام ونهتم بالأطفال اللي زي دول.. أيتام أو مجهولي النسب أو أولاد شوارع.. نهتم بيهم ونربيهم ونعلمهم كويس.

صرخت حنان من الفرح:

- عمرر.. انت حقيقي بشر زينا ولا ملاك ربنا بعتك ليا من السما.

ضحك عمر واستدرك قائلًا:

- اصبري بس.. بشر وبفكر إن مشروع زي ده محتاج مصاريف.. ومش معنى ان معايا فلوس دلوقتي اني ممكن اصرف على المشروع ده مدى الحياة.. ومش عايز نتعرض اننا نطلب تبرعات من فاعلي الخير.. يا تجيلنا يا متجيلناش.

تساءلت حنان بإحباط:

- يعني ايه؟؟؟فكرة وبس؟

- عيب عليكي.. مش هقولك الفكرة من غير الحل.

- إلحقني طيب.

- بفكر نعمل مشروع تاني بالتوازي.. حضانة خاصة على مستوى عالي.. وأرباح الحضانة تصرف على الدار.. وانتي يا ستي مش هيبقى عندك طفل واحد.. تخيلي بقى أطفال الحضانة وأطفال الدار.. بس ابقي ساعتها متنسينيش.

لم تتمالك حنان نفسها من الفرحة، همست قائلة:

sa7eralkutub.com

- لو مكنّاش في الشارع كنت بوستك.

عقّب مازحًا: ما احنا ممكن نروّح نبوس براحتنا.. بقولك مش رايح المحل النهارده.

نهضت حنان من مجلسها.. ناولته عكازه المستندين على مقعد مجاور.. وقالت بلهفة:

- طيب يلّا بينا.

سحر الكتب
sa7eralkutub.com

****

خلال الإجازة الصيفية قدمت حنان استقالتها من المدرسة وانشغلت بالإعداد لمشروعها.. تحمست علا للفكرة وطلبت من حنان مشاركتها في التنفيذ ماديًا ومعنويًا فرحبت بها حنان وتعاونتا معًا.

لم يترك عمر عمله في محل والده.. وترك لهما مسئولية إعداد وإدارة المشروعين.. مع الإشراف عليهما عن بُعد ومساعدتهما فيما تحتاجان إليه.

والدة عمر ووالدة حنان.. أيقنت كل منهما أنها كانت مخطئة في مخاوفها عندما رأت كل أم سعادة ولدها مع شريكه.

إسراء تركت بابًا موارًا بينها وبين محمد في شهور الإجازة الصيفية.. يتحدثان عبر الفيس بوك والهاتف ويلتقيان في المدرسة.. ورغم انشغال حنان إلا أنها كانت تشجّعها على ترك الماضي والمضي قدمًا في المستقبل بخطوات ثابتة لا تربكها الذكريات.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

تم افتتاح الحضانة مع بداية العام الدراسي.. تبعها بدء العمل في دار الأيتام.. وتم تقسيم العمل بين علا وحنان فيما بينهما.

سعدت علا بالفرصة التي أُتيحَت لها بالعمل؛ فالفراغ كان يزيد حزنها، والتعامل مع الأيتام وأصحاب الظروف القاسية جعل حزنها يذوب في أحزانهم.

انتهت شركة المقاولات من الأبراج السكنية، واستلم عمر وحنان شقتهما في البرج الجديد مكان بيت والده.. واستلمت والدته شقتها التي ستقيم فيها مع علا وروان.. دخلت روان الشقة تركض فرحًا بالمنزل الجديد.

نيفين كما هي.. مازالت تراقب الشارع الصاخب من نافذة منزلها البسيط.. ترتفع عيناها على امتداد البرج الجديد وتندم لتسرُّعها.. ندمها لم يكن على عمر أبدًا.. ولكن على ما آل إليه حال عمر وتبدُّله من الضيق إلى أيسر حال.

طلبت إسراء من حنان أن تصحبها لزيارة والديها.. صحبتها حنان دون تردد.. وهناك في منزل والدي حنان، حكت إسراء لهم جميعًا عن الخاطب الذي يلح للتقدم إليها.. مدحته حنان أمامهما.. وبكت الأم كما تبكي دائما على أحمد، ولكنها باركت هي وزوجها لإسراء وتمنيا لها حياة سعيدة.

حنان.. يومًا عن يوم يزداد حبها لعمر.. كما تزداد جمالًا ونضارة بعدما زال همها واستعادت الاهتمام بنفسها.. تحمد الله أنه رزقها السعادة بعد الشقاء.. سبحانه صدق وعده عندما قال: فإن مع العسر يسرًا.. إن مع العسر يسرًا.. . تدعو كل صلاة أن يديم الله السعادة بينها وبين عمر.. تدعو له بخير الدنيا والآخرة.

sa7eralkutub.com

عمر.. تزداد سعادته كلما رأى أسرته سعيدة.. زوجته سعيدة وتعشقه كما يعشقها.. ووالدته راضية عنه.. وشقيقته خرجت للعمل وأصبحت لها حياة جديدة.. وطفلته الحبيبة روان استعادت كامل صحتها وتتقدم في الدراسة بتفوق.

ماذا يتمنى أكثر من ذلك؟؟

أيوجد على وجه الأرض من هو أسعد منه؟

تمَّت بحمدِ الله

* * *

sa7eralkutub.com

رواية

قلوب مغلقة

أعادت ترتيب شعرها الأسود القصير بيديها. لاحظت أنه ازداد طولاً حتى وصل لأعلى كتفها.. زفرت بضيق. ثم نهضت من فراشها متباطئة رغم نحافة جسدها ووقفت خلف الباب تسترق السمع لما يدور في الخارج.. تناهى إلى مسامعها صوت التليفزيون المفتوح وضحك والدها ووالدتها على صوت الفيلم الكوميدي. ضحكاتهما ترقص على صرخات قلبها المذبوح وحياتها الكئيبة. قبل أن تعود لمكانها المعتاد فوق فراشها وقفت أمام مرآتها.. لم تطل النظر.. بحثت في درج تسريحتها عن المقص.. تناولته وقصت شعرها. وألقته أمامها بإهمال.

غلاف : أسلام محافظ

سحاب للكتب
sa7eralkutub.com